في الحريـة

o O o

الحريـة تؤخذ ولا تعطى • هذا ما قيل ، وقد غـداعرفا جاريا ، على كر الحقب • اما جلية الامر ، فهي ان الحرية لا تؤخذ ولا تعطى ، بل تبنـىمن الباطن •

ما هي الحرية ؟ الحرية انطلاق لا شيء يطلقه •هي انطلاق لا ظهر له • كل ما عداها يأتي من حشاها • تلك هي الحرية الحرية ••• ان تكون سقفا ولا سقف لها ••• أن تكون بدءا ولا بدء لها ••• ان تكون لوحة القيم ، التي تجعل ذاك الى تحت ، وذلك الـى فوق • المحمدة منها • والمجزرة منها • والمغفرة منها بها تتفولذ الاركان ، وتتبولد الاعمدة ، فتصبح ديدنالمواجيد ، وشعارها الغالب • هذه الحرية الحريـة اشراف ، من فوق الفوق ، على مجمل الحافات •

عندما يدرك الانسان هذه الحرية ، تتساوىلديهتتوءات الحياة ، فيعرف كيف يلاعب ميزان الوجود • عندما يدركها الانسان ، يدرك الحق الاكبر ، الـذي يرفع القول ، ويصعد الفعل • انها متانة بالفوائد • انها الكون في جماله ، والانسان في جلاله • انهاالتعاون الاعظم فيما بين السماء والارض • بها تشد القاعدة الى القبة• وبها يحصل التناغم فيما بين الهابطوالصاعد ••• اجل ، عندما يدرك الانسان هــذه الحرية ، تتساوى لديه نتوءات الحياة ، فيعرف كيفيرجع كل ظاهر الى باطن ، وكل احجية الى صريح •

لو استهجنت السماء انحطاط الارض ، لما كانتالسماء تلك التي هي • ولو استخفت الارض بحجم الحصاة ، لما كانت الارض تلك التي هي • ان قبـبالسماء في وهاد الارض ، وان قاع اليابسة فيشاهقات المجرة • كل ما نراه من تباين ، فيما بين الكائنات ، هومن زيغ الحواس • هو من طيش الواهمة • العبار لأزم للحصاة • والحصاة واجبة للارض • وبدونارض لا سماء •

والعين ، من قال لها انها في عداء مع الرجل ؟ اماعلمت انها عين في بدء من الرجل ؟ اذن اين مجـال افتخارها ؟ اين مجال ازورارها ، لتقول خسئت الرجلونعمت انا ؟ الانها مركوزة فوق ؟ ولكن فوقيتها من باب الفناء • فوقيتها من عمل الوجود النافد البائد •ان الحرية ، كالموت ، تساوي بين ارتفاع الحاجـب وانخفاض الكاحل • اذا كانت العين هي الدالة الىالغاية ، فالرجل هي الناقلة الى مرابع تلك الغاية •

والسيد ، من قال له انه أغلى من العبد ؟ والثري،من قال له انه افضل من الفقير ؟ والرجل ، من قال له انه اركز من المرأة ؟ والغرب ، من قال له انه اصح منالشرق ؟ والابيض ، من قال له انه افتح من الاسود ؟ اذا كان اعتبار الناس ، هو الذي يخفض العامل فيالدركات ، ويرفع الحاكم في الدرجات ، فالحريـة الحرية تعادل فيما بينهما ، وتكافىء • ان عتالا حـرافي عتالته لافضل من حاكم عبد في حكمه • العظيـم العظيم هو الذي يشعر بالحريـة • هو الذي ينجـزبحرية ما اوكل اليه •

هذه الحرية لا تؤخذ من احد ، ولا تعطى الىاحد• وممن تؤخذ، ومن يعطيها ؟ انها امتشاق الذات، بالذات ، من الذات • انها انبلاج النورانية من الجهاتالست • هذه الحرية لا تعني تعسفا يفعل ما يشاء ، كما يشاء ، وحين يشاء • الحرية ليست طفرة • الحريـةالحرية ليست حرة ان تكون حرة او ان لا تكون • ان حرية الحرية واجبة الوجود ، بدليل القانون الذيتلده• أجل ، القانون وليدها • ولذا كانت بناء • والبناء تاريخ • والتاريخ احتدام بين سلب وايجاب • هـوتسايف هو صراع • والصراع ما حدث يوما بطريقـة هادئة • انه استشهاد بدم حق •

كمـال يوسف الحـاج

فراشتان

تسرُّ الناظرين فراشتانِ ... بروضٍ ناعمٍ تتغازلانِ
تبرجتا بنفضٍ من سوادٍ ... على أعطاف حلة أرجوانِ
يلوح على حواشيها بياضٌ ... كما نصلت أصول الزعفران
اذا ما ثارتا فشرارتان ... واما قرّتا فشقيقتان
زوتْ كلتاهما قرنين دقّا ... كما يزوى لغمز حاجبان
وضمَّتْ من جناحيها فكانت ... كعرف الديك أو حرف السنان
وأرختْ منهما فبدت كحليٍ ... تلألأ فوق لبّات الحسان
أفانينٌ من الحركات زاغتْ ... لها عيني وعيَّ بها بياني
فمن ضمٍّ الى نشرٍ لوثب ... لرفرفةٍ الى حرب عوان

تواثبتا مثاقفةً فيا مَنْ ... رأى الديكين اذ يتساوران
ورفرفتا مهاداةً كما في ... مهبٍّ الريح رفّتْ وردتان
ورفرفتا فخلتُ لهيب نار ... ينضنض بالفروع وباللسان
ودوّمتا صعوداً أو هبوطاً ... كأنهما هنالك مغزلان
فما يرتدُّ طرف العين الا ... دراكاً تعلوان وتهويان
كما اندفعتْ مياه ثم عادت ... وقد قذفت بها فوّارتان
تحيرتا هنا وهناك طيشاً ... كما في الريح حارت ريشتان
اذا ما هبّتا البلوغ قصد ... بدا لهما فوجّهتا لثان
وان احداهما انطلقتْ فحدّت ... بمتن الريح مطلقة العنان
ترى الاخرى تزاحمها اعتراضاً ... أفي رحب الفضا تتزاحمان
كؤوس الزهر وردهما فلمْ لا ... بأجواز الفضا تترنحان
كأنهما على لجيٍّ بحرٍ ... طغى اذ تطفوان وترسبان

هما قد دافتا لي كأس ذكرى ... جرى دمعي لها وهفا جناني
تذكرتُ الصبا وزمان كنا ... كأنا في الرياض فراشتان
مسارحنا التي نأوي اليها ... مقاصف (دمّرٍ) (والنيربان)
اذ الاغصان من حدب حوان ... ونحن بظلها متلازمان
وأحداق الازاهر شاخصات ... الينا حيثما ملنا رواني
جرى (بردى) ينث لنا حديثاً ... ألذّ من المثالث والمثاني
وصفّق مستعيداً حلو نجوى ... تساقينا بها بنت الدنان

سقى ورعى وحيّا الله عهداً ... بلغنا فيه معسول الاماني
وألهمنا التجلد في زمانٍ ... نعاني من أزاه ما نعاني

دمشق — خليل مردم بك

ثورة النمال

٥

صادَفتْ نملةٌ تمرةً عند صخر أسودِ
فاعتلتْ ظهرَها وانتشتْ مثل طفلٍ أمردِ
يا نمال الحِمى هللي انها زادُ الغدِ
لو أتى مارد يبتغي خطفها لن يغتدي
طالما نحن من حولها عصبة التمردِ

ولاحت فجأةً قبعةٌ سوداءُ فوق رأس أشمط أشيبِ
كأنها رسولة الفناءَ
تبدد الرجاءُ وتحجب الضياءُ
صاحبها مروّس المخالب كأنه شراهة حمقاء
أو بومة تنعق في الخرائب تنذر بالدمارِ والفناءُ !

* * *

أحست النملة بالعملاق فأسرعت تهيب بالرفاق
لكنما الجبار لم يبالِ بثورة النمالِ
فمدَّ نحو النملة الصغيرة لسانه تصحبه يداهُ
كأن فاه كهف يضيع الفجر في دجاه
وذاقها فابتسمت عيناه والتفّ بالظلال يستريح
محملقاً عينيه في البعيدْ وذكريات الامس يستعيدْ
والثمرة الشقراء في يديه والنظرة الرعناء في عينيهِ
وحين أغفى وارتخت يداه
ترامت النمال كالظلالْ والنملة الصغيرةاستعدت للنضالْ
فصاحت يا نمالْ
ثوري عليه انه مبدد الغلال
وآكل الاموال
وانسلتِ الصغرى الى «خيشومه» يتبعها رفاقها الابطال
وهم يهللونْ واوغلوا في الجسد الملعون
وامعنوا في جلده لسعا كأن كل نملة أفعى
وضيقوا انفاسه فماتْ وبصقت في وجهه الحياة

مصطفى محمود

من اسرة الجيل الملهم

التصوير عند العرب

بقلم الامير جعفر الحسني

○ ○ ○

تطورت دراسة التاريخ واختلفت الغاية المنشودة من هذا العلم ، لا يطمئن الناس اليوم الى ما كانوا يطمئنون اليه بالامس ، ولا يكتفون من التاريخ بسرد الحوادث والوقائع على علاتها دون تحليل او تعليل ، بل يطلبون من التاريخ ان يكون مرآة صادقة واضحة لكل عصر من العصور، ترتسم فيها حياة الافراد والجماعات في شتى نواحيها ، يستوحون منها حقيقة الماضي باجلى مظاهرها . ولا يحقق هذا الغرض الا اذا كان المؤرخ منصفا امينا ، يسعى الى الحقيقة بنجوة عن الاهواء الشخصية وتضليل الرواة ، وهكذا يبعث في دراسة تاريخنا حياة جديدة تتفق مع روح العصر وتفكيره .

خلف لنا السلف تراثا علميا واسع الارجاء ، غنيا بموضوعاته ، حافلا بتنوع ابحاثه ، وهو بجملته افضل من اي تراث غيره ممن عاصر السلف او من تقدمهم من الامم ، ولو قيس ما بلغته الامم الغربية في دراسة تاريخها وحضارتها ، على ضآلة مصادرها ، بالحد الذي وقفنا عنده على وفرة تراثنا العلمي ، لادركنا مبلغ توانينا في اظهار مفاخر ما اهمل من تاريخنا .

اننا نعيب على كتب تاريخنا ما نعيبه على كتب التاريخ عند المتقدمين ممن اعتمدوا التدوين ، وجعلوا من هذه المادةملاحم واساطير، وقد نهج المعاصرون منا اسلوب السلف في معالجة تاريخنا ، وجعلوا الفتوحات فيما كتبوه من ابرز الموضوعات ، كأن الاسلام جاء ليسلب الشعوب حريتهم وينتزع املاكهم ، وكان ليس للعرب من الامجاد والمآثر سواها يفاخرون بها الامم . ولو اقتصرنا على ما جاء في مثل هذه الكتب واخذناه على علاته لصعب على الناس ادراك حقيقة الحضارة العربية وسموها والغاية من فتوحاتها ، واخشى ان لا يختلف حكم الاعاجم وذوي العقائد المريضة في فتوحات العرب عما نعرفه عن غزوات آتيلا وهولاكو وتيمورلنك الذين افسدوا في الارض ، وخلفوا حيثما حلوا الخراب والدمار .

لا تخلو الامة العربية من الشعوبيين ممن زاغ بصرهم او ممن في قلوبهم مرض يجاهرون بعورات تاريخنا ويشايعون اعداءها ، ويشنون بالحضارة العربية وينكرون عليها فضلها ، فيتعمدون التضليل ليفسدوا على الناس عقيدتهم القومية وليضعفوا في نفوسهم الايمان بمحاسن حضارة السلف ومدينتهم ، ولا يمكن القضاء على مثل هذه الدعايات بالتهويش والتهويل ، بل علينا ان نقرع الحجة بالحجة فنرد فريتهم وننسف اباطيلهم بالبينة والبرهان ..

ان الحضارة العربية هي ماثلة للعيان رغم شبحها الضئيل الذي يتراءى من خلال سطور كتب التاريخ . ولو كان الحكم يصح بالقياس والاستنتاج لجزمنا ان الحضارة الاسلامية قد بلغت ذروة الكمال في جميع نواحيها ، والا لما كتب لها البقاء الطويل ، رغم المصائب والكوارث التي حلت بالبلاد الاسلامية وتضافر اعداؤها للقضاء عليها .

ان تاريخنا مشتت في تضاعيف الاسفار ، مبعثر في كتب التاريخ والادب، ودواوين الشعر والرحلات، وتصانيف الحديث والتفسير ، والتراجم والمعاجم وفي غيرها من المصادر ، تنتظر جميعها من يسبر غورها ويغوص في لججها ويخرج درر اطوار الحضارة العريقة المادية والروحية .

ومن المسلم به ان كل حضارة لا تذكي قرائح ابنائها ولا ترهف سمعهم ولا تصقل خيالهم ولا تهذب همجية غرائزهم هي مدنية بتراء وغير ناضجة ولا يصلح ان نضعها في مصاف الحضارات المبدعية ، لان الشعر والموسيقى والتصوير وكل ضروب الفنون الجميلة هي صفة ملازمة ابدا للحضارة الرئيسية ومقياس لها . والشعر هو اخصب مادة انتجتها قرائح العرب ، ومعينه عندهم لا ينضب . ولم تكن عناية المسلمين بالموسيقى اقل منها بالشعر ، فكانت صناعة رائجة ، برعوا فيها وتصرفوا في افانينها ، واما التصوير فكنا نجهل عنه الكثير واليسير ، وننكر على العرب وغيرهم من المسلمين اي محاولة في هذا السبيل ، وسلمنا بدون جدل لاعتقادنا انه ينافي الدين الاسلامي ولا يتفق مع تعاليمه ، وحالت هذه العقيدة دون اي بحث حول هذا الموضوع ، وبقي الناس كذلك يتحاشون طرق بابه ، الى ان قام منذ نصف قرن فريق من مستشرقي الغرب وعلماء الاثار بمعالجة موضوع الفنون الجميلة عند المسلمين فتوصلوا بدراستهم الى نتيجة تفوق ما كان مقدرا لها من النجاح ، فصنفوا عشرات المجلدات ، تشهد جميعها بفضل العرب وعنايتهم بفن الزخارف والريازة واستبعدوا انيكون لهم نصيب في النحت والتصوير ، وغمزوا قناة الدين الاسلامي الذي حال دونهم ودون التصوير ، مستشهدين بالايات الكريمة والاحاديث النبوية الشريفة التي حرمت على المسلم صناعة الصور والتماثيل ونهته عن اقتنائها . واين السبيل لمن اراد رد مزاعمهم وتفنيدها والنص حاضر والشاهد غائب . ولكن ابت الاقدار الا ان تظهر الحقيقة ، فيصبح وهما ما كنا نعتقده حقا ، وجاءت المكتشفات الاثرية في البلاد الشامية والعراقية والمصرية والابحاث العلميةالحديثة خير شاهد على فساد ما ذهبوا اليه في الماضي . واثبتت براهين جديدة ان النهضة الاسلامية كانت شاملة ، تناولت جميع نواحي الحضارة البشرية في العلوم والفنون على السواء كغيرها من امهات الحضارات التي سبقتها ، ونزهت الشريعة الاسلامية من ان تكون عثرة في سبيل تقدم العقل البشري ونمو مواهبه الطبيعية .

وقد ابتلى بحث التصوير عند العرب بالامتهان اكثر من اي بحث غيره فلا نجد في كتبنا القديمة اي اشارة اليه، اللهم الا ما اقتصرت عليه الكتب الدينية في كراهيته وتحريمه ، ولم يتوسع الفقهاء والمحدثون في بحث هذا النهي ، ولم يبينوا لنا وجه الحكمة في ذلك كما فعلوا في اكثر مباحثهم .

ان النصوص الدينية بالنهي عن التصوير مشهورة ولا تحتاج الى تعريف ، وعلينا ان نبحث مبلغ تأثير هذا النهي في العالم الاسلامي ومقدار العمل به في صدر الاسلام ، وذلك على ضوء الواقع والمصادر الاسلامية القديمة وما اتصل بنا من المكتشفات الاثرية الحديثة .

نقل الينا السلف بان العرب في الجاهلية قد زينوا البيت الحرام وجدرانه بصور الانبياء وصور الشجر والملائكة من بينها صورة ابراهيم الخليل وهو يستقسم بالازلام ، وصورة عيسى وامه عليهم السلام ، ولما كان يوم الفتح امر رسول الله بطمس تلك الصور فطمست الا ما كان من صورة عيسى وامه مريم فابقى عليهما الى ان ادركهما الحريق في عصر ابن الزبير . ونقل عن السيدة عائشة انها قالت كنت العب مع الجواري بالبنات عند رسول الله والبنات هي التماثيل الصغار التي يلهو بها الاطفال . وضرب الخليفة عمر الدراهم على نسق الكسروية وشكلها باعيانها وهي مصورة ، وضرب الخليفة معاوية دنانير عليها تمثاله متقلدا سيفا .

وكان بعض العرب في صدر الاسلام يصورون في بيوتهم الكلب والاسد والكبش للتطير . ونقش على فص خاتم رسول الله كتابة وتمثال .

وعندما دخل سعد ابن ابي وقاص بجيشه المدائن بعد وقعة القادسية سنة ١٦ ست عشرة هـ ، انتهى الى ايوان كسرى فصلى فيه صلاة الفتح واتخذه مسجدا ، وفيه تماثيل من جص ، رجالا وخيلا ، ولم يستنكرها احد ، وتركوها على حالها .

وكان العرب يتمثلون باحاديثهم الصور والدمى ، ويستشهدون بمحاسنها ، وقد جاء في شمائل رسول الله : كان عنقه جيد دمية ، شبه بها لتفوق صنعتها والمبالغة في حسنها . وانشد عمر بن الخطاب لعدي بن زيد :

كدمى العاج في المحاريب او كالـ بيض في الروض زهرة مستنير

ولا يسعنا الاستخفاف بمثل هذه النصوص التي اتينا على ذكر بعضها ، ونكر اهميتها لوجود نصوص غيرها تنقضها . وقد جاءت المكتشفات الاثرية الحديثة مؤيدة لتلك النصوص ، ودعمت الراي بتسامح المسلمين بصورة عملية بامر التصوير حتى في صدر الاسلام ، وانهم لم يكونوا وقتئذ ينظرون لهذا النهي نظر المتاخرين فيه ، مع انهم احدث عهدا بالاسلام ، واشد تمسكا باحكامه ، واوسع فهما لتعاليمه ، وبينهم الخليفة والصحابي والتابعي .

ومن اهم هذه المكتشفات نقود مصورة ضربت في عهد الخلفاء الراشدين وغيرهم من الخلفاء والسلاطين .

اكتشف في عام ١٨٩٨ في بادية البلقاء بقية حمام لقصر اموي اندرس اثره ، يعرف بقصير عمرة ، واعجب ما فيه رسومه الزاهية ، الملونة بالاصباغ تمثل صور اشخاص وحيوانات وطيور وراقصات عاريات متهتكات ، وطال الجدل بين العلماء في تحديد عهد هذه الصور الى ان اجمع الراي على انها من صنع العرب في اوائل العهد الاسلامي ، واعتبروه شذوذا وخروجا على الاسلام ، وبادرة يصعب تعليلها او التوفيق بينها وبين المتعارف من التعاليم الدينية الاسلامية ، وانه لا يصح اتخاذ هذه الظاهرة الجديدة سابقة يبنى عليها حكم . ثم توالت الاكتشافات الاثرية في البلاد العربية واكثرها من آثار خلفاء بني امية ، وهي حافلة بالصور والتماثيل وانواع الزخارف ، صنعتها دقيقة لا تكلف فيها ولا جهد ، تدل على مهارة الصانع ومواهبه الفنية وذوقه السليم .

ولو اردنا التوسع في البحث عن التصوير في العصر العباسي والفاطمي ومن جاء بعدهم لجمعنا من الشواهد ما يكفي مجلدا او اكثر . وقد جمع المرحوم احمد تيمور باشا جزءا منها جاء في مجلد كبير ، كما افرد الاستاذ زكي محمد حسن بحثا في مجلد عن التصوير في الاسلام عند الفرس ، وللاستاذ بشر فارس وغيره جولات في هذا الموضوع .

لا ازعم بان التصوير عند المسلمين عامة والعرب خاصة كان شائعا بينهم ومالوفا لديهم على ما كانوا عليه من تقدمهم من الامم الغابرة كالاغريق والفرس والرومان . وليس من شاني ايضا ان ابحث الموضوع على طريقة الجدل الفقهي لاقرار قاعدة حاسمة تتخذها حكما قاطعا ، فهذا من شان الفقهاء ، بل ابحث الموضوع على ضوء الواقع والشواهد الحاضرة .

ان تسامح المسلمين وخلفائهم وعلمائهم في صدر الاسلام في اتخاذ الصور وعدم استنكارهم لها ، تحملنا على اعادة التفكير في تفهم تحريم التصوير والنحت بالشكل المطلق الذي افرغه فيه ائمة المسلمين في النصف الاخير من القرن الثاني .

جاء الاسلام للقضاء على الجاهلية وعبادة الاصنام ، ووردت آيات التنديد بالانصاب والازلام والتماثيل في سياق كلام النهي عن تكريمها والذبح لها وعبادتها ، ولا اذكر آية صريحة بتحريم التصوير او النهي عن اقتناء الصور مجردة عن الطعن بالوثنية ، وقد وردت آيات شريفة يستنتج منها عكس ما ذهب اليه من حرم التصوير ، فقد اذن الله تعالى في احداهن نبيه عيسى ان يصور من الطين طيرا ، ويفخر عيسى في آية اخرى انه قادر ان يخلق من الطين طيرا ، وامر الله تعالى الجن ان تعمل لنبيه سليمان ما شاء من محاريب وتماثيل .

جاءت بعض الاحاديث النبوية صريحة بتحريم التصوير واقتناء الصور ، غير ان بعضها قد استثنى ما كان على بساط يداس او اي متاع غيره مما يمتهن . وقال بعض السلف انما ينهى عما كان له ظل ، او من صور الله تصوير الاجسام ، فمن صنع لغير ذلك لم يستحق الغضب من الله ووعيده . قال الجاحظ في كتاب الحيوان : « ان الفنان المسلم اذا تخيل صورا مستطرفة فكانه يلمح بلحظ الغيب الى ما يخلقه الله القدير من اشكال لم يبلغ اليهاعلم »

وقال الفارابي : « ان المصورات شريفة الوقع في الخاطر ، جليلة النفع للنفس احيانا . »

وقال الجاحظ في صدر الاسجاع : « وكان الذي كره الاسجاع بعينها لان كهان العرب الذين كان اكثر اهل الجاهلية يتحاكمون اليهم كانوا يتكهنون ويحكمون بالاسجاع ولذلك وقع النهي في ذلك لقرب عهدهم بالجاهلية ولبقيتها فيهم ، فلما زالت العلة زال التحريم . » وهذا التعليل يصح قوله قياسا في النهي عدا التصوير .

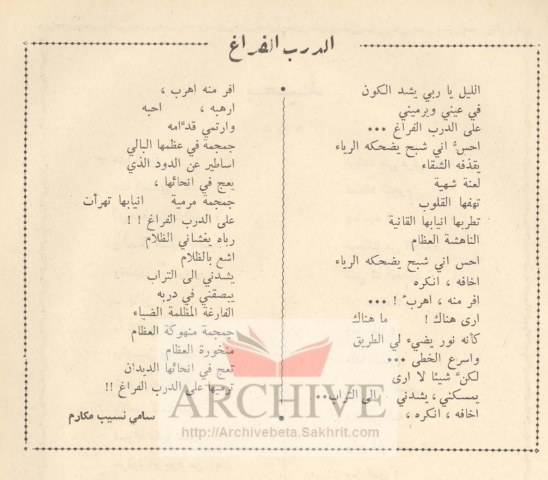
وقد وصف لنا اوس بن ثعلبة التيمي صورة جاريتين رآهما في تدمر في القرن الاول ، قال فيهما :

فتاتي اهل (تدمر) خبراني الما تساما طول القيام
قيا مكما على غير الحشايا على جبل اصم من الرخام

وقد شاهد ابو دلف هذه الصورة بعد مايتي سنة ووصف الجاريتين بقوله :

ما صورتان (بتدمر) قد راعتا اهل الحجى وجماعة العشاق
غبرا على طول الزمان ومره لم يساما من الثة وعناق

ولولا تسامح المسلمين من امر الصور لما سلمت هذه



الدرب الفراغ

الليل يا ربي يشد الكون
في عيني ويرميني
على الدرب الفراغ ...
احسُ اني شبح يضحكه الرياء
يقذفه الشقاء
لعنة شهية
تهفها القلوب
تطربها انيابها القانية
الناهشة العظام
احس اني شبح يضحكه الرياء
اخافه ، انكره
افر منه ، اهربُ ! ...
ارى هناك ! ما هناك
كأنه نور يضيء لي الطريق
واسرع الخطى ...
لكنَّ شيئا لا ارى
يمسكني ، يشدني الى التراب ...
اخافه ، انكره ،
افر منه اهرب ،
ارهبه ، احبه
وارتمي قدامه
جمجمة في عظمها البالي
اساطير عن الدود الذي
يعج في انحائها ،
جمجمة مرمية انيابها تهرأت
على الدرب الفراغ ! !
رباه يغشاني الظلام
اشع بالظلام
يشدني الى التراب
يبصقني في دربه
الفارغة المظلمة الضياء
جمجمة منهوكة العظام
منخورة العظام
تعج في انحائها الديدان
ترميها على الدرب الفراغ !!

سامي نسيب مكارم

التماثيل في موضعها معروضة للانظار ويتبارى في وصفها الشعراء .

يذهب البعض ان الاسباب التي قضت على التصوير وحرمته قبل ان يترعرع عند العرب هي دخيلة على الاسلام ، تسربت اليه من العناصر اليهودية التي دانت بالاسلام ، ويعتقد فريق اخر ان تخلي الاسلام عن تسامحه في التصوير كان بعوامل العقيدة المسيحية ، لما بقيت عندها فكرة تحريم الصور واليقونات ، وانتقلت في سنة ٧٢٦ م المنازعات بشأنها من روما الى القسطنطينية ، واعتنق الامبراطور لاون الثالث الملقب بمحطم الاصنام هذا المذهب ، وتحمس له وفرضه على شعبه ، وتمسكت الدولة البيزنطية بهذا المذهب الى القرن التاسع م. وشاع المذهب بين نصارى بلاد الشام ومصر وما بين النهرين وعملوا بتعاليمه وتعصبوا له. وبدأ منذ ذاك التاريخ زهد المسلمين بالتصوير واعرضوا عنه ، ولا نسلم ان يكون اتفاق ظهور مذهب تحريم الصور عند نصارى المشرق واختفاء الصور عند المسلمين من قبيل الصدف بل نعتقد ان بين هاتين الظاهرتين علاقة وثيقة تسمح لنا ان نجزم ان الاولى هي علة الثانية ، لا سيما متى عرفنا ان جميع عمال البناء وتوابعه من الزخارف والنحت والتصوير كانوا من النصارى .

وهذا من اهم العوامل التي قضت على فن التصوير وهو في مهده في بلاد الاسلام-لا سيما في بلاد الشام ومصر والعراق ، حيث كان للنصارى شأن كبير في اكثر مرافق الحياة ، وتأثر المسلمون بالمنزعات القائمة بين نصارى تلك البلاد وايدوا القائلين بالتحريم ، وهكذا ضاعت هذه الصناعة على الفريقين ، وتأصلت الكراهية في نفوس المسلمين على نحو ما نعرفه .

ورحم الله ابن خلدون حينما قال : « كثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وائمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا او سمينا لم يعرضوها على اصولها ، ولا قاسوها باشباهها ، ولا سبروها بمعيار الحكمة ، والوقوف على طبائع الكائنات ، وتحكيم النظر والبصيرة في الاخبار ، فضلوا عن الحق ، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط. » وقانا الله شر الوهم وجنبنا الخطأ.

دمشق — جعفر الحسني

بعيد

هذا البعيد
هذا الصدى
أي صدى ذاك البعيد ؟
والجبال السود كالعبيد
وقطعان من الورى
ما الافق ؟
ما تلامس الارض ؟
والشمس وما بعد ؟
شموس صنعناها
بالامس كانت لغيرنا
لسوانا تكبو تسير
حرقوا الوجود من زمان
ساروا على اجساد كبار
من حطّم السنين ؟
وبعد السنين ؟
وما بعد ؟
والسنون سحقناها
ركضنا بها
عشنا القرون
وما بعد ؟

تربّعنا على عرش الفضا
نصطاد النجوم
وما بعد ؟
ضحكنا من الجدود
تبني لنا الحدود
أي حدود ؟
وما بعد ؟
مللنا السنين
ودواليب السنين
والرأس أينه ؟
وأين أين القلب ؟
وما العين ؟
سرنا نقحم العمر
غيرنا سار الى السجون
وفي بطون السجون
وما بعد ؟
مللنا السنين
ودواليب السنين

ثريا ملحس

السيد الكامبياذور

بقلم الدكتور زكي المحاسني

ooo

« **السيد** » يقرب منا نحن العرب ، فاسمه من عندنا ، وحياته امتزجت بتاريخنا في الاندلس ، هو « رودريك » روي دياز ، البيفاري ، الملقب بالسيد الكامبياذور . وسماه عرب الاندلس « القمبيطور » و « الكنبطور » . احاط باخباره ضباب كان ينكشف حينا فيبدو ، « السيد » ضاحيا في المعركة متألقا بالشعر ، وحينا يستتر مثل الخيال .

مررت على اخباره في مصنفات الاندلس ، فاذا العرب ينظرون اليه نظرة شزراء مقيتة ، فلقد حملهم هو عليها بما صنع في امصارهم اذ خلف الدمار والتقتيل ، وراه مؤرخو قومه اعطية مجد ، وصاعقة حرب ، فاحاطوه بالتهاويل ، ونسجوا عليه التمجيد .

بدا ظهوره في اسبانيا ايام بني هود ، وكانوا اصحاب حاضرتهم سرقسطة ، كان شابا مغوارا تحدرمن دماءاسبانية وتمرس بالحرب والقتال ، قربه بنوهود اليهم لينضم الى مواكبهم في الحرب ، وكانوا يحاربون به جيرانهم العرب في جلاد ذلك العهد من ملوك الطوائف في الاندلس حين ضعف سلطان المسلمين ، وهب كل متسلط فيهم ينصب نفسه اميرا ولو في رقعته الصغيرة ، ويكون مملكة وجيشا في بلد او بلدين ، معتصما بالحصون ، وقد دب التخالف والنزاع بين هؤلاء الامراء ، فكانوا في عدوان مستديم ، يثب فيهم مدع على عرش ، او يقتل او ينبذ ويشرد . وتاريخهم في ذلك التنابذ والخلاف صفحات سود لم يشهد الزمن لها مثيلا في سير الامم ، فان الاسبان كانوا يتربصون بهم المتالف ، وضعفاؤهم يستعينون بملوك الاسبان . وكان هؤلاء يفرطون في النكايات بين العرب ليخلو لهم وجه الظفر ، وليستردوا منهم بلادهم التي احتلوها منذ اجتاز اليهم الفاتحان العربيان طارق بن زياد وموسى بن نصير .

وفي غمرات ذلك التخالف والتعادي بين ملوك الطوائف ، قام «السيد الكنبدور » بلعبته الكبرى فاذا هو يصبح في النصف الثاني للقرن الخامس الهجري احد ابطال الحروب الاسلامية الاسبانية ، فيشكل جيشا من الاسبان يأتمر بأمره ، وله اتباع ومندوبون ودار قيادة في سرقسطة لحماية مليكها من غوائل الجيران ، وكان صاحب سرقسطة في اواخر القرن الخامس الهجري « يوسف بن احمد بن هود » (١) متن صلاته مع الفونسو السادس ملك قشتالة ، وجعل يعاهده ويهاديه ، وكان « السيد الكنبدور » احد رجالات جيشه ، فاهداه الى بني هود يذود عنهم .

وكانت سرقسطة التي خدم « السيد » ملوكها حاضرة كبرى للعرب في الشمال ، تزخر هي وبلنسية بهم ، قامت فيهما حضارة عربية اخذت تراثها من الشرق من دارات امية ، ومرابع بغداد ، واكتست افواف الحضارة الاسبانية

لكن بني هود الذين سكنوا الى الفونس السادس والى « رودريك » لم يطل بهم هذا السكون ، فلقد كانت اطماع العاهل الاسباني بعيدة في استرداد ارضه ، فكان ان تنكر « السيد » لبني هود ، وطمع بمن جاورهم ، فتخطى الى بلنسية التي كانت تنعم بالهدوء ، وترمي باعينها الخائفة مثل طير يرصده الصياد .

لقد حاصرها عشرين شهرا، ثم دخلها صلحا، ففر منها القادر بالله ابن ذي النون وكان فيها لاجئا ، وكان يحميها قاضيها « ابو المطرف الجحاف » بعد ان اقره عليها ابن تاشفين ، ولم يكن «السيد» طامعا في حيازة بلنسية ليكون اميرها ، فقد كان بطوقه ذاك ، وانما طمع بالمال الكثير الذي تركه فيها القادر بالله عند القاضي الجحاف وكان فيه من الالطاف والتحف ما يساوي كنزا من الكنوز ، وهو تراث جواهر وعقود كانت لهارون الرشيد وهبها لزوجته زبيدة، ولما حدثت الحرب بين ابنيه الامين والمامون ، وقتل الامين وفي حوزته تلك الجواهر من صوب امه ، وقعت في ايدي النهاب وصار امرها الى تجار حملوها الى المغرب ، حتى صارت الى الخليفة الاموي ، عبد الرحمن الثاني ، ملك قرطبة وكان يجد هؤلاء الملوك في الاحتواء عليها ــ كما ارى من خلال تحليلهم النفسي ــ شعورا غيبيا فيه كثير من الفرحة والشماتة ، فقد عاشوا في المغرب يتلهفون على المشرق ، منذ اطاح بهم اهلوه وراء البحار ، ونجا منهم الامويون الذين اقاموا على الشواطىء الغربية مملكة للعرب في الاندلس . . وكان بين تلك الجواهر عقد من الفيروز المندور كانت تلبسه زبيدة ، وتزهو به بين نساء خليفةبغداد

كذلك عاش « السيد الكنبدور » عيشة محارب سالب ومناصرا لهم ، ثم خاذلا لعهدهم ، وشاقه ان يعيد في تاريخ الطغاة سيرة (نيرون) محرق روما . حين حرق بلنيسة وقاضيها وسادتها بعجيج النار وصار به عنتهالىان استقل بلنسية وضرب باسمه عملتها فلم يك تابعا لحكومة الاسبان ولا مظاهرا للمسلمين .

لقد كانت حياة « السيد » ملبوكة بالمعارك ، وكان شعاره قوله ، رودريك يخسر اسبانيا ، ورودريك يستردها « ولم يهنا » السيد باستيلائه على بلنسية طويلا ، فقد انهكه المرض وباتت نهايته قريبة ، فقد ارسل اواخر حياته جيشا لحرب المرابطين فهزم وتشتت شمله ، وانكسر باجمعه ، فاحدثت له هذه النازلة قهرا جسيما ، فمات سنة ١٠٩٩ للميلاد الموافقة لعام ٤٩٢ للهجرة (٢) .

وحاولت زوجته (شيمين) قريبة الفونس السادس ان تحكم بلنسية ، لكنها اخفقت قبل انقضاء عامين علىموت زوجها « السيد » فتركت بلنسية ، وارادت ان تحمل معها جثة « السيد » ثم بدا لها ان تحرقها ، وخرجت من بلنسية لا تلوي على شيء يعينها ملك اسبانيا ، وعيناها تفيضان بالحسرات متمنية الا تزور نهر الوادي الكبير .

ان اخبار « السيد الكنبدور » استقاها الباحثون اول امرها من التاريخ اللاتيني قبل عام ١٢٣٣ ، ورواحت حياة « السيد » وقصته خبرا مشاعا في اغاني الشعب الاسباني ، وانسكبت ، خلال السنين المتعاقبة ، في روح

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، للمقري .

(٢) كان مولده عام ١٠٣٠ للميلاد .

(٣) طبعة « كالب » بمدريد سنة ١٩٥١ ص ٠٩٦ .

Poema de mio Cid, Par Ramon Menéndez Pidal

ملحمة شعبية سميت «قصيدة السيد» Poéma de mio Cid وقد وضع فيها « رامون ميناندز ـ بيدال » عميد الادب الاسباني المعاصر كتابا منفردا ، درس فيه تاريخها الشعبي، والف بين ابياتها ، وقد رويت في ثلاث اناشيد (cantar) ونظر الدكتور بيدال ما في هذه الاناشيد من عناصر روح « السيد » وشواهد التاريخ ، وذكر الترجمات الحرفية لها من اللفظ الاسباني القديم الى اللغة المعاصرة ، وتعري ما فيها من اسباب الغناء والرقص الشعبي والحماسي ، وكيف قلدت في الادب الفرنسي ، وما احاط باناشيدها من الابهام وما لها من القيمة في الفن والتاريخ (٣).

لقد روق (رامون بيدال) هذه القصيدة الشعبية ونسج عليها ادبا عالميا رفعها الى مصاف الملاحم الاسطورية فهي اليوم ترداد كل لسان مثقف باسبانيا ، تبعث في النفوس ذكرى حروب « السيد » ـ العتيقة ومغامراته في الانتقام والغرام ، وكانت هذه الملحمة لا تخلو ، كما يقول عميد الادب الاسباني نفسه ، من مقاطع ظهر فيها المسلمون اعداء لا بد من قتالهم .

لقد اوحت حوادث الحب في هذه الاغنية الشعبية التي كانت ملحمة الاسبان مسرحيتين شعريتين ، وضع اولاهما الشاعر الاسباني « غيوم دوكاسترو » سنة ١٦١٨ فمهد السبيل بعمله الادبي للشاعر « كورنيه » سنة ١٦٣٦ الذي اعطى ادب امته اغلى منحة مسرحية في الشعر الكلاسيكي وكان القدر سخره لتخليد « السيد » بمسرحيته الرائعة ، وقد احتفظ كورنيه بالطابع القديم لسيرة «السيد» ولزم الاسماء التي وردت في ملحمته الاسبانية وفي مسرحية دوكاسترو، لكنه ادخل على الحوادث اسهابا وتنويعا ومفاجآت اقتضاها الفن المسرحي الكلاسيكي ، وقد ادار حوادث مسرحيته على البطلين « رودريك » الذي هو « السيد الكنبدور » و « شيمين » محبوبته ، ولقد اساء والد شيمين وهو « دون غوميس » الى والد « السيد » وهو « دون دييج » اذ صفعه على وجهه ، وكانا اقطاعيين كبيرين فلم يستطع الشيخ دون دييج لوهن جسمه ان يرد الصفعة ، فندب ابنه « السيد » لينتقم له من ضاربه «الكونت» . فتقدم رودريك يحدوه الشرف الى مبارزة دون غوميس والد محبوبته ، فقتله .

وهنا يهب اعصار الرواية ، فتنقلب « شيمين » ، على « السيد » وتشكوه الى الملك ليقتله بقتل ابيها منكرة حبها « للسيد » . وكانت تراه قبل فعلته الآثمة ،منية الحياة وامل الروح ، ولم يرهب رودريك ، فقد تقدم اليها بسيفه وهو يقطر بدم ابيها طالبا ان تأخذ هي بيدها الثأر بقتله ، معلنا انه قتل اباها ليمسح عن مجد ابيه تلك الصفعة المهينة ، وليكون في نظرها جديرا بالمحبة والاجلال .

وتتعاور على مسرحية « السيد » لكورنيي خمسة فصول عنيفة ، من ارق ما جاء فيها هذه النجوى المحزنة من حوار بين السيد وشيمين .

لم خلف لنا اباؤنا الاما ودموعا ؟

من كان يتصور ما نزل بنا ، يا رودريك ؟

من يمر بخاطره مصابنا ، يا شيمين ؟

ولا يجد الصفاء سبيلا الى القلبين المتحابين . فيبرز الى المسرح منافس جديد هو « دون سانشو » خاطبا لشيمين ، فيتصدى له رودريك ، يدفعه عن حبيبته بالمبارزة ، فيحكم الملك الاسباني بين الرجلين بان من قتل الآخر فله العروس شيمين .

ثم لا تلبث شيمين ان ترى بعد المبارزة ، وهي والهة مرتاعة ، دون سانشو ماثلا معافى . فتكاد تصرع . وتهجم عليه ، ضاربة على صدره بيديها ، لانه قتل حبيبها الاوحد ، وفي ثورة قلبها المفجوع ، تعلن انها تحب «السيد» على الرغم مما اقترفت يداه ، واذا بالسيد رودريك يبرز لها من وراء سارية وهو حي سليم .

لكن دموع شيمين لا تجف على ابيها ، فيمهلها « فيرناندو » ملك كاستيليا سنة قبل ان تزف الى «السيد» حتى يتاح لدموعها الغالية ان تجف ...

وقد صور النقاد الغربيون مسرحية كورنيه (انها نشيد الرحيل الى عهد عظيم حافل ببطولات الادب والتاريخ)، وكانت فجر العهد التحليلي لنوازع النفوس في الشعر والنثر والقصة ، والروايات المسرحية ، حيث تصطرع المحبة والبغضاء ، ويتقاتل الغرام مع المطامع ، ويسود الشرف والاباء والواجب كل شيء...

ودخلت في تعابير الادب العالمي عبارات وابيات من هذه المسرحية التي كفلت لشاعرها الخلود فارتقى كلامها في بعض روائعه الى درجة القول المأثور ، والحكمة البالغة، ومن اجمله قول « السيد رودريك » وهو يبارز والد حبيبته دون غوميس :

انني فتى ، حقا ، ولكن النفوس الكبيرة ، لا تنتظر من اقدارها عدد السنين ...

وما كدت افرغ من موضوع « السيد الكامبياذور » حتى تصورت ابا الطيب المتنبي شاعرنا الخالد البطل ، الذي كان يقول مثل « السيد » :

فما الحداثة عن حلم بمانعة قد يوجد الحلم في الشبان والشيب

دمشق — زكي المحاسني

العين المغيضة

O

غيّضوا ماءك يا عين
وقد كان نميرا
ينقعُ الغلّة
ان جفّت سعيرا
ذوّبه ثلج
وكوثرْ
من فم الزهر مُقطّر
يسكبُ النعمة في الاحشاء
والبردَ المعطّر
اثقلوا صدرك بالطين جحودا
خنقوا منك النشيدا
غيّبوا ماءك في العتم
وأمس كان نورا
يملأ الليل خيرا
فالتوى الحور ذبولا
بعد ما كان نديّا
وظليلا
والطراوات مضت
والنّغَمات
والرؤى
والوشوشاتُ
والمواعيد على مائك

في صمتِ العشايا
وصبايا
بجرارٍ تتثنّى
لهوى راعٍ جميل
يتغنّى
بجمالات قرانا
ههنا أيتها العينُ
نما حبّي الصغيرُ
وسما مني الشعورُ
وتغنّيت ، مع الليل ،
بسمراء شهيّه
ونديّه
فجّرت ذاتي سناء
ورجاء
ومضى ايتها العين
الذي كان غراما
وهياما ...
ووفاء الحبّ قد غاض نقيّا
كمياهك
باقيا سرا دفينا
في شفاهك !

فؤاد الخشن
من اسرة الجبل الملهم

الحرية والطوفان

بقلم جبرا ابراهيم جبرا

○○○

قبل بضع سنين اجتاحت الادباء العرب فكرة نقلت عن جان بول سارتر . وكان سارتر قد بلورها في اثناء سني الحرب الثانية ، في محاولة لتبسيط بعض اجزاء الفلسفة الوجودية ، مستمدا نواتها من الادب الماركسي الذي انتعش في الثلاثينات . وقد سميت بالعربية بالالتزام وكانت التسمية موفقة ، لانها سهلة الحفظ ، سهلة التكرار، قوية الوقع ، وجعلت الكثيرين يعتقدون انها تعين لهم المشكلة والاتجاه معا . وانهال الادب « الملتزم » على قراء المجلات وجعل النقاد من « الالتزام » قسطاسا في الحكم ، وراحوا يرددون اللفظة في كل سطر ويقرنونها بالتفوق .

حسب الاديب ان يشير الى مواضيع الساعة ، ولا سيما مواضيع العرب الخطيرة ، لان يعد انتاجه « ملتزما » ، وبالتالي ، ممتازا . وفي غمرة هذا الالتزام الفجائي ، اختلط الامر على الكاتب والقارىء معا . فكلاهما ناقم ، وكلاهما يريد بلورة نقمته ، وكلاهما يتشوف للتأمل في صورة عصره وجماعته ، منعكسة في ادبه . فخيل اليهما ان « الالتزام » يحقق ذلك لانه يعني التزام قضايا المجتمع .وما كان لدى سارتر في اول الامر تعيين الفرد لموقفه من الظروف المحيطة به ، توكيدا على حريته ، انمسخ الى ضرب من الوعظ السياسي . فبدا للكاتب والقارىء معا ان قضية اليوم جماعية لا فردية ، وان الاديب من استطاع ان ينطلق عبر ذاته وينصهر في المجموع ، اذن فالفرد منغلق على نفسه، منكمش، متهرب ، ما دام هو لا ينطلق وينصهر. والالتزام معناه ، ان يضم الكاتب صوته الى صوت الكورس، ان يشارك في المأساة على صعيد الشعب . اما من يقف على جانب ، ليقول غير ما يقوله الكورس ، فناشز الصوت ، او انه يحاول وقفة البطل في الوسط ، يريد من الكورس ترديد ما يقوله هو او التعليق عليه ، ومثل هذا البطل غير ملتزم ، فردي ، مغلق ، الى آخره .

وهكذا انتقلنا ، في كثير من الحماسة ، من عموميات الجيل القديم الى عموميات الجيل الجديد . واصبح الاديب مثل من يصرخ في وجوهنا ، يذكرنا كل يوم بما نعرفه ونقاسيه كل يوم ، دون ان يوضح القضية بنور جديد ، دون ان يتغلغل اكثر مما نستطيع نحن القراء بتجربتنا المحدودة الى الخفايا والبواعث المعقدة والاكاذيب المحكمة وراء ستر السياسة والنظريات الدعية. وبدلا من انعام النظر ، والنفاذ الى الدقائق النفسية اللامحدودة ، والقوى المغيرة المطورة الخافية ، راح يقدم لنا الخطوط العريضة الظاهرة من جديد . ولكننا نتساءل دائما : هل وصلنا برؤية جديدة ؟ هل خلق لنا شخصيات ومواقف تتبلور فيها تجربة العصر ؟ واذا كان ملتزما هل خلق لنا شخصيات نذكرها ، لان لكل وجهها وتقاطيعها ، ولكل طبيعتها التي لا يمكن التكهن بها من اول مجابهة ؟

« نريد من الكاتب التزاما لعصره بهذا المعنى : ان عليه ان يدمج في انتاجه ، الذهن والشعور المعاصرين على اعمق مستواهما . غير ان الوجود العميق في العصر ليس معناه الوجود في وسط الضوء الكاشف ، والادعاء بالزعامة او الفطنة السياسية ، والتلاشي في اعنف التيارات العامة . فالانزواء والصمت، قد يكشفان له منابع تعكس الفترة التي يعيشها على مستوى اعمق من ذلك الانتاج الذي، باصراره على الالتزام او التجند للقضية ، لا يبعد الا خطوة واحدة عن كلام الجريدة اليومية » .

هذا ما قاله وليم باريت في مقال عن الوجودية عام ١٩٤٩ . فهذا « الوجود العميق » الذي قد يأتي عن « الانزواء والصمت » دون « التجند للقضية » بالضرورة (مهما تكن « القضية ») فيه التزام يتعدى ما يطالب به الدعاة ، لانه يحافظ على وضوح الرؤية لدى الاديب . والرؤية في هذه الحالة موجهة نحو حالة الانسان . وقد فطن سارتر لذلك (كما نرى في « الغثيان ») ، غير ان الاحتلال الالماني لفرنسا ابان الحرب العالمية الثانية جعله ، كما جعل البير كامو ، يؤكد على المعنى السياسي المباشر للالتزام اذ لم يكن « للوجود العميق » مكان فعال في فترة نضالية قريبة الاهداف .

غير ان الشق الاهم في ضرورة الفعل الوجودي هو ولا ريب القلق . انه القلق الفردي الناجم عن ضرورة حرية الانسان ، عن ضرورة الاختيار لديه ، واخيرا عن سعيه المحتوم نحو الموت . وسواء أكان هذا القلق الوجودي منتهيا الى العدمية (كما هو عند سارتر وكامو) او الى تمجيد الله (كما هو عند الوجوديين المسيحيين ، من كركغارد الى غبريل مارسل) ، فانه الدافع الاهم في الخلق . وظاهر ان الروائيين الكبار الذين يضعهم سارتر في عداد الوجوديين كدوستويفسكي وتشيخوف وفوكنر — يتميز ابطالهم بالقلق ، اكثر من الالتزام . وهذا القلق في ابطالهم ، او هذه التباريح ، او ما يدعوه دوستويفسكي في « الاخوة كارامازوف » « ضربات السياط » ، امر شخصي ، فردي ، داخلي ، ينتهي الى فعل عنيف يؤثر او لا يؤثر في الاخرين. قد يؤدي هذا القلق المضني الى التزام سياسي او لا يؤدي، وقد يكون هذا العذاب نتيجة الالتزام او لا يكون ، غير انه منفعل في معظم الحالات بعشرات المؤثرات الاخرى من احاسيس دينية ، وكبريا عائلية ، وتعصب عرقي ، وغربة فكرية ، وفقر ، ومرض ، وتهتك ، وادمان ، وتمرد .

ولذا ، وان عمت فكرة الالتزام اكثر الادب الاوروبي بعد الحرب الثانية (فيما عدا الانكليزي) ، فهو ادب يرفض الخضوع للبرامج النظرية) فانها في فرنسا نفسها اوشكت على التلاشي في اوائل الخمسينات ، في حين بقي القلق — وقد يسمونه الغضب او الرفض — عاملا مهما في الرواية .

اما البير كامو فقد انطلق من الالتزام الى فكرة اخرى فارقت بينه وبين سارتر : لقد انطلق الى التمرد ، بينما اضطر سارتر اخيرا ، بعد الوقوف وحده ، الى الانضواء الى الشيوعية . ولئن يكن في التمرد عند كامو عنصر من الالتزام في انه ما زال يصر على عدم التهرب ، فانه يتجاوزه الى كشف عن حقيقة الوضع الانساني ، والضمير الانساني ،

(١) هذه الدراسة قدم بها الاستاذ جبرا مجموعة الاستاذ حليم بركات « الصمت والمطر » التي ستصدر قريبا في منشورات مجلة شعر ببيروت

ابصر واعمق مما سبق ، ايام عبثه العدمي . فالتمرد على الظلم والعنف في راي كامو ، لن يكون الا شرا اذا توخى هو ايضا تعميم الظلم والعنف في تحقيق غايته . والعنف المسموح به لدى المتمرد يجب ان تكون غايته محدودة ورقعته محصورة ، يتحكم به الضمير ضمن نطاق انساني يؤكد دائما على كرامة الفرد . ولذا فالتمرد عند كامو لا يعمل بدافع من الواجب الموضوع المقرر الذي يلاشي شخصيته ، بل بدافع الامانة لتمرده الشخصي ، للحفاظ على قيم الكرامة الفردية ، دون الرضا بوسائل الشر لتحقيق ما لم يثبت بانه خير . وهكذا يصر المتمرد على العدل ، على عدم التمسك باقصى اليمين او اقصى اليسار لتحقيق برنامج مفروض . ففي الطرفين افتئات لحرية الانسان ، وتهيئة لمقدم الجلاد .

ولعله كان من المحتم ان ياتي هذا كله برد فعل يناقضه كل المناقضة ، فيجتمع ادباء الفرنسية في مؤتمر يعلنون فيه عن ثورتهم على الالتزام ، وعن لجوئهم من الخارج حيث القضايا العامة ، الى الداخل حيث القضايا الخاصة ، حيث يواجه الانسان ضميره وكيانه ، حيث يرى ذاته عارية ، وقد امتلأت شهوة وخوفا وتوقا ، ازاء الله . وقد كان لصموئيل بكت اثر حول الكثير من الابداع الفرنسي في مجرى جديد . وابطال صموئيل بكت ، كما في روايتيه « مولوى » و « مالون يموت » ، ومسرحيته « في انتظار غودو » ، افراد لا ينتمون ، مستوحشون ، غرباء تراهم على قارعة الطريق يجادلون غرباء آخرين وينتظرون من ينقذهم من غربتهم — دون جدوى .

فالسبب في قصر عمر الالتزام كمذهب ادبي هو انه يتوخى السياسة اكثر مما يتوخى الانسان ، ويستهدف المجموع المبهم اكثر مما يستهدف الفرد المحدد . فهو له خطورته في الاوضاع الناجمة عن احتلال امة لامة ، مما يخلق الكثير من مواقف الازمة القصوى التي يجابه الانسان فيها بضرورة الموت او القتل من اجل الغير ، من اجل المجموع . فاذا زال هذا الوضع ، وانصرف المجتمع الى اعادة تركيبه السياسي والاقتصادي ، احس بالنقاهة ، ثم العزيمة المتجددة ، وتلا ذلك صراع داخلي على السلطة كثير الظواهر والدوافع . ولكن يصاحب ذلك ايضا تيقظ الضمير الفردي ، وحركة العين لا من الخارج الى الخارج باستمرار ، بل من الخارج الى الداخل وبالعكس فيحس الانسان بضرورة تفحص ذاته ودوافعها ، وكذلك تفحص العلاقة بين هذه الذات ودوافعها من جهة ، وبين المجتمع وتركيبه واتجاهه من جهة اخرى .

فالالتزام اذن تبسيط لقضية الادب ، واجتزاء لها . لان قضية الادب — كما نرى من دراستنا للشعر والمسرحية والرواية منذ اقدم العصور — هي قضية الانسان ، بكل ما فيه من تعقيد في السلوك والتفكير والشعور والبواعث والاهداف والعلائق . واذا لم نرض نحن عن الكثير من ادبنا المعاصر ، فليس ذلك لانه فردي وغير ملتزم ، بل لانه رخو ، مصطنع ينطق بلسان مائع ، يتناول زبد العواطف ولا يجروء على الغوص فيها ، يكتفي بالظواهر والحفافي ويجبن عن مواجهة النتن والتفسخ في القلب ، او يعجز عن بلوغ القلب لضعف العدة وبلادة المبضع . هذا فضلا عن ان الجزء الاكبر من ادب النصف الاول من هذا القرن كان من خلق القواميس ودواوين الشعر السالفة : يغرر به اللفظ القديم ، فيقف حائلا دونه ودون حقيقة الانسان .

ان الاديب اليوم ، بمجرد عيشه في هذه الفترة الثائرة ، المتطلعة الناقمة ، المتجسسة على خصوصياته ، الحاصرة هويته في بطاقة صفراء فيها صورة فوتوغرافية كالحة ، العاجة بالثروة للبعض ، المريعة بالجوع للبعض الاخر ، الفاصمة المجتمع اكثر من اي وقت مضى ، هو جزء ، طائع او غير طائع ، من هذه الفترة . فهو اذا لم يتمرد وينتصف الى كيانه الفردي ، سيفقد وجهه وملامحه ، وباسم الانسانية ، او باسم التقدم ، او باسم الحرية ، او باي اسم اخر يستغل سحره المذهبيون ، سيمحق فيه كل ما يميزه من رؤية خاصة للحياة او فهم للتاريخ او تعاطف مع البشر . واذا فني الفرد هذا الفناء الذهني والروحي ، وجعل وحدة اخرى طيعة وحنجرة اخرى تردد ما يردده المجموع ، اي امل يرجى للانسان ، للخلق ، للحضارة ؟

ويتحتم هذا التمرد العادل كلما اشتد الصراع السياسي نفسه . وهو الان في بلادنا على اشده . لقد طغت السياسة على حياتنا طغيانا اخذ علينا كل مسلك ، وغمر بيوتنا ومكاتبنا وشوارعنا ، وكل زاوية من حياتنا ، بحيث ما عدنا نرى البشرية الا من خلال هذا الطغيان ، واصبحنا في امس الحاجة الى شيء من سلامة الفكر ، الى شيء من الصحو ، نرى به ما الذي يحدث لانفسنا ولافراد مجتمعنا بالفعل . فما من شك في ان القوى التي تغير وجه قومنا وبلادنا ، لم تكن يوما في نشاط كنشاطها اليوم . لم تعرف مدننا هدما وتضييقا للقديم وبناء وتوسيعا للجديد كالذي تعرفه اليوم . ومع ذلك لم تعان مدننا قلقا كالذي تعانيه اليوم . والاضطراب السياسي قد ادى الى قلقلة مريعة في القيم وتمزق شديد في النفس ، يجب على الاديب ان يكون متيقظا لهما ، متصيدا لتفاصيلها . لم يلهج عصر بالحرية مثل هذا العصر ، ولم يحرمها بقدر ما حرمها هذا العصر : يمينا ويسارا وفي المركز . وفي غمرة البرامج النظرية التي تتشدق بها كل فئة استشرى فساد من السلطة المطلقة والثروة المشبوهة والرياء المركب ، لا يستطيع ان يغفل عنه كاتب القصة . وفي اثناء هذا وقع الفرد بين الارجل ، ليجرجر من هنا وهناك ، وغزت كيانه وتفكيره لا اجهزة الحكم في كل بلد فحسب ، بل الوسائل الجماعية الطاحنة للذهن : من اذاعات ، وجرائد ، وسينما . والشجاع من يحاول ان يقيمه على قدميه ازاء هذا السيل الطاغي ، ويعيد اليه كرامته . وللقاص ان يكون صاحب هذه الشجاعة ، بتصويره هذه الحالة المعقدة ورؤيته ، من خلالها ، مصير الانسان ، رؤية خلاقة .

* * *

اشد ما اكرهه هو فرض البرامج على الكتاب . كل برنامج قيد جديد . حسب الكاتب قيوده المجتمعية والسياسية والدينية والتراثية والسيكولوجية ! علينا ان نعطي القاص فرصة القول وحريته على اوسع نطاق ، ثم ننتظر .

اننا نقاسي شحا في الابداع ، وعلينا ان نخصب هذه

(٢) حتى الادباء الروس بعد موت ستالين تمردوا على ما فرض عليهم من التزام ضيق ، كما نرى في رواية ايليا اهرنبرغ « ذوبان الثلج » ورواية دودنتسيف الاخيرة « ليس بالخبز وحده » .

التربة ، ونستنبع جلمودهـا ، ونهيب بشبابنا ان تأملـوا وانتجوا ! وسنرى حينئذ ان الحكم على الانتاج لن يكون : ملتزم هو ، ام غير ملتزم ، لاننا بافتراضنا انسانية الادب اصلا وجوهرا ، نكون في غنى عن مثل هذا السؤال . لن يكون سؤالنا الا : اجيد هو ام رديء . وسوف نجـد ان مقاييس الجودة ليست نهائية مسبقا ، لانها تتكيف بموجب كل انتاج اصيل جديد ، فتكون بذلك وسيلة لتعزيز النمو والاندفاع ، لا وسيلة للكبت والتجميد . غير اننا نستطيـع ان نستخلص من احسن القصص الموضوعة حتـى الان ، عددا من هذه المقاييس ، اود ان اذكر اربعة منها ، ارى فيها اهمية خاصة وعلاقة مباشرة بقصص هذه المجموعة لحليم بركات : الاستكشاف ، الشخصية ، نقد الحياة ، الشكل .

اما الاستكشاف فهو دلالة الحركة ، دلالة الانطلاق ، وهو كذلك محك الموهبة : فبعض موهبة القاص ، عـين شديدة الملاحظة ، نفاذة الرؤية ، ونحن كقراء نريد مـن يستصحبنا في سفراته الفكرية والتصويرية ، من يطلعنا ويسمعنا ، لانه دائب الحركة ، دائب البحث ، يتوغل في الازقة المظلمة ، ويقتحم الابواب المقفلة ، يمعـن النظر ، ويرهف السمع . والاستكشاف لا يجري في الخـارج الواقعي فقط ، بل في الداخل ايضا ، في مطاوي النفس والدماغ ، في متاهات الوهم التي لا يتخلص منها الانسان. ليس يكفينا ان نقول ان الحياة لغز ، وانها عجيبة ، وانهـا غادرة ، وانها كذا وكذا . نريد مجابهة اللغز والعجيبـة والغدر والسمو والشهامة : ان القاص الذي لا يستطيـع اقحام نفسه في مواضع الرعب والشر ، لن يستطيـع ان يدخل مواضع الفرح والخير . لنركب سفينة « بيكوود »مع هرمن ملفل ، ولنبحث عن « موبي دك » الحوت الابيـض العملاقي الرهيب : انه يبغي هلاكنـا مع الربان آحـاب . لنبحث عنه ، لنقذف بالرمح في قلبه ، خلال جلده السميك

وهذا الاستكشاف ، في القصة ، لن يكون مقنعا اذا لم تقم به شخصيات تتكامل مع تكامل القصة . فالشخصية هي لولب الحادث ، ووسيلة الاستكشاف . وقد تكـون الشخصية نفسها هدف الاستكشاف . فكلما طال وقتنـا برفقتها ، وجب ازدياد النواحي التي تتعرف بهـا . واذا النواحي في النهاية تتصل وتتواشج ، واذا نحن نرى مـا يرمز الى تعقيد الوجود والضمير ، واقفا بكل تعقيده بـين ايدينا . اما اذا اخفق القاص في خلق شخصيات لها وجوهنا وايدينا والسنتنا ، فقد اخفق في اكثر مسعاه .

وفي هذه الاثناء يكون القاص ، بشكل غير مباشر ، قد خرج بنا بنقد للعصر والمجتمع ، بل بنقد للحياة كما يدركها. وفي هذا النقد مزالق ومهاو يجب الحذر منها ، لانها قـد تصرف القاص عن قصته ، قد تصرفه عن الحوادث والوصف والحوار التي يستكشف بها ويستقصي ، ويبني بهـا الشخصية . يجب ان يكون التعليق والتقييم امرا ضمنيا منطوى ، متصلا دائما بطبيعة الاشخاص ونوع الحوادث . ولذا يهمني جدا ان يكون بين اشخاص القصة من هو قوي النطق ، فيستدل من تجربته ، او ييسر لنا الاستدلال .

ونحن اليوم اميل الى ايثار المغضب على المعجب ، الا اذا كان في الاعجاب ما ينقر اوتار الفرح في نفوسنا بشدة رنانة . لعل الغضب هو سمة هذا العصر كما كان التشاؤم سمة العصر الاسبق في ادب الغرب . ولكن مهما تكـن حصيلة هذا النقد ، او التقييم ، او السخط ، يجب ان يتوفر فيه ، فضلا عن الشمول والعمق ، ذلك الشيء الذي يعجز عنه كل تحديد : ذلك الشيء الذي رغم انغراسه في الخاص والاني يستطيع نثر فروعه في المطلق ومـا يتعدى الزمن . واذا انعدم ذلك ، انعدمت الطاقة التي ترقى بالخلق نحو الخطورة والعظمة . فالقاص الكبير هو الذي يعيد الينا الاحساس ببعض الخواص الاصيلة في الوجود ، وبعض الصراع بينها : صراع الخير والشر ، المحـل والخصب ، الواحد والجماعة ، الانسان والالهة . يجـب ان يذكرنا بصيحة الالم وصرخة الغضب والتهليل لرب الحياة والموت ، فنقول مع اونامونو : ليحرمنا الله راحة البال ويمنحنا مجد الحياة!

واخيرا ، الشكل . فكل ما ذكرناه ما هو الا العناصـر الاولية ، التي لا تؤلف قصة الا عندما يتذكر القاص مسالة « الشكل » . والشكل ليس مجرد قالب يعـين حدود الموضوع الخارجية . الشكل هو الخارج والداخل في ترابط وتماسك وتعاكس . والقصاص العربي لم يحذق صنعتـه حتى الان . لانه اغفل الشكل او لم يتقن بعد صياغته . كل شيء في حياتنا يكاد يكون مادة ملائمة . ان نظرة واحدة الى « المحليات » في اية جريدة تقنعنا بان حيـاة الناس ، مهما يكن مستواها ، تعج بالطيبة والمكر والاباء والغضـب والرذيلة والحماقة والشفقة . ولكن على كاتب القصة ان يعرف كيف ينتقي ويفرز ويستثني ويجمع ، وكيف يجعل كل ما يستخلصه متصلا على مستويات عدة ، جذورا وفروعا . وكيف يجعل من المجسدات رموزا لمجردات ، ثم يدمج هذه الرموز كلها في شكل ضاف مشدود . وهـذا الشكل هو الذي سيفرق القصة ، آخر المطاف ، عن التقرير الاجتماعي او التاريخي . هو الذي سيجعل من سلـوك الطالب والتاجر والموظف والمتسكع والمجرم والعذراء والبغي والمحارب والمستكين والمتمرد فنا فيه الشرارة الكامنة ، وفيه بذرة الديمومة .

حليم بركات ، صاحب هذه المجموعة ، هو من تلـك الفئة القليلة التي استطاعت ان ترى كل هذا . فقد انطلـق حليم في كتابته من مرتكز فلسفي : « حريتي لا تنفي حرية الاخرين » ، الى ما يمكنه من تمحيص هذه الفلسفة فـي حياة الفرد اذ تجابه بحياة الاخرين . انه يغوص في وعي الفرد معريا اياه ازاء ذاته ، ليرى التوزع والتمزق الـذي يعانيه في محاولته التأكد من حريته . وهي حرية مهددة دوما . فبطله ، مهما تكن نقطة البداية عنده ـ الحب او الافلاس او الثلوج او صفارة الحكم ـ تجابهه مطلقـات ومنتهيات تعبث به ، او تبغي ارغامه وقهره ، وفي كل هذه الحالات عليه ان يتصلب ازاءها ويكشر عن اسنانه في وجهها

وحليم بركات ابرع من ان يحقق البطولة في اشخاصه تحقيقا سهلا خاويا . فهي ليست بالضرورة بطولة الظفر ، بطولة القضاء على الاخر . كثيرا ما تتحقق في اختراق ذهن الاخر ، في تمزيق القناع الذي يستر به الاخر فراغـه . والمؤلف يبحث بدقة قاسية وعينه تفحص فحصا لا يقبـل الخديعة ، فيجعل قصته انعكاسا للتوتر القلق الدفاع بين الداخل والخارج ، بين الوهم والواقـع ، بين فـكرة الام اللاجئة التي تسمي خيمتها « البيت » وبين فكرة الابن الذي يصيح ، ولو في باطن ذهنه : « ما هذا البيت ؟ جهنم . ربك ورب البيت ! » ، وقد تترك الازمة على توترهـا ،

أسفار

○○○

أصختُ لقول الناصح المتفضّل « تنقلْ فلذات الهوى في التنقلِ »
وطوّفت عبرَ الخافقين فلم أجد منازل تُغري الأصغرين بمنزل
أفي ناطحات السحب أعقلُ همتي ومسرحها بين (الدخول فحومل)؟
وماصلتي بالغرب، والشرق محتدي وفيه جمالٌ ليس في المتجمّل ؟
عفاءٌ على غاب المداخن، سئمت مدائن ، والتمدين عنها بمعزل
تجرّد انفاس الصَبا من عبيرها وتكسو محيّا الكائنات بقسطل
تقلّبتُ في الأسفار حتى مللتها وضاقت مجالاتُ الورى عن تجولي
أمتّع عيني بالجديد الذي ترى وليس جديداً ما يُرى بالتخيّل
مشاهد تكفي نظرةٌ لاجتلائها وسطرٌ لتدوين انطباعات مجتل
يعود الفتى منها الى غور نفسه فيعجب كيف النفس لم تتبدّل ؟
وكيف استمرّت روحه في ظمائها أتظما وقد مرّت على الف منهل ؟
عليَّ يمين ! ما نعمتُ برحلة كرحلة فكري للفضاء المسبّل
هناك سماءٌ لا تكلفني السرى تواجهني ، حوّلتُ أو لم أحوّل
هي الفن، كل الفن في دَرّ درّها هي الحسن كل الحسن في ثوبها الحلي
وما الشعر الا روحة في بروجها على ضوء نجم بالغمام مجلّل
غدوت اذا عنّتْ لياليّ سياحة لزمت مكاني ... مشرئباً الى عل !

جورج صيدح

بالرفض كما في « الرمال » ، او تفك بالمثابرة حتى الموت كما في « لن يقف الثلج في وجهي » ، او بمصالحة عنيفة مرعبة كما في « الصمت والمطر » .

ولئن يكن بين الانا والاخرين قطبية فعالة ، تعيننا في البحث والاستكشاف ، فان حليم يحاول ايضا الدمج بين الاثنين ، ليؤكد انهذه القطبيةليست قطبية العداء المطلق والموت ، بل القطبية التي توجد في ثنائية الحب والكره ، في مجمع الضدين . وهذا الدمج بين الاناوالاخرين بين الذات والاشياء ــ ومن خلاله تتكشف لنا شيئا فشيئا رؤية جديدة ــ لا يقتصر على تفاصيل الشخصية والحادث، بل يمتد الى اسلوب تصويرها . فتصبح اللغة عند حليم بركات شيئا وثابا ، سريع الحركة ، سريع الضرب ، سريع الجمع . فتفعل الالفاظ والعبارات ما تفعله اليد والعين الباحثتين ، فتندفع وتنفذ وتلتف وتعلو وتهبط ، الى ان تجسد الفعل ، وتجعله يشف عن اغواره ، في وقت معا :

« ... وبصق عندما مرت كلمة « الناس » في راسه. كل همهم ان يظهروا عيوبه . صاحب المطعم ما استطاع ان يدرك انه قوي ورشيق . لم ير غير الوسخ على وجهه . وشريف ... علمه ابن عمه تهجئة الحرف . لو لا هذا لا يساوي بصقة . في المرة القادمة لن يسكت . سيضربه ، سيحطم راسه امام الجميع » . وحالما يبلغ خالد هذا الحد من قوته على تحطيم الرؤوس يتذكر « خيال ابي سلمى (حبيبته) » ولا شك انه سيحطم راسه ايضا . ولكن الخيال « تلاشى اذ زلت قدمه وسقط في الوحل. » وللحال ندرك ان هذا السقوط الفعلي ، ينم عن سقوط في الوحل في الداخل ايضا . لقد حصرتنا الحياة بين كلابتين من

جبرا ابراهيم جبرا

[التتمة في صفحة ٨٥]

بوابة الخشب

بقلم الياس خليل زخريا

ο ○ ο

ركبوا على ارض بيتهم في الجبل بوابة من الخشب

وسمروا ، في دقة الصيانة ، على بوابة الخشب اسلاكا من الحديد المشبوك المشوك

وناموا ليلهم كانهم التلة تنام في الطمانينة على جنب الجبل

او كانهم الضباب يتكوم وحده في اواخر النهار على مساحب الكتوف ومساقط النظر

شدوا حلقات السلسلة السوداء

واوصدوا عليها مماسك القفل الثقيل

لا العابر يعبر ... ولا المتسلق يتسلق

قفل مكين في بوابة الحديقة

وقفل امكن في باب البيت

وقفل دقيق في باب الغرفة

... ولكانوا سدوا لولا الهواء ، والحياء ، مزلقة المطبخ بمدقة الجرن

ويا للعجب..

كيف تحول بيتهم الى شغل دائم على تخوف دائم .

كانهم يخافون حتى من الهواء الصامت اذا ما تحرك او تململ ، او دفع بالنافذة او ارتعش فجاة في مطارف الستائر .

وكيف بهم اذا تراءى لهم الشبح ، او ضج بهم السياج ، او انقطع فيهم الضوء . وغمرت العتمة الدنيا ولم يبق في التنصت الا رجع الصدى على مفارغ السواد .

ويا للعجب ..

كيف صاروا يخافون ؟ !

... وكانت قلوبهم في الشجاعة ، من قبل ، اقوى من الحديد ، واصلب من الحجر ، وانفذ من الضوء .

كانوا ينامون في بيوتهم القديمة ، وابوابهم مشرعة على النوافذ ، ونوافذهم مفتحة على الليل ، وليلهم مطمئن على دبيب الارض ، وارضهم .. ويا لهناء ارضهم ... كيف كانت مصونة من غير سياج ، محصنة من غير حصن ، محفوظة من غير خوف ، مباركة من غير منة ! !

ويا لهناء ارضهم كيف كانت تنام العيون على شرفات ترابهم ، لا تدب منها الى بصائرهم افعى الشك ولا يتسرب منها الى خواطرهم شبح العتمة ، ولا تنكسر فيها اجفانهم على تعب السهر وغبار الخوف .

... مستسلمون الى وضوح ايمانهم وبساطة قلوبهم ، ونقاء نفوسهم .

يرفعون اعتاب بيوتهم على اعمدة الفطرة ، ويربطون في الريح قرميدهم الاحمر على الشموع ومسارج الزيت .

ويفكرون ... وقد تغذى فكرهم من خروف الارض ومعانيها ، ونهلت نفوسهم من ينابيع السماء ونجومها القريبة .

... يوم كانت السماء على مد الاصابع ، وكانت الارض على ضيق العين ، وكان الانسان لا يستقي القوة الا من كتاب القوة في صلاة التقوى ، واخبار الابطال ، وحكايات الانبياء ، واسفار الشهداء والالهة .

... وثقة لا تحدها ثقة

... وايمان لا يتغلب عليه الايمان

... وانفة ، بطولية ، ابتدعت في معارجها الاساطير ، وكونت في ابراجها الفروسية ونبعت منها الطمانينة الكامنة ، بحيث صار الدرج من غير قفل ، والباب من غير مفتاح ، وبوابة الحديقة من غير اسلاك ولا سلاسل ولا حلقات سلاسل .

* * *

ثم غرفنا من الصفائح ما غرفنا

وسكبنا في نفوسنا من آلات المعرفة ما سكبنا

وتفجرت في ينابيعنا الينابيع ، وهدرت في انهارنا الانهار

وتفتحت فينا التاملات ، وتجنحت الخواطر ، وتطاولت الهموم

وتحركت الارض وكانت في قدمها عندنا ، على فطرة عقولنا جامدة ثابتة

وتحركت السماء ، وكانت على ازليتها ، في مباسط خيالنا ، مقيمة قريبة دانية .

وتقلقلت في ضمائرنا سلم التطلع

ونمت فينا ذاتنا نموا سريعا على عرضه وطوله .

وتشبكت الصور وتعددت المنافس ، وتلوت المسارب ، والمشارب ، وفاض فينا الطمع

وانفصل بنا الليل عن النهار .

وصرنا ونحن نخاف من الناس انما نخاف من الضعف المفكر المقيم في صدورنا .

واصبحنا ونحن نوصد الادراج ، والابواب ، والحقائب ، كاننا نتخيل الجوع الواعي وهو يثب ، والعطش المتجهم وهو يتململ ، والجراة الكامنة المجرمة وهي تعتدي وتتحدى .

* * *

كانت امه في الجبل لا تقفل باب البيت ليل نهار

مفتاح بيتهم من الخشب ، وقفل بيتهم من الخشب

حتى قبو الزيت لم يكن له سياج يحميه ولا اسلاك تصونه

حتى درج الاساور والخواتم والهدايا لم يكن له قفل ، ولا مزلاج ،

حتى مفتاح باب الكنيسة الكبيرة كان معلقا بالشجرة امام بيتهم يأخذه من يأخذه ويعيده من يعيده .

كانوا ينامون وكانما يد خيرة قوية

الصدى

ooo

ما متُّ لا ... والموت بعدي   واظل من حلم ، وسهدِ
وصداك ، ان هلَّ الفناء ،   يشع في أعياد وجدي
ومتيم ، عبر الدنى ،   فدَّيت كل نوى وصدِ
قلبي ، لديك يحن ، والاطياب ،   في التعذيب عندي
هل غبت انتِ ، فتاه سحر   المنتهى ، عن أي ورد
أم زلزلت رغب ، واهوت   وشوشات" فوق وعد
تنأين ... والاوجاع هدهدها   الهيام ، برف ببرد
من شدو آنٍ يرتمي ،   ويزول بين هوى وشهد
ينساب توقك ، والنداوة   تشتدي فيه ، وتبدي
رعشات دفء ، فتحت ،   في مشتهاها كل رغد
اعتل فيك هنا ، وفيك مباسم"   لكئيب سعد
أهفو ... أهيم الآه حرمانا ،   والقى التيه يجدي
وحدي ، ورجع البوح منك ،   يسومني ، فأطيب وحدي
طرب ، وأمرح في الرضى ،   بمرنَّحٍ ، شوق ، وغرد
في كلِ كلِّ أنتِ ،   ملء الحب ، من قرب وبعد

جورج رجي

تحمي بيوتهم في غيابهم العميق .

لم يكن يخاف في الجبل الا يوم كان ينزل بهم الضيف ، فلا يجد عندهم ما يحسن فيه الضيافة والتكريم .

* * *

ثم تغير الزمن وتغيرت مع الزمن حجارة البيوت

وكثرت عندهم المحابر والاقلام

وتطاولت رفوف الكتب على رفوف الكتب

ولم يعد يقرا في المزامير ولا في كتاب العهدين ...

ولم يعد يتغذى من ينابيع القوة الواضحة ومصادر الايمان النيرة .

ما زالت الكنيسة في القرب من بيتهم تفيء منها على شرفتهم قبة الصليب

وما زالت وحدها في القرية معلق مفتاحها على شجرة الزلزلخت

اما البيوت في القرية فقد تحولت الى حصون او قل الى سجون مغلقة على سجون

كانت ادراج بيتهم في عهد الطمانينة مملوءة بالخيرات فصارت في عهد الشك ، والخوف ، والمعرفة، فارغة ، من الثروة ، متعطشة الى الطمانينة

صاروا على فقرهم اشد خوفا منهم على الغنى

قلت سرائر الثقة ، وتهدمت دواوين الشجاعة ، وصار داؤهم في قلوبهم ينخر كما ينخر الهم في عزائم الكبار

ويا لعيب النفس ..

كيف ضارت النفس من ضيقها تخاف اشباح الليل

كانت الثروة ، كل الثروة ، في اننا لا نخاف

فصارت الثروة ، كل الثروة ، في اننا نكاد لا ننام من الخوف

... متى نعود ...

متى نحطم بوابة الخشب ونتنزع قفل الباب وننام وقلبنا على يدنا ، وجبهتنا مع الليل على اودية الجبل.

الياس خليل زخريا

بقلم فاضل السباعي

كاميليا

ooo

ازوت « ام حسين » في ركن الصالة ، وقد احتضنت حفيدها الصغير تتردد انفاسه واهنة تعبى ، على حين كانت « كاميليا » تقول للنسوة :

ــ ... والناس كلهم اخوة ، ولازم يتحابوا .. لماذا تغتاب المرأة جارتها؟ ما خلقنا الله لنتخاصم .. العمر ماض .. لنمضه في المحبة ، والوئام ، والسلام .. الرسول محمد قال تحابوا ، والمسيح حضنا على السلام

وارتفع صوت امرأة عجوز من اقصى الصالة :

ــ اتحبين سيدنا محمد كثيرا ، يا كاميليا ؟

ــ احبه كثيرا . ولم لا ؟

ــ لكن ، انت مسيحية !

ــ ولو . الانسان لا يسعه الا ان يحب المصلحين الطيبين ...

فهزت النسوة رؤوسهن من قناعة وتبسمت ام حسين بسمة عريضة وهي تتطلع الى كاميليا .. انها تحبها وتنصت باعجاب الى حديثها العاطر الذي لا تفتأ تنثره على النساء اذ يتجمعن في الصالة صباحا في انتظار « الدكتور » .. فتراهن كاميليا ينممن ويدبرن المكائد ولا يهدأ لهن لسان ؛ فلا يكون منها الا ان تقف في باب الغرفة ، في حلتها البيضاء النظيفة ، وتخوض في حديثها العاطر ذاك ناشرة الوية المحبة بين النسوة .

كاميليا بنت صبية ، حلوة ، واسعة العينين ، مطلية الشفتين . احبتها ام حسين . تمنتها لولدها . فحسين مسكين ! ماتت زوجته من ثلاثة اشهر . كانت « سامية » بنتا طيبة تسمع الكلمة . ولكن ، يا خسارتها ! وضعت « بدري » .. واغمضت عينيها في هدوء اغماضة الوداع . بكاها حسين يا عيني طويلا . تألم المين : أله لفقد الزوجة ، وأله ليتم الصغير ! انه اليوم بلا زوجة ؛ وبدري من غير ام ؛ وام حسين محتارة . والله كاميليا بنت حلال ، مليحة . لقد قصت عليها خبر موت سامية ، فحزنت لذلك كثيرا . انها تعرفها ، تعرفها جيدا . فقد جاءت معها مرة الى « المستوصف » وهي حامل ؛ فعاينها الدكتور ، واعطتها « المديرة » الدواء ، وقالت لها كاميليا : « ارتاحي يا سامية ، في الفراش ... لاتتعبي نفسك .. انت حامل . » ؛ فردت عليها سامية : « ومن تقوم بشغل البيت ؟ » ؛ فاجابت كاميليا : «حماتك .. (والتفتت اليها) : يا ام حسين .. ريحي سامية تضع لابنك صبيا صحيحا ! » .. وقد اراحتها ام حسين . لم تدعها تشتغل في البيت . ومع ذلك ماتت سامية . وضعت بدري وماتت . مسكين حسين ! يعود من عمله في المساء متعبا ، فلا تؤنسه زوجة ، ولكن يفري قلبه بكاء الصبي . من يوم موت امه وهو لا يرضع . يصدف عن كل ثدي . ويقلح .

وعندما اقبلت به ام حسين في المرة الماضية الى هنا ، تلقفته كاميليا وضمته الى صدرها بحنان ، فسكت . والله كاميليا مليحة . حدثت ابنها عنها . قالت له انها تحض النسوة على عمل المعروف وتنهاهن عن الغيبة عندما يتجمعن في صالة الانتظار ويسلقن الغائبات بالسنة حادة ؛ فقال لها حسين : « والله هالمخلوقة مليحة ، ما في مثلها .. « يا مو » (1) ، دبري لي اياها حتى تربي هالطفل ! » ...

وصحت ام حسين من خواطرها عندما دخلت المديرة المستوصف . كانت المديرة سمراء نحيلة حلوة ترتدي « تايور » ابيض من حرير . صبحت بالخير المنتظرات . ثم بصرت بام حسين في اول الصالة ، فسالتها عن بدري ما اذا كانت قد تحسنت صحته ؟ فاجابتها ام حسين :

ــ ان شاء الله ، احسن .

فتناولته المديرة برفق ، وطبعت على جبينه قبلة خفيفة .. فاشرق وجه الصبي وافتر ثغره عن بسمة عريضة .

ــ لا . صحتــه تحسنت ، يا ام حسين .. انظري كيف يضحك !

ــ والله ، يا « خانم » ، ما خلاني البارحة انام .

ــ وماذا فعل هالنونو الصغير ؟

ــ صار يبكي .. والله ما خلاني انام .. وابوه ، ما عرف طعم النوم يا عيني عليه ..

فقالت المديرة ، وقد زوت ما بين حاجبيها تصطنع زجر الطفل :

ــ آه منك ، يا صغير يا عفريت .. سنعرف الان كيف نشفيك .

وناولتها اياه . ومضت الى صبية في حجرتها طفل لعله اخوها . وسألتها عن حاله بعد الدواء ؟ فاجابت بانه قد شفي ، وهي قادمة لعرضه على الدكتور حسب توصيته . ورفعت المديرة صوتها منادية كاميليا . فاطلت هذه من احدى الحجرات :

ــ نعم ،

ــ هل وصلت الادوية ؟

ــ اجل .

ــ هيئي غرفة المعاينة . الدكتور على الطريق .

وفيما كانت المديرة تدور على النسوة تتفقد اطفالهن ؛ كانت ام حسين تمعن بها امعان المعجب المشوق حقا ، ان الدنيا لا تخلو من طيبين ابرار . والا ، فما الذي يجعل هذه السيدة الرقيقة تمضي نصف نهارها في المستوصف بين المرضى ، تترك شؤون منزلها لتسأل عن هذا الطفل وذاك ؟ ؟ وانها لتدير المستوصف جميعا ؛ فتهيىء للاطفال الفقراء المعالجة وتعطيهم الدواء الشافي بالمجان ، بدون مقابل ، سوى دعاء حار تلقيه الام في سمع المديرة فينطلق الى ابواب السماء . قالت المديرة ان شفاء طفل مريض في مستوصفها ينسيها جهد العمر كله . ولقد رأتها ام حسين ، في بعض المرات ، تدمع عيناها تأثرا وهي تدور على الاطفال . يا لها من

(1) تصحيف يا امي .

انسانة ! قالت مرة انها سعيدة بخدمة الاطفال ، فالطفل يكبر ويغدو يافعا يساهم في بناء الوطن . الا انهاتشكو من ان « المساعدات » للمستوصف تتناقص ، مما يضطرها الى ان تسد العجز من جيبها كل عام ، وقد دفعت من قريب قسطا من اجرة المقر . وقالت انه اذا ظلت المساعدات شحيحة فربما فكرت في اقفال المستوصف!! ترى ، لو اقفل المستوصف ، من ذا الذي يعالج اطفال الحي ؟ ان الناس هنا لا يملكون اجر الطبيب وثمن الدواء ، وان المديرة لتحقق لهم ذلك على خير وجه . جاءت الى حيهم منذ اعوام . هي التي اختارت هذا الحي. قالت ان سكانه رقيقو الحال . وهي اسست جمعية خيرية لمعالجة الطفل الفقير في الحي الا ان المساعدات تتناقص . سألتها ام حسين مرة: « من ذا الذي يدفع المساعدات ، يا خانم ؟ ». فأجابتها المديرة : «الاغنياء يتبرعون بالمال ، ودوائر الحكومةتمنح الدواء». طيب ، ولماذا يريد الاغنياء ان يقللوا من تبرعهم ؟ ليظلوا طيبين . انهم ينالون الثواب على كل حال : دعاء من ام ملهوفة يساوي ملكالدنيا

واقبل الدكتور بقامته المديدة ، يتابط في يسراه حقيبة ، وعلى عينيه نظارة مذهبة . ودخل حجرته . وبعد قليل خرجت كاميليا الى النسوة تنبههن الى الدخول بـ « الدور » ، وان اولاهن ام حسين . فسرت ام حسين منها . انها تحبها . تتمناها لحسين . سوف تخطبها في انصرافها بعد قليل . ستقول لها ان حسين معجب بها ..

وصاحت كاميليا :

ــ ام حسين .. تفضلي ، دورك

فقامت ام حسين ، وحفيدها بين يديها . كانت تتجلبب بملاءة سوداء وترخي على راسها حجابا . ودلفت الى حيث الدكتور . قال لها :

ــ كيف حال الولد ، يا ام حسين ؟

انهم يعرفونها جيدا .

ــ والله ، ما خلى عيني ترقد .. طول الليل يبكي ، يا دكتور !

ــ خير ؟ لماذا ؟ فكيه لارى ...

فحلت ام حسين الرباط عن الطفل ، بينما جعلت كاميليا تميط عنه ارديته الكثيفة . فمد الطبيب اليه يده يتحسس بطنه وخاصرتيه . ثم شد السماعة الى اذنيه وتنصت الى دقات قلبه . وقال :

ــ الولد ما فيه شيء .

فقالت ام حسين مؤكدة :

ــ والله ما خلاني انام .. وابوه ما ...

ــ خذي هذا الشراب ، واسقيه منه ملعقة صغيرة قبل كل رضعة ، يشف . ثم تعالي خبريني .

وعندما جعل يكتب لها الوصفة ، كانت تدعو له وهي تقمط الطفل :

ــ الله يعطيك العمر والرزق ، يا دكتور .. الله يكافي اولاد الحلال.. الولد يتيم .. ما له ام ، يا حسرتي !

وتطلعت الى كاميليا تساعدها في لف حفيدها بعناية الام الرؤوم . لقد احبها حسين بمجرد سماعه عنها . انها خير ام لبدري . صحيح ، هي غير مسلمة . ولكن الاسلام لا يمنع .

وقادتها كاميليا الى حجرة الصيدلة فسألتها المديرة :

ــ ماذا قال الدكتور ، يا ام حسين؟

ــ قال ما فيه شيء .. لكن والله ما خلاني انام ..

ودفعت اليها بالوصفة . فقرأتها المديرة . ثم مدت يدها الى الخزانة البلورية ، وعادت بعلبة مغلقة فيها زجاجة الشراب ناولتها لام حسين ؛ في حين كانت تقول لها كاميليا :

ــ لا تنسي ، يا ام حسين ...

اي والله. لن تنسى . ستخطبها ... فاضافت كاميليا :

ــ ملعقة صغيرة قبل كل رضعة .

وقالت المديرة مودعة :

ــ مع السلامة ، يا ام حسين .. بالشفاء ان شاء الله .

ــ الله يسلمك ، يا خانم .. الله يخلي لك اولادك .

وتطلعت الى كاميليا تسير الى جوارها تهدهد الطفل .

ــ كاميليا .. بنتي..

ــ نعم ؟

ــ حكيت لحسين عنك .

فاتسعت احداق كاميليا . وقالت تسأل :

ــ ماذا حكيت عني ؟

ــ قلت له : كاميليا بنت حلوة ، مليحة ، طيبة ، تحب بدري ، وتحض النسوان على عمل الخير .. فصفق بكفيه وقال : يا مو ، دبري لي اياها « ابوس » يديك .. هذي عروس مليحة ، ما في مثلها .. اخطبي لي اياها ، يا مو ، الله يخليك .. من شان هالطفل اليتيم .. يا مو ، اخطبي لي اياها .. هذي عروس مليحة..

فتبسمت كاميليا . وقالت :

ــ العفو .. ما في شيء من هذا..

ــ لا والله . انت حلوة علىاصلك. ما في مثلك. ابني احبك . قال لي : اخطبي لي اياها .

ــ لكن .. انا مسيحية ، يا ام حسين ! انا كاثوليك .. روم كاثوليك

ــ ما عليه ، بنتي .. حسين قال ، دين الاسلام لا يمنع .

ــ صحيح . لكن ..

ــ بنتي .. والله حسين ما في مثله .. زينة شباب الحارة .. اما رايته ؟ طول وعرض وصحة وشباب

ــ لكن ، يا ام حسين ..

ــ ماذا ، عين خالتك ؟ والله حسين ما في مثله .

ــ لكن .. انا مسيحية ، يا ام حسين .. لا يجوز.

وانفلتت من امامها وقد ناداها الدكتور . فلحقتها ام حسين :

ــ ماذا تقولين ، يا كاميليا ؟

فجعلت كاميليا تردد وهي تدلف الى حجرة المعاينة :

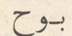
ــ لا يجوز ، يا ام حسين .. لا يجوز ...

وعندما غدت ام حسين في الشارع وبين ذراعيها حفيدها بدري ، وفي كفها زجاجة الدواء .. كانت تفكر بكاميليا : الصبية الحلوة ، تخطبها لابنها حسين ، الذي ماتت زوجته مخلفة هذا الطفل الصغير من غير ام ترعاه !

كاميليا بنت مليحة . لسوف تعيد الكرة وتخطبها لحسين . فكاميليا بنت مليحة ...

حلب — فاضل السباعي

من « الاصدقاء »



ooo

طلبت « منشورات عويدات » من الدكتور نقولا فياض ترجمة « انت وانا » للشاعر الفرنسي بـول جيرالدي شعرا على طريقته الخاصة في ترجمة الشعر ، فشرع فيه وهذه القصيدة الاولى من الـكتاب الذي سيصدر قريبا :

•

أحبكِ يا ميُّ حب الجنونْ
احبـك حبـا يفوق الظنون
فهل تعلمين

احبك ••• هذا كلام معادْ
وما كان يومـا يؤدي المراد
ولكن احبك••• كيف العمل
احبك••• والحب غير الغزل
فهل تدركين

وهلمِ ن سبيل لان تكشفي
مجاهل نفسي وان تعرفي ؟
فما في الحروف بيـان يفي
افتش ، ابحث عن قافيــه
تغذي الامـل

فليس صحيحا بـان القبلْ
هي الكافيةْ
أحس على الصدر عبئا ثقيلا

وكم أتمنى الحديث طويلا
لاشبع روحي واروي الغليلا
فان الحياة حياة الـكلام
تفرّج عن كربة المستهام
اريد الكلام ، اريد ، اريدْ
وكيف اعبرّ عمـا اريـد
ولكن •• اذا انقاد لي خـاطري
وجئت بملحمة الشاعر

فهل كان ذلـك أغنى لسانا ؟
اجيبي •• وهــل كان اجلى بيانا ؟
من ان اضمكِ نحو صدري
وابثَّ في اذنيـك سـرّي
واقول في نشر ولفّ
واعيد الفاً بعد الف :
يا ميُّ انت مناي ، انتِ
أنتِ

نقـولا فياض

المجتمع العربي في تطوره

بقلم الامير مصطفى الشهابي

ooo

لعل ابرز ما نلاحظه (١) في مجتمعنا العربي الحديث انما هو ذلك التطور الذي يحصل تدريجيا في تفكيرنا وفي وسائل معالجتنا لمختلف شؤوننا الاجتماعية . فمنذ بدء نهضتنا الحديثة في القرن الماضي اخذنا نشعر بما في مجتمعنا من ادواء ، وجعلنا نلتمس لها الناجع من الدواء ، مقلعين عن الاساليب الغيبية الخاطئة ، ومتبعين الاسلوب العلمي الصحيح في محاكمتنا لمشاكلنا الخاصة والعامة على اختلاف اشكالها وانواعها . وكل الذين تتبعوا سير هذا التطور في تفكيرنا قد لاحظوا ان اصحاب الاوهام والخرافات والاتكال بلا عمل يقل عددهم رويدا رويدا في مجتمعات بلادنا العربية ، وذلك على العكس من اولئك الذين امسوا يدركون الصلات بين المعلولات وعللها فان عددهم في بلادنا آخذ في ازدياد .

ومن الطبيعي القول بان هذا التطور في التفكير كان نتيجة منطقية للشدائد السياسية التي اطبقت على بلادنا ، وللعلوم الحديثة التي جعلت تنير عقولنا ، ولتنازع البقاء الذي حملنا على التفتيش عن القوت بالوسائل الناجعة ، بغية العيش عيشة كريمة في معترك الحياة .

واذا القينا نظرة عجلى على مجتمعنا العربي في شتى بيئاته ، ومختلف طبقاته ، امكننا ذكر بعض امثلة عامة على ما حصل فيه من تطور بطيء او سريع .

ففي التعليم زال عهد الكتاتيب في بعض اقطارنا العربية ، واخذ يزول في بعض ، وصار عهدنا اليوم عهد المدارس الحديثة على مختلف اغراضها ودرجاتها . وصرنا نرى في كثير من المدن والقرى ان حرص العامة على تعليم ابنائها العلوم الحديثة لا يقل عن حرص الخاصة على ذلك ، ونرى ان هذا الحرص قد نشأ في رؤوس العامة نتيجة لادراكها فوائد التعليم الحديث ، ورجحان العلوم الحديثة على غيرها .

ولقد عرفت في دمشق وفي القاهرة عددا من الاميين البسطاء الفقراء يقدمون على تعليم ابنائهم في المدارس الابتدائية والثانوية حتى العالية ، وما تكلمت معهم مرة في هذا الموضوع الا الفيتهم حانقين على آبائهم ، لان هؤلاء الآباء لم يهتموا بتعليمهم ، والفيتهم جادين في امر تعليم ابنائهم لكي يباهوا بهم ، ولكي يمهدوا لهم بالعلم سبل العيش الهنيء .

وفي الطب زال عندنا عهد الدجالين والعطارين او كاد يزول ، واصبحت شرائعنا تعاقب الدجال الذي يتخذ التطبيب صناعة له . ومن المعلوم ان تطور تفكير العامة في هذه الناحية يكون بطيئا، لان في بعض الادوية والمداواة القديمة فوائد لا تنكر . ومع هذا نرى في عدد كبير من المدن والقصبات ان افقر الناس واجهلهم يفضلون التداوي عند الاطباء كلما تيسر لهم شيء من المال ينقدونه الطبيب ، او يشترون به الدواء ، وهم بعد مدركون ان الطب الحديث مرجح على الطب القديم .

وفي الشؤون المالية والاقتصادية نرى اننا لم نكن الى عهد قريب نستثمر اموالنا الا في اعمال فردية ، على حين ان هذه الاعمال ، جلت او دقت ، لا يمكن ان تكون عظيمة في ذاتها ، او كبيرة في فوائدها ، والسبب بسيط يعرفه اليوم كل انسان ، وهو ان الفرد في بلادنا قلما يملك من المال ما يتيح له القيام بجليل الاعمال الاقتصادية ، وان اشتراك رؤوس الاموال هو الذي ييسر ايجاد هذه الاعمال ، ولهذا راح الماليون والاقتصاديون عندنا ينشئون الشركات المختلفة في اغراضها واشكالها ، وبدانا نرى كثيرا من مرافقنا الاقتصادية ينتقل رويدا رويدا الى ايدي ابناء جلدتنا . وربما كان تطور المجتمع العربي في هذه الناحية اسرع من تطوره في النواحي الاخرى . وربما يعزى السبب الى ان معظم الناس في كل عصر وفي كل مصر يكونون اشد عناية بالمال منهم بالامور الدنيوية السائرة .

وفي الزراعة امسى كل واحد منا يعرف ان الارض مهما تكن خصبة ممرعة فهي قلما تكون مغلالا كثيرة الريع ، ما لم يكن فلاحها صاحبها ، او ما لم يكن لفلاحها حصة من غلاتها تتيح له العيش عيش الكرام بعرق الجبين . ولعل بعض المستمعين من الزملاء الافاضل ما برحوا يذكرون توصية كنا اتخذناها في الحلقة يوم كانت معقودة في القاهرة سنة ١٩٥٠ . وهي توصية كانت تقضي بالعمل على تحديد حد أعلى لايجارات الاراضي الزراعية ، وحد ادنى لاجرة الفلاح العامل في ارض غيره ، ولا سيما في مثل مصر حيث تضائل الارض بفلاحيها ، وحيث استأثرت قلة من المالكين بمعظم ريع الارضين . ولقد سألت عقب انتهاء اعمال الحلقة وزير الشؤون الاجتماعية في تلك الايام هل سيتمكن من استصدار قانون يجيز العمل بتلك التوصية فاجابني بانه سيبذل في هذه الغاية اقصى جهده، حتى اذا استعصى عليه تحقيقها ، عمل على وضع ضرائب تصاعدية كبيرة على الارض الزراعية تجعل كبار مالكيها يفضلون بيع اراضيهم على دفع معظم ريعها ضرائب للحكومة . وكانت مغبة ذلك الحديث انه لم تمر مدة قصيرة حتى قرات في الصحف المصرية ان الوزير قد اقيل من الوزارة ، وعلمت انه اتهم بكونه وزيرا احمر ! وسواء كان الوزير الملمع اليه احمر ام كان ابيض فسرعان ما حصل التطور المرغوب فيه ، مذ حقق رجال الثورة المصرية تلك الاصلاحات الزراعية المعروفة التي تعد في ذلك القطر الشقيق من اجل الاعمال واكثرها نفعا .

ومن المعلوم ان التطور السياسي الذي حصل في البلاد العربية كان وسيكون من ادعى الاسباب الى حصول التطور الاجتماعي فيها . ففي الشرق العربي انتقلنا في اقل

---

(١) خطاب القاه الامير مصطفى الشهابي في حلقة الدراسات الاجتماعية التي عقدت دورتها الخامسة في عمان . وكان الامير يمثل جامعة الدول العربية فيها . وقد خص « الاديب » بنشره .

(٢) واخيرا اممت القناة بجهد الرئيس جمال عبد الناصر ورجاله الاشاوس.

(٣) كان ذلك يوم اقيل الجنرال جلوب رئيس الاركان . (٤) اعلن بعد ذلك استقلالهما . ولكن الجيش الفرنسي ما برح يحتلهما . ولا بد من ان يجلو عنهما

من نصف قرن من رعايا دولة عثمانية لا تعترف رسميا بكياننا القومي ، ولا بلغتنا الضادية المضرية، الى دولةمستقلة كان يشوب استقلال بعضها انتدابات ، ثم صارت دولا مستقلة استقلالا صحيحا . وقديما قطعت مصر قلب العالم العربي سلاسل الحماية ، ثم اجلت حديثا جيش الاحتلال عن القناة(٢) . ومنذ قليل تحقق في هذا البلد العربي العزيز الذي نجتمع فيه ما طالما تاقت اليه النفوس ، فاذا بجيشه العربي الباسل يصبح عربيا خالصا حتى طابق فيه الاسم المسمى(٣) . وبالامس استقلت ليبيا والسودان ، واليوم اوشكت تونس ومراكش ان تبلغا ما تصبوان اليه من استقلال (٤) . ثم لا بد من ان تنجلي محنتنا في فلسطين الحبيبة على ما نريده نحن لا على ما يريده الاعداء ، ولا بد من ان تنجلي ايضا محنة القطر الجزائري عن رد حقوق ابنائه المجاهدين الصابرين اليهم حتى يعيشوا في بلادهم أعزاء احرارا .

ان التفاعل بين التطورات السياسية والتطورات الاجتماعية يعد من الامور الواضحة التي لا تخفى على احد . فلولا الشدائد السياسية التي حاقت بنا ، واهمها قضية فلسطين الشهيدة ، لما عرفنا ان الظلم الذي يحصل بالقوة لا تدفعه الا القوة ، وان السبيل الى القوة لا يكون في الاعمال المرتجلة ، ولا في الاعتماد على وعود الدول الكبرى ، ولا في الركون الى القرارات السياسية للامم المتحدة ، وانما يكون في العمل المستديم المنظم على رفع مستوى المجتمع العربي علميا وخلقيا واجتماعيا واقتصاديا وصحيا ، عن وعي وتعقل وعقيدة وطنية راسخة في القلب لا طائشة على عذبة اللسان فحسب .

لقد انشئت جامعة الدول العربية لتنظيم هذا العمل المستديم في شتى نواحيه ، وما اجتماعاتكم في دوراتهذه الحلقة ، على ما تعلمون ، الا لمدارسة ناحية او اكثر من هذه النواحي . فالبحث في مواضيع التكافل والتساعف والتامين ، وفي مشاكل الريف والبادية ووسائل انعاشهما ، وفي تهيئة المدرسين والخبراء لشتى صنوف التعليم والتثقيف ، وفي مشاكل المال والصناعات ووسائل التوفيق بين العامل ورب العمل ، وفي دراسة المجتمعات المحلية على اختلافها ، وفي غير ذلك من البحوث الرامية الى رفع مستوى الحياة وتجنب مساويء الفقر والجهل والمرض ، كل هذه المدارسات تدل على حصول تطور واضح في تفكيرنا ، وعلى تقدم ملموس في حرصنا على الاخذ بالوسائل العلمية الحديثة في معالجة النهوض بمجتمعنا العربي نهوضا شاملا لمختلف مقوماته .

هذا هو الطريق السوي الذي يبلغنا امانينا في العيش عيشا حرا كريما في بلادنا العربية . وقد بدانا كما قلت نسير في تطورنا على الطريق القويم . ورجاؤنا ان لا تمضي مدة من الزمن حتى نكون قد اصبحنا فوق مستوى ما يسميه بعض الناس شعوبا متخلفة عن غيرها ، وحتى نكون قد حصلنا ، في نهضة سريعة وراسخة ، على اتحاد عربي موثق العرى ، وعلى قوة مادية ومعنوية لا يقف في وجهها صهيونية مجرمة ، ولا تسلط استعماري أثيم ، ولا ضمائر عالمية مريضة ما برحت حتى يومنا هذا خاضعةللقوة .

دمشق — **مصطفى الشهابي**

الادب الواقعي في ميزان النقد

بقلم وديع فلسطين

o o o

شاع اليوم ضرب من ضروب الادب يطلقون عليه اسم « الادب الواقعي » ، وهو ادب يفترض فيه ان يعرض الحياة اليومية باسلوب خلو من الخيال والافتعال ، فتظهر الصورة واقعية صرفا لا يد للصنعة فيها . والادباء الواقعيون كالمصورين تماما ، يلتقطون الصور بكل ما فيها من عيوب وظلال والوان ، حتى وان كانت صورة بغيضة الى النفس ينفر منها الذوق ويعرض عنها ذوو المبادي .

والادباء الواقعيون على طرف نقيض مع الادباء المثاليين . لان الاولين يرون كل ما في الحياة مستحقا للتسجيل والتصوير والعرض ، بينما المثاليون يجردون الحياة من جميع نقائصها ومثالبها ويحاولون تجميلها بما يدخلونه عليها من عناصر تمت الى الجمال والخيال والمثل العليا بأوثق الاسباب .

فاذا وقف اديبان ، احدهما واقعي والاخر مثالي امام بحيرة ماء ، وطاب لكل منهما ان يسجل ما يتداعى الى خاطره من صور مستوحاة من هذا المنظر الطبيعي ، فان الواقعي يغض عن الماء الازرق طرفه ويعمى عن القبة الباهرة التي تشمل البقعة بروائها ، ولا يرى امامه سوى طفل رث الثياب يجلس متكففا الايدي قرب سور البحيرة . اما المثالي فانه يرى زورقا حالما ينساب على صفحة الماء ، ويرى جلوة السماء وقد زانتها السحب المتناثرة ، ويرى الناس من حول البحيرة مرحين فرحين ، ويرى الحياة كلها نعيما مقيما في هذه البقعة الباهرة الجمال .

وليس في الواقعية من عيب يؤخذ عليها من حيث المبدا ، فالحياة حافلة بماس ينوء الخيال دون بلوغها ، ولكن اعيب ما يلاحظ في الواقعية ميلها الى تجاوز الواقعية تجاوزا مفرطا حتى تنأى الصورة عن الواقع بمراحل . فالقصص الموسومة بالواقعية التي نشرها اصحابها وراجت رواجا كبيرا ، قصص بعيدة عن واقع الحياة بادية الافتعال والصنعة ، ليست مواقفها مما نعرفه ونعهده في الحياة اليومية ، اللهم الا اذا اريد لقراء هذه القصص ان يحاكوها في دنياهم ، وعندئذ ، وعندئذ فقط ، يصدق على القصص وصفها بانها « واقعية » .

ولو كانت القصص واقعية فعلا لما أستعان كتابها بعنصر الاثارة لبلوغ مآربهم ، وهو عنصر لا يغفلونه حتى في عنوانات هذه القصص . فالحياة في عرف اولئك الكتاب مفعمة بالعاطفة في كل لحظة ، وهي عاطفة حسية لا تقيم وزنا لكل ما تعارفت عليه الجماعة من اوضاع وقيم ، بل تحفل بذاتها وتنتهب اللذاذات انتهابا ، وسيان ان تهدم دعائم الاسرة او تتقوض اركان المجتمع او تتبدل المثل تبدلا جذريا مروعا .

وفي الواقعية المعاصرة تحريض واضح على تخطي الحواجز الاجتماعية المتعارف عليها ، لانها تزين الشذوذ للقراء تزيينا يلقي في روعهم انه تمام السواء ، فان دارت القصة على حياة شخص منحرف ، ظن القاريء ان الناس جميعا منحرفون على هذه الشاكلة . فالحياة في عرف اهل الواقعية عامرة بجميع صنوف الهوس الوضيع ، واغلبه هوس حول النزعات والغرائز . وحين يتصدى الكتاب الواقعيون لمعالجة مشكلة اجتماعية ما ، فانهم لا يستهدفون حل هذه المشكلة على اي وجه ، بل يتعمدون تعقيدها وتكثيفها قائلين ان مشكلات الحياة غير ذات حل . فلا بد اذن ان تنتهي كل قصة واقعية بماساة غير واقعية ، وان يختلق اشخاص اما انهم جانحون مرضى ، واما انه ليس لهم في حقيقة الواقع وجود ما . وهم في الحالين شخوص منعزلون عن حياة الواقع تنطق جميع تصرفاتهم واقوالهم بما لا مثيل له في دنيا الحقيقة الماثلة .

فالواقعية كمذهب يحاول الكتاب تطبيقه ، تفقد « مذهبيتها » حين يقصرها الكتاب على حالات فردية في المجتمع لا تتكرر الا في النادر ، ولا تستكمل خصائص وجودها الا بما يضيفه اليها الكاتب من اختلاق وافتعال . فالمذاهب الادبية جميعا ينبغي عند نقلها من مجالها النظري الى مجالها العملي ان يراعى فيها اعتبار العموم والشمول لا اعتبار الاستثناء والندرة . واذا كان المجتمع في واقعه المرير ينبذ افرادا لانحرافهم او لخروجهم على اوضاع الجماعة ، فكيف يكون من الواقعية ان يعتبر هؤلاء الافراد نموذجيين في حياتهم ، يصورون بتهاويل وخيالات تجعل منهم محور الجماعة ومركز الثقل فيها وصورة صادقة من صورها .

ثم ان للواقعية فظاظتها من حيث انها تغفل قواعد المجاملة والذوق والكياسة ، مؤثرة عليها المصارحة بالواقع الفج الغليظ . فكل معنى يمكن التعبير عنه بقالبين : قالب عف اللفظ والعبارة ، وقالب فاضح ينبو عنه الذوق وينفر منه الادراك السليم . والواقعيون عموما يؤثرون استخدام القالب الثاني ظنا منهم انه ادعى الى الواقعية واقرب الى الحقيقة من القالب اللبق العف . ومن ثم جاءت مؤلفات الواقعيين بؤرة للتشبب المكشوف في غير ما استعارة او تلميح . ولم يعد الاديب يتعب نفسه في البحث عن عبارات رقيقة غير خادشة للحياء ، بل صار يرمي الكلام رميا ويردد عبارة الشارع في غير تحرز او تاب . اليس هذا هو الواقع الذي تنادي به هذه المدرسة الجديدة ؟ او ليس من صميم الحياة ذلك السباب والكلام البعيد عن التهذيب الذي تلوكه السنة رواد الازقة والاحياء الوضيعة ؟

ولكن مهلا ، فان الكاتب ذا الرسالة ليس ممن يقنعون بتصوير المجتمع تصويرا صامتا كالالة الفوتوغرافية الصماء بل انه يدخل على الصورة من فنون التشذيب والتهذيب ما يجعلها بريئة من الاوشاب . افلا ترى المصور المفتن لا يقنع بالصورة التي تصنعها الالة ، بل يتعهدها بالريشة يزيد من الظلال هنا ويخفف منها هناك حتى تزداد بهاء وجمالا ؟ فالاديب المفتن كالمصور المفتن ، لا يتسقط الفاظ الرعاع ويسردها على علاتها ، بل يهذب منها ما شاء له ذوقه ، ويستعين بالرمز حين لا يسعفه البيان ، حتى تجيء الصورة اقرب الى دنيا الفن من تلك الصورة الواقعية الشوهاء .

وفي مذهب الواقعيين ان الحقيقة العارية ، ان وجدت ، اصدق وانصع من الحقيقة المستورة . ولكن اين هي هذه الحقيقة العارية في امور الناس اليومية ؟ انها غير ذات وجود الا في اذهان الواهمين . ففي المجتمع كثير من الاستار التي تكسى بها هذه الحقيقة ، سواء سميت بالمجاملات او بالرياء او بالكياسة او باللباقة او بغير ذلك من الفاظ التحسين والتطريب .

وللمرء ان يسال : اذا كان الواقعيون حريصين على تسجيل واقع الحياة على حقيقته دون تزين او نقص ، فلم لا تتناول اقلامهم الا الصورة الكالحة من صورتي المجتمع ، ففي كل مجتمع ما هو حسن وما هو رديء ، ولكن ما بال الجانب الرديء هو الذي يستهوي الكتاب الواقعيين دون غيره ؟ وهل الناس جميعا وجوديون في حياتهم لا يشذ منهم عن ذلك احد ؟ فالواقعيون والوجوديون ابناء عمومة وخؤولة ، ان لم يكونوا توائم ولدتهم ام واحدة . وهؤلاء واولئك لا ينفعلون الا في المباءات ولا يتحدثون الا عنها . وهذا زعيمهم جان بول سارتر ومن قبله بودلير لا يعرف لهما الادب من آثار الا ما كان قوامه هذه الحياة الدونية المستهجنة . ولكل من سارتر وبودلير تلاميذ ومقلدون بين الكتاب الذين يكتبون بالضاد ، وما اروج كتبهم بين الشبيبة في سن القلق والضياع .

والادب الواقعي ذاتي في اغلبه لانه ينبع من معين ذاتي او من تجربة خاصة لا يشترك في مثلها الناس جميعا فواقعيته اذن محصورة في هذا النطاق الفردي الضيق الذي لا يمكن ان يعبر عن حاجات المجتمع او رغباته الا في النادر القليل . ولكن الادب الواقعي مع ذلك قادر على احداث بلبلة في الاذهان لا يسلم المجتمع من عواقبها .

فهو ادب تحريض ، اي ادب دعاوة . وليس القصد منه امتاع القاريء متعة عارضة ، بل القصد منه هو حمل القاريء على محاكاة البطل او البطلة بعد ان يكون البطل قد استحوذ بجراته وواقعيته وباسه على عقول القارئين .

فالواقعية والوجودية والادب المكشوف مرادفات لمعنى واحد ، ومسميات لشيء واحد . وقد تتعدد الاسماء والنعوت ، ولكنها جميعا تشترك في صفات عامة بينها ، وهي :

اولا — جنوح الى كل ما هو شاذ في الحياة .

ثانيا — ميل الى الاخذ بمنهاج الرعاع في الكلام والتعبير

ثالثا — حض على التقليد والتشبه بالمنحرفين

رابعا — مناشدة الغرائز في غير تحرج

خامسا — الترخص في تقدير جميع القيم المرموقة .

تلك هي المميزات التي تتضح بها الواقعية واخواتها . وهي لعمري مثالب ، سواء وضعت في ميزان للادب او في ميزان للاخلاق والاداب .

وديع فلسطين — **القاهرة**

ميلاد يسوع

*

في الافق الشرقي
المتناهي بُعدا
تولّدت حياة
ونشأت فكرة
ونمتْ زهرة
وانتشرت محبة
وتعالى نور

*

في ذلك الافق النائي
حلقت نسور الشك
تطارد حمائم الايمان
فارتعدت جوانح الخير
ودمعت نواظر الانسانية

*

طفل...
أمات بُغضا
وصنع مدهشات
خلق ودا
وابدع معجزات

*

عذراء....
ارتدت .. طُهرا
ونضحت .. عطرا
كفها غرست حبات المودة
واناملها طرزت اردية السعادة
وصدرها ضم حنان القلوب

*

ميلاد يسوع
ولادة قلب
ونشأة خلود
وعالم مجد
الاطفال تنتظر ميلاده
في أسرتها
والعرائس ترقب اعياده
في احلامها
وامه .. العذراء
توزع المسرة على البائسين
وتهب الحبور للمتألين
فتخلق فيهم الرجاء
وتقدم لهم الهناء

محسن جمال الدين
جامعة برشلونة

وجوه عربية على ضفاف النيل : عادل الغضبان

بقلم وداد سكاكيني

مثلما تبقى الذكريات باعمارها المديدة وآثارها الراسخة على ترادف الزمان وقد مرت على النيل باحداث وشخوص وتاريخ ووقائع ، كذلك تبقى ذكريات الفن والادب حية قوية وهي تطل على النيل كانها تتراءى في مرآته الصافية ، ولو كان للنيل سجل ادبي حديث كما صنع له في القديم صاحب النجوم الزاهرة لبرزت للعيان والاذهان صفحات والواح تتحدث بسيرة كل عربي فذ ادى رسالته من على ضفاف النيل وشرب من مائه حتى ارتوى ، وآثر القرار في ربوعه مجاهدا وطنيا او مفكرا حرا يدعو للخير العام ويشارك في بناء النهضة الجديدة .

من هؤلا الافذاذ الذين احبوا النيل ووهبوا حياتهم لبلاده وللعروبة التي تجمعها الاستاذ عادل الغضبان ، فقد جاء مصر من شهباء سيف الدولة فتى غض الاهاب ، متوقد الفكر والامال يرمي بنظره شطر الافق حيث يجد حمى العربية وبسطة الثقافة والمعيشة للطامح الابي الذي ضاق باملة وباهله موطن تتنازعه الملمات وتتجاذبه التيارات التي لابست يقظته وهبت للتحرر والقضاء على كل عابث بحقه في الحياة الحرة الكريمة .

ولم يطل شوق الغضبان الى الكنانة التي احبها طفلا وناشئا قبل ان يراها وقد سبقه اليها اهل وانداد مارسوا الصحافة والوظيفة والتجارة شان الشاميين المتمصرين الذين نزحوا الى وادي النيل منذ الحكم العثماني وبداية الاحتلال الاجنبي ، فانحدر عادل من الشمال الى الجنوب على دوي الصيحات التي كانت تنبعث في ارجاء العرب ، وكان اكثرها ينطلق من القاهرة التي شده اليها شوق وطموح كان بين جنبيه خافق يلهمه الخير والداب والنبوغ ،

وكان قبسا من المتنبي الذي عاش في حلب قد اضاء له الطريق وزين الغد القريب فاقبل على مصر لهيفا مشوقا في ريعان العمر يلتمس بناء علمه ومجده لا ليلتمس سيادة ضيعة او ولاية بلدة كما شاء المتنبي الذي صده كافور وخيب تأميله ومطامعه ، لكن الفتى المهاجر الذي انطلق من ملعب طفولته ودار حداثته طالبا للعلم تفتح قلبه على حب مصر والعيش في رحابها ورضي في حماها بما قسم القدر، وقد اوتي غنى النفس وسعة الرجاء والذكاء فاتخذ التدريس وسيلة للحياة والمجتمع يهب فيها من شبابه وادبه ، ومن لباقته ومعرفته للجيل الذي اتصل به بعد تخرجه من اكبر معهد للابا اليسوعيين في القاهرة ، وتلقيه فنون الكلام وقواعد البلاغة والبحث على الثقات من المتبحرين ، على ان المتمرس بالتدريس اذا كان موهوبا دؤوبا كان تأثيره في تلاميذه والواثقين به ابعد من تأثير المحترف المتخفف ، فهو ذو رسالة يشبه العندليب حين يغرد ، لان التغريد منحة الهية لهذا الهزار وانفعال فطري يحسه الناس فنا رفيعا .

وما كان لاديب مطبوع ان يقنع بما اتبع من ثقافة مرسومة ومنهاج محتوم ، فعكف الغضبان على كل مايحقق التبعات التي حملها راضيا ، فقرأ كثيرا ومحص طويلا حتى احكم الوسيلة بينه وبين طلابه الذين بادلهم ودا بود وقنهم خفايا المعرفة وفتح قلوبهم لوعي الوجود لعلهم ياخذون احسن ما فيه ، لقد علمهم ان ياخذوا بالحق والمحبة وان يعطوا بسماح ورضى ، وان يعملوا لدنياهم نافعين لانفسهم وللمجتمع الذي يعيشون فيه وللانسانية التي ترتقب غدهم المأمول بعد ان رأت يومهم الوثاب .

كان عادل الغضبان وهو يؤدي رسالة التدريس يعطي من علمه وادبه بجود وسداد ، ويرمي ببصره شطر الافق البعيد ، غير منكر لحاله ولا متبرم بعمله وان كان في نفسه مرجل الامل والعزم يغلي ويفور ليجد منفذا في يوم قريب، فاذا ارتد الى كتبه واوراقه نسي نفسه وانساب تفكيره وشعوره في صورها وسطورها ، وطافت بخياله اطياف ذويها ، فامسك بقلمه معلقا او محققا ، وطاوعه القلم الملهم فعبر فيه عن نفسه التي اشرق الحب فيها وتغذت بالمثل العليا ، وتوالت قراءة الغضبان في الادب القديم والحديث باللغتين العربية والفرنسية قراءة متعمقة ممحصة حتى احاط علما باللغتين والادبين وهو المطبوع على الشعر قاله صغيرا قبل ان يعرف قيوده الفنية وتقاليده الاصيلة فلما قرا ما في دواوين القديم والجديد وازداد تجاوبه مع الطبيعة والحياة تابع الغضبان القريض غير متعجل للظهور ولامستغل للصحافة التي كثيرا ما طمست الحقائق واظهرت الزيف والباطل .

ولم يكن الشاعر الاديب عادل الغضبان بدعا في المدرسين ، فقد استهل كثير من الادباء في الشرق والغرب حياتهم الفكرية بالدرس والتدريس فكانت الصفحات الاولى التي تلقتهم ليخطوا بوادرهم المتفتحة وبواكيرهم النضرة هي صفحات اولئك الصغار اطفالا وشبابا من الجنسين كتبوا فيها الاعمار والاقدار وكانوا اشبه بانصاف آلهة اعطتهم القدرة الكبرى على الخلق والابداع وتكوين النفوس الانسانية واعدادها للحياة الطيبة النافعة ، فلما عادوا الى الكتب يخطون على طروسها وبين سطورها افكارهم وخواطرهم عمموا رسالتهم لتشمل الناس جميعا ، وما رضيت نفوسهم الكبيرة بنطاق محدد او مراد قريب .

وهكذا صنع الغضبان بعد سنين من زهوة عمره وداب ثقافته وتجاربه في التربية والتعليم كان في خلالها يعد نفسه لرسالة الاديب الكبير فانطلق من افق المدرسة الى جو الصحافة مسرحا قلمه في تصوير الاحداث الدولية والسياسية وفي ترجمة الشؤون القضائية موظفا في المحاكم الاجنبية حتى زهد في هذه الكلفة وضاق بامورها فانصرف الى الصحافة الفكرية التي كانت بمصر والبلاد العربية توقظ الوعي القومي ، وتعمل على بعث الامجاد ودعوة الشعوب للتحرر والاخذ باسباب الرقي والحضارة لتحقيق حياة احسن ومجتمع افضل .

ولقد فهم عادل الغضبان رسالة الصحافة على النحو

الذي فهمها عليه الافذاذ والمصلحون الذين كانت اقلامهم وصحفهم مدارس للجمهور ، أما الصحافة المصرية في ذلك الحين فكانت بين فئة مع الحكم الغاشم تساير وتداور وبين فئة من اقطاب المفكرين والاحرار يثيرون القضايا الوطنية ويجبهون كل كيد وعدوان ، فكان جهادهم مبعث وعي جديد ويقظة تحررية تجاوب صداها في مصر والبلاد العربية حتى اقبل على الصحافة وعزز رسالتها فريق من كبار الادباء المصريين في طليعتهم العقاد والمازني والبشري وهيكل وجمعه ومظهر وطه حسين وغيرهم ممن رفعوا قدر الصحافة الى مصاف الكتابة وادخلوا عليها رياحين الفن والتجديد فجمعت بين ثقافة الفكر والنقد وبين معالجة الشؤون السياسية والاجتماعية ، ولا يزال الحنين الى الصحافة يعاود من بقي حيا من هؤلاء الاعلام ويخفق بين جوانحه ، واننا ما نزال نحس نفحات اقلامهم وسمو تفكيرهم وآرائهم في مقالات يكتبونها للصحافة بين الحين والحين .

اما عادل الغضبان الذي جرى قلمه في الصحافة بانيا موجها فكان يعمل في صمت وتواضع كاحد الجند المجهولين ممن تكتسب المعارك بجهودهم ويحظى القادة باوسمة النصر جزاء ورمزا ، لقد بقي يجهد في هذا الميدان ويكابد البلاء والعناء مرتقبا ان يتاح له في يوم قابل ان يقود الكتيبة ، لكن حب الادب كان اكبر من صبره واقوى من كل اغراء فغلب عليه وجعله يمسك بالصحافة وقلبه متعلق بسحر البيان وابداع الفن ، ولم يلبث ان تحول عنها وما يدور في فلكها من تزاحم وتهاتر وما يتقاسمها من تيارات حزبية وظروف طارئة او طوابع لا تتغير ولا تزايلها المحاكاة والمجاملة على ان اي باحث لا يستطيع ان يمسك بالاسباب النفسية الخفية التي قد يجهلها صاحبها ، فلا نعلم نقطة الانطلاق في عادل الغضبان من الصحافة وتكاليفها الى مجال الادب الذي تبحبح فيه وبنى نفسه ، ولو سألوه ذاته لفكر طويلا ، وربما لم يهتد الى العلة الاولى .

لقد انفلت على حين غرة من زحمة السياسة والطبقية وضجة الحزبية التي طغت في مصر يومذاك على الصحافة الى عالم يسوده الفكر الحر والثقافة الرفيعة ويعين على تصوير الحوادث النفسية والحياة العقلية التي تعبر عن مدى التطور الذي خضعنا له ولم نجد بدا من مسايرته لنلحق بركب الذين تقدمونا علما وفنا .

وكانت مصر في هذه الاونة من تلاقي الشرق بالغرب قد تغير تفكيرها وشعورها وتفتحت بعد عهد المنفلوطي على تجديد العقاد والمازني وأدب طه حسين والحكيم فشهد الغضبان معركة القديم والحديث واحتكاك الاراء البالية بالمتطرفة ، وبقي متتبعا لتطور الفكر والثقافة بين عهدين وجيلين حتى رأى مولد الادب الحديث ، ومضى في رعيله مع المجيدين والمجددين حافظا للقديم حرمته وقيمته ، متبرما بسخف الحديث الذي انكرته اللغة وتجافى عنه الفن والاستعداد ، وكان الزمن الذي عاش فيه عادل الغضبان بين الحربين العالميتين كان موسما لنضج تفكيره واشراق تعبيره واتساع ثقافته وخبرته ، ومن حظه في الادب ان الطريق قد مهدت امامه فلم تضع جهوده السابقة ولاراحت مع الريح آثاره التي اودعها هواجسه وتاملاته ولونها باحساسه وخياله ، وكانت متنوعة الاشكال والصور ، فمن بواكير ادبه كانت مسرحية « أحمس الاول » وهي تمثيلية فرعونية استوحاها من تاريخ مصر القديم واستحق باجادتها جائزة وزارة الشؤون الاجتماعية قبل الثورة ، ولا غرو اذا جود الغضبان الكتابة في الحوادث الفرعونية التي هي بمصر منبع الحضارة والفن ، ومن يقرأ المسرحية او يشهد تمثيلها يدرك فهم الغضبان لروح التاريخ المصري كما يفهمه ابناء النيل ، وهذا الوعي العميق الذي ينبت من الارض طلع ورسخ في سجايا الغضبان واخلاصه للفن حتى مزج نفسه بمصر والمصريين وصار واحدا منهم ، ومن يستمع للهجته المصرية ويتتبع حياته الفكرية والاجتماعية يعده مثلا في الوفاء والولاء للوطن الاكبر الذي فتح له صدره وتلقاه بالود فتأثر آفاقه وانسابت فيها آثاره وطوف خياله واندمج في حياة اهله وهموم تحررهم من كل ما يعوق وعيهم ونهضتهم ، ولئن تمصر الغضبان واعتز بمصريته اعتزازه بعروبته فانه في رسالته الامينة الرصينة من اوائل الدعاة للامة الواحدة والمثابرين على الدعوة وان عددت السياسة ومطامع الاستعمار البلاد والاسماء وجددت القيود والحدود

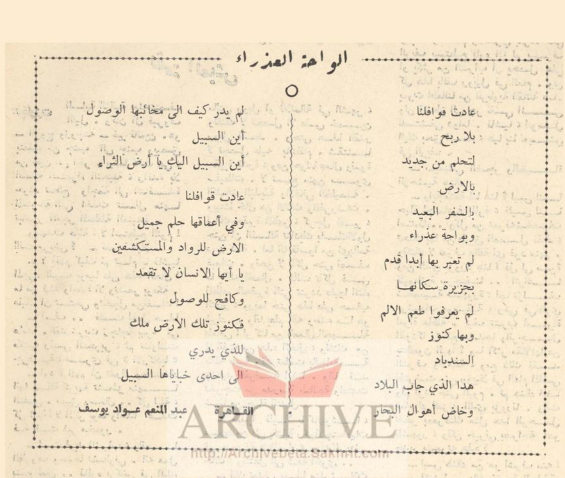
وشعر الغضبان منذ قال الشعر متسم بطابع الوطنية والاحداث القومية والاجتماعية فما من خطب الم بمصر او دهم بلدا من البلاد العربية الا كان شعر الغضبان صدى لذلك الخطب وصورة لحوادثه والاضطراب من اجله ، وله في السوانح التي قامت بمصر للانشاء والتجديد والاصلاح قصائد في حفولها وندواتها تصور الوثبة في الامة المتحفزة والغبطة في حريتها وخطاها .

اما الجانب الوجداني في شعر الغضبان فهو متمثل في صوره العاطفية التي تناولت الغزل العف والوصف الدقيق والمطارحات الاخوية وغيرها مما جودت قريحته الخصبة وبشاشته للحياة ، وطريقة الشاعر في تعبيره تصل شعرنا الحديث بسوابقه الاصيلة المتينة التي حفظت تراث الفصحى وروعة الفن والاداء وسحبت حتى عصر شوقي سلسلة الكلام المنظوم في ادب العرب .

ولو تفرغ الاستاذ عادل للدراسة الادبية في منهاجها العلمي الحديث لتعددت مؤلفاته فيها ، فقد اعطى مثالا يحتذى في كتابه « نجيب الحداد » جاء مستوفيا للوسائل الجامعية ، معنيا بالاسباب والاثار التي صنعت « الحداد » وكونت عبقريته ووجهت مزاياه .

وفي الفن القصصي كان للغضبان « ليلى العفيفة » التي دلت على طبعه واتقانه ومشاركته في هذا الفن الرفيع ، كما ترجم عن الفرنسية روائع في الرواية والسيرة منها سجين زندا والزنبقة السوداء ودون كيشوت وغيرها .

وادباء العرب في كل ارض يذكرون باللهفة والحنين مجلات جليلة القدر بعيدة الاثر ظهرت في مصر بعد « المقتطف » و « الهلال » وتلقاها الناس على ظمأ وشوق وتوقير ، فكانت « الرسالة » و « الثقافة » مدرستين جوالتين لاقلام الشيوخ المؤسسين والشباب الموهوبين ، ثم برزت لعالم الادب مجلة « الكاتب المصري » ثم « الكتاب » التي انشأتها دار المعارف بمصر منذ اثني عشر عاما ، وعهدت بالاشراف على تحريرها للاستاذ عادل الغضبان وقد كانت « الكتاب » مع المجلات السابقة سفارات فكرية وروحية في مصر والبلاد العربية تعارفت على صفحاتها اقلام واعلام وتلاقت مواهب وفنون وجال فيها ميزان النقد والتقويم ، وقد اعطت للقراء نماذج من ادب الشرق والغرب ، على ان



الواحة العذراء

٥

عادت قوافلنا
بلا ربح
لتحلم من جديد
بالارض
بالسفر البعيد
وبواحة عذراء
لم تعبر بها أبدا قدم
بجزيرة سكانها
لم يعرفوا طعم الالم
وبها كنوز
السندباد
هذا الذي جاب البلاد
وخاض أهوال البحار

لم يدر كيف الى مخابئها الوصول
أين السبيل
أين السبيل اليك يا أرض الثراء
عادت قوافلنا
وفي أعماقها حلم جميل
الارض للرواد والمستكشفين
يا أيها الانسان لا تقعد
وكافح للوصول
فكنوز تلك الأرض ملك
للذي يدري
الى احدى خباياها السبيل

القاهرة — عبد المنعم عـواد يوسف

« الكتاب » بقيت تؤدي رسالتها بعد احتجاب رفيقاتها حتى وقفت ، فكان لوقوفها ضجة كبرى في العالم العربي دلت على محنة الادب في غياب هذه المجلات التي كانت مرايا وصورا لحياتنا الفكرية والفنية ومدارس خرجت المواهب والاقلام في النقد والادب وادت للعروبة والتاريخ الحديث فضلا لا ينسى ، وحين خلت الساحة بمصر من المجلات الجدية التي تعنى بحياة الفكر وتطور الادب ظهرت الصحف الخفيفة التي تسلي القاريء وتستهوي المراهق الحالم بموضوعات طريفة سمها اكثر من دسمها ، لكن الرجاء والعزاء في هذه الكتب والمنشورات التي لم ينقطع تاليفها وتثقيفها لتدل على اشعاع مصر في الفكر والفن والتحرير وحرصها على مكانتها العلمية في العالم العربي .

ولما احتجبت « الكتاب » ثقلت اعباء الاستاذ عادل الغضبان فقد اصبح يشرف على المحصول الفكري والثقافي الذي تتعهده بالعناية والاتقان اكبر دار للنشر في مصر والبلاد العربية هي دار المعارف التي اسسها بمصر منذ سبعين عاما الاستاذ نجيب متري ، وانه لاحد بناة النشر والطباعة في وادي النيل .

وبعد فهذه خطرات متخطفة من سيرة اديب عربي كبير يرعى الادب المعاصر ويعمل على اظهاره لمصر والبلاد العربية بجد وحكمة واخلاص غير طامع بنفوذ او ثواب الا رضى الضمير والرسالة التي نذر عمره لتاديتها للعروبة والوطن، وكم تراه الحقيقة والمعرفة جديرا بالتمجيد والتاييد حين ننظر الى من يرزقون باسم الجهاد ، ويحظون بارفع المراتب وهم اصفار من الكفايات العلمية والخلقية ، ولكم تحسن مجامع اللغة والادب في مصر والبلاد العربية حين تقدر الغضبان قدره فتضمه الى اعضائها عاملا او مراسلا ، وتفيد من نقاء لغته وسعة ثقافته ومواهبه ، اما شمائله ومزاياه فخلاف لقبه الغضوب ، فما تلقاه الا رضي النفس وادع الطلعة طلق الملامح ، لم يزايله الشباب وهوى الطبيعة والجمال فيها ، وهو معها تلقاء الضفاف الوارفة وما يترامى عليه النظر من افواف النخيل وراء النيل .

ولو سالت الناس عن اساءة للغضبان لما برز منهم من يقاضيه او يمسك بتلابيبه ، وكم في عالم الادب والادباء من اقلام تنفث الكيد والشر ، ونفوس كدرة لا يصفيها وجدان ولا برهان ، اما قلم الغضبان فعادل عف كاسمه واما نفسه فاصفى من الما ، وما كان غضبه الا لتاييد الحق، واشاعة الصدق وحماية المثل الانسانية .

دمشق — وداد سكاكيني

قصة لانطوان تشيخوف — ترجمة حسن السعران

لقمة العيش

تجاوزت الساعة الثانية بعد منتصف الليل . وكان آل فبروف — الزوج وزوجته — غير نائمين . هو يتقلب من جنب الى جنب ويبصق من حين الى اخر . بينما كانت هي ، النابة السمراء النحيلة ، راقدة بلا حراك تتطلع واجمة الى النافذة المفتوحة التي اخذت تتسلل منها تباشير الفجر المتطفلة العنيدة .

وتنهدت قائلة : لا استطيع النوم ! أانت مريض ؟ — نعم ، قليلا .

— لا افهم كيف لم تسأم يا فاشيا المجيء للبيت يوميا على هذه الحال ! ما من ليلة واحدة الا وتشعر بوعكة . عليك ان تستحي وتخجل من نفسك !

— آسف .. فلست افعل هذا عامدا . لقد شربت زجاجة بيرة في مكتب رئيس التحرير ، ثم تناولت جرعة اخرى في « الاركاديا »

— اوه ، المهم ان تدرك وحدك انها مسالة كريهة تشمئز منها النفس . بصق وسعال .. كل ليلة ، كل ليلة ! لا اذكر يوما واحدا عدت فيه للبيت غير مخمور .

— لست اريد الشراب ، وانما الظروف وحدها تضطرني . انه عمل بشع لعين .. فالمرء يركض في البلد طول الوقت ، فيتناول هنا كأس فودكا ، وهناك قليلا من البيرة ، ويلتقي بصديق في مكان اخر فيشاركه الشراب وهكذا .. كيف امتنع ، وفي بعض الاحيان يتعذر علي الحصول على الاخبار دون احتساء زجاجة من الفودكا مع احد الخنازير ! فاليوم مثلا في حادث الحريق لم يكن هناك مفر من الشرب مع المسئول .

فتنهدت الزوجة السمراء وقالت : صحيح ، انه عمل بشع ! ولا بد ان تتخلى عنه يا فاشيا !

— اتخلى عنه ؟ وكيف يمكن هذا !

— طبعا ، يمكنك . فلست ممن يكتبون الشعر الرائع او القصص البديع . لست اكثر من مخبر يكتب السرقات والحرائق ، فماذا يمنعك ؟ انت تكتب اشيا تافهة يخجل المرء من مطالعتها احيانا . وقد يهون الامر لو ان عملك يدر عليك قدرا كبيرا ، مائتي روبل او ثلاثمائة في الشهر ، ولكنك لا تحصل الا على خمسين روبل فقط . وحتى هذا القدر لا تحصل عليه بانتظام . شقتنا حقيرة قذرة ، ومن حولنا عمال ونسوة سليطات . لا تسمع منهن سوى الكلمات البذيئة والاغاني الخليعة . وبيتنا خال من الاثاث والمفروشات . ثيابك حقيرة المظهر ، كرجل فقير ، حتى ان الغسالة تناديك باسمك الاول دون كلفة . اما انا فاسوأ من اي بائعة قبعات . ونحن لا ناكل حتى نصف ما ياكله العمال . فانت تأكل في المطاعم الحقيرة التي تتردد عليها أثناء النهار ، وربما حتى هذا على حساب غيرك .. وانا يعلم الله وحده ما هو طعامي ! لو كنا من العمال الجهلة لما انفت من هذه الحال ، ولكنك من عائلة طيبة وقد تعلمت بالجامعة وتجيد الفرنسية ايضا . وانا قد تخرجت من مدرسة صالحة واعتدت شيئا من حياة التدلل .

— صبرا قليلا يا كاتيوشا ، سيعهدون الي بكتابة ركن الاجتماعيات في صحيفة « السماء » وعندئذ يتغير حالنا ، ونتنقل الى شقة اخرى ..

— انك تعدني بهذا منذ ثلاث سنوات . واي خير في هذا حتى ولو كلفت فعلا بهذه المهمة ؟ ان كل ما تناله سيذوب حتما في الشراب ! الافضل ان تتخلى عن صحبة هذا النفر من الكتاب والممثلين ! اتعرف ماذا ارى يا فاشيا ؟ لا بد ان اكتب الى عمي ديمتري في تولا . سيجد لك وظيفة مناسبة في مصرف او مصلحة . سيكون هذا رائعا يا فاشيا ! تذهب الى المكتب كغيرك من الناس وتحصل على راتبك في نهاية كل شهر .. لا تحمل هما ولا قلقا . وهناك نؤجر بيتا رائعا به فناء ومخزن وحظيرة للدواجن . لن يزيد ايجاره على مائتي روبل سنويا . ونبتاع كذلك بعض الاثاث والانية والمفارش ، ونأتي بطاهية ونتناول العشاء يوميا . فتعود من عملك في الساعة الثالثة وتجد المائدة حافلة بما لذ وطاب . ونربي بعض الدجاج والبط والحمام ونشتري بقرة . ففي الريف يستطيع المرء اذا لم يسرف او يكثر من الشراب ان يحصل على كل هذا بالف روبل في العام . ولن يموت اطفالنا من الرطوبة القاتلة هنا . ولن اضطر الى جر نفسي الى المستشفى دواما . فاشيا ، اتوسل اليك بحق السماء ، هيا بنا نعيش في الريف .

— سيقتلني الضجر والحياة الوحشية هناك .

— واية متعة لنا هنا ؟ ليس لنا حياة اجتماعية بالمرة ، فليس لنا اصدقاء .. وكل من تعرفه شخصيات تحتك بها عن طريق العمل فقط ، ولكنك لا تعرف عائلة اي فرد منهم . ومن الذي يزورنا هنا ؟ قل لي من ؟ كليوباترة سرجيفينا .. اتراها شخصية مشهورة ، انها تؤلف موشحات موسيقية ، وهي في نظري امرأة عاطلة . كيف تشرب امرأة الفودكا وتخلع مشدها والرجال يتطلعون اليها ؟ وما اكثر مقالاتها عن الشرف والامانة ، ومع ذلك فقد اقترضت مني روبلا في العام الماضي ولم ترده حتى اليوم . ثم هناك ايضا شاعرك العزيز الذي يزورنا . وانت تفخر بمعرفتك مثل هذا الرجل المشهور ، ولكن خبرني بصراحة اهو جدير بشهرته هذه ؟

— ليس هناك من هو اشرف منه !

— لكنه ليس بالشخصية الجذابة ، وهو لا ياتينا الا لكي يسكر ، ويروي حكايات فاحشة . وقد حدث اول امس ان افرط في الشراب الى حد انه نام الليل كله هنا على ارض الغرفة . والممثلون ! كنت اعبد اولئك المشاهير يوم كنت صغيرة ، ولكني منذ تزوجتك يزعجني مجرد رؤية المسرح . انهم دائما يعربدون ويصخبون ، ويسيئون التصرف في حضرة السيدات . تراهم يشمخون بانوفهم في حين ينتعلون احذية قذرة انهم فئة هزيلة متعبة ! لا ادري اية متعة تجدها في انبائهم وقصصهم التي يهذون ويثرثرون بها في صخب شديد وضحك عال ! وانت تتطلع اليهم ، في استعطاف كانما اولئك المشاهير يسدون اليك جميلا بمعرفتهم اياك ... اوه !

— كفى كفى ، ارجوك !

— ولكن هناك في الريف ، سيتردد

على زيارتنا لفيف من الموظفين والمدرسين والضباط . وكلهم اناس مهذبون لا يتكلفون ولا يتصنعون . يتناولون معنا الشاي او الفودكا اذا قدمناها لهم ثم يعودون لبيوتهم . لا ضجة ولا حكايات نابية بل زيارات هادئة هنية . تدور علينا الخادمة بفناجين الشاي والمربى والبسكويت. وبعد تناول الشاي يعزفون على البيانو ويغنون ويرقصون . ستكون حياتنا رائعة يافاشيا ! وعند منتصف الليل نتناول معا طعاما خفيفا :سجق وجبر ما تبقى من روستو بعد العشاء. ثم ترافق السيدات الى بيوتهن . وامكث انا في البيت حيث اعيد تنظيمه.

ــ ستكون حياة مملة يا كاتيوشا !

ــ اذا مللت البيت تستطيع الذهاب الى النادي او تروح عن نفسك بالمشي قليلا . هنا عندما تمشي لا تقابل احدا تعرفه وتشترك في الشراب مع كل من هب ودب . ولكن هناك ستعرف كل من تلتقي به ، وتستطيع ان تتحدث الى من تريد .. معلمين ومحامين واطباء ، ستجد هناك كثيرين تجاذبهم الحديث الشيق . انهم يجلون المثقفين يا فاشيا ! ستكون في طليعة اللامعين هناك .

وهكذا مضت كاتيوشا في حديث حالم طويل . وكان النور الرمادي خارج النافذة يتحول تدريجيا الى نور ابيض . وسكون الليل يفسح مكانه بهدوء لضجة الصباح . ولم يكن المخبر الصحفي نائما وانما كان يستمع لحديث زوجته ويرفع راسه الثقيل ليبصق بين الفينة والفينة . وعلى حين فجأة ، اذ لم تكن كاتيوشا تتوقع ذلك ، اعتدل ونهض من الفراش .. كان شاحب الوجه والعرق يغطي جبهته فقال مقاطعا حديث كاتيوشا : اشعر بغثيان شديد ، انتظري لحظة ، ساعود حالا .

وغطى كتفيه ببطانية ، واسرع خارجا من الغرفة . لقد كان ضحية الغثيان الذي يصيب المخمورين عادة في الصباح . وعاد بعد دقيقتين شاحبا ضعيفا يتعثر في خطاه .. تبدو على وجهه مسحة من التقزز والياس بل والرعب وكانما قد ادرك هذه اللحظة فقط كل معالم حياته البشعة . وكشف له نور الصباح عما في الغرفة من فقر وحقارة ، وتجلت بشدة مسحة الياس التي تعلو وجهه.

وغمغم قائلا:كاتيوشا، اكتبي الى عمك!

فقالت السمراء في دهشة وانتصار حقا ؟ اموافق انت ؟ ساكتب اليه غدا ، واني لاعدك بانه سيجد لك وظيفة رائعة ! فاشيا ، انت اانت جاد ؟

ــ ارجوك يا كاتيوشا ، اكتبي اليه بحق السماء .

ثم راحت كاتيوشا مرة اخرى تسرح بحديثها الحالم . وسرعان ما غلبها النعاس ودفعها رنين كلماتها الى النوم . وراحت تحلم بالبيت الريفي والمزرعة التي تمرح فيها دجاجاتها وبطاتها ، وسرب الحمام يرنو اليها من نافذة غرفتها ، ويصل الى سمعها خوار بقرتها . كل شيء يحيط بالبيت هادىء ساكن ، فلا جيران يتصايحون ويتراشقون بالكلمات البذيئة ، ولا ضحكات فاجرة .. ولاح لها كانما فاشيا يسرع الخطى وهو يقطع الحديقة الامامية متجها الى الباب في طريقه الى المكتب وعليه سيماء الكرامة والابهة . واحست بقلبها مفعما بسكينة النفس التي لا يعكر صفوها القلق ...

ثم صحت من نومها في الظهيرة منشرحة الصدر ، اذ كان للنوم اثره الطيب عليها . ولكنها بعد ان فركت عينيها وتأملت المكان الذي كان فاشيا يتقلب فيه منذ وقت قصير ، اذا بالفرحة التي اثملتها تغوص كانها قطعة من الرصاص . لقد خرج فاشيا ليعود كعادته في ساعة متاخرة من الليل وبعد ان يشرب حتى يثمل . تماما كما عاد امس وقبل امس .. ودائما ... ومرة اخرى تعود الى احلامها ومرة اخرى تعلو وجهه مسحة التقزز والنفور .

فتنهدت وحدثت نفسها قائلة : لا داعي للكتابة الى عمي !

حسن السعران

نجـوم

رَنت نجومُ السماءْ
الى المدى الأبعـدِ
فهـل يراها الظماءْ
وليس فـي الأوج مـاء
او في صحارى غـدِ
من موعد ؟

✶

تدور حيرى الحنينْ
في مهرجـان النوى
وتستغيث السنين
بمثل كبت الانـين
من هدِّ طولِ الجوى
رُكنَ القوي

✶

نـاح الجمال الشريدْ
في صافرات المـدى
لا عزف ، لا زهو عيد
الا السكوت البعيـد
لا شـيء ممـا شدا
يلقى صـدى

✶

يـا كآبـة كالسديمْ
تغشى وجوهَ البدورْ
تحتلُّ صدرَ الأديـم
منذ القديـم القديم
يا فدفـداً من زهور
نُصْبَ الدهور

كـأنَّ أنّاتِ روحْ
ولهى بسمعي تُحيقْ
تشكو سهـادَ الجروح
في قفر تلك الصروح
وتنتشي من رحيـق
ليل سحيق

✶

يـا أدمعـاً دافقـه
تُـروي قفارَ الدجى
ويـا مُنـى خافقـه
لا تأتلـي آفقـه
تطوي دهـورَ الشجا
نحـو الرجـا

✶

ويـا قلوبـاً تذوبْ
توقاً وتدمى سناءْ
كم في حنايـا قلوب
تمحو الندوب الندوب
طوفاً بحلم الهنـاء
فـوق الفنـاء

✶

يا زُهْرُ لا تدمعـي
حيٌّ رجـاءُ الوجود
قرّي بـه واسمعـي
رَوحَ البرايـا معـي
تشدو له في هجـود
لحنَ السجود

نبيـه صقـر

عادل زعيتر بين شكيب ارسلان و محمد عبده ورشيد رضا

بقلم محمد علي الطاهر

ooo



اظنني بمستطيع الكتابة عن الاستاذ عادل زعيتر باوفى مما كتب الكاتبون عنه او اكتب مثله ، ولكني على كل حال اجد في اعماقي باعثا من الوفاء يحملني على الكتابة للتخفيف من حزني عليه والترويح عن صدري الذي ضيق عليه الاسى كل فضاء فسيح .

ان عادل زعيتر لو كان من امة ضخمة حية مستقلة حرة ، فيها مجامع علمية ، وجرائد كبيرة ، ومجلات راقية ، واندية ادبية ، لظل ماتمه قائما من يوم وفاته الى ان يكمل الجيل الحاضر دراسة الكتب العالمية التي نقلها من اللغات الاجنبية الى لغتنا العربية بعد ان صرف في ترجمتها وسبكها في ذلك القالب العربي البليغ اكثر من ثلاثين عاما.

ولكن عادل زعيتر نشأ في امة مهيضة محكومة بالاستعمار وبالاعداء ... انها امة فلسطين التي بترتها الخيانة بعد ذلك من الجسم العربي وشردت اهلها تحت كل كوكب ، او تحت كل خيمة ممزقة تصفر فيها الرياح .. ولذلك لم تهنأ فلسطين بعالمها الفذ عادل زعيتر ولا وجدت فرصة لتكريمه لانشغالها بتضميد جراحها ومعالجة مصائبها

* * *

لقد كان عادل زعيتر في اعتقادي اعظم وابلغ مترجم في العصر الحاضر للاعاظم من علماء اوروبا ومفكريها ، وقد سئل عادل ذات مرة لماذا نترجم كتب الغير ولا يؤلف علماء وطننا كتب مثلها ؟ فقال عادل انه في اليوم الذي يصل فيه علماؤنا ومفكرونا الى درجة علماء الغرب في الابتكار والتأليف فلن نترجم كتبا لاحد ... وهذا صحيح لان الناس سيترجمون يومها مؤلفاتنا نحن الى لغاتهم .

ان الثقافة العالية الرفيعة التي وصل اليها عادل زعيتر بجده وسهره ونشأته في المحيط الوطني المجاهد الذي عاش فيه ، مع تمكنه من نواصي اللغات العربية والتركية والفرنسية والانكليزية ، جعلته يملك زمام موضوعه بهذه الادوات العلمية التي قل ان يظفر بها احد من المعاصرين ويبز كل من تصدى - ويتصدى - للترجمة ونقل علوم الامم الغربية وتعريبها بمثل الدقة التي يتمكن بها عادل من ترجمة وتدقيق اكثر من ثلاثين كتابا ضخما من انفس وارفع ما وصل اليه العقل المعاصر من تفكير ، لاضخم علماء واعظم ادباء وابرز مؤرخين من علماء الغرب امثال غوستاف لبون واميل لودفيغ واناطول فرنس ودرمنغام ومونتسكيو وغيرهم من اعلام اهل الفكر والادب والتشريع والفلسفة .

ذلك ان عادل حين تبتل للعلم كان قد عزف عن مباهج الدنيا وعن السياسة منذ رأى الدجاجلة يظهرون ، واهل « الفوغائية » يبرزون ، واهل الحجى يهملون ، فتقززت نفسه من سوء ما رأى ، ونأى بخلقه القويم عما يتهافت عليه ابناء جيله . ولاسيما حين وجد امته المعذبة بالاحتلال الاجنبي وتمزيق اوصالها تسبح فوق جهلها وبؤسها في بحر من الادعاء والغرور فوق حرمانها نعمة الحرية التي لا ينمو العقل ولا ينصقل الفكر بدونها ولا في غير ظل الاستقلال الظليل .. لذلك انصرف عادل عن المحاماة وكان من اعلامها ، ونذر نفسه للقيام بمهمة تنوير العقول والارتفاع بالافهام. فكان عادل بهذه المثابة سراجا لامته ومنارا لقومه، وسوف يعجز كل من يأتي بعده وسيحير الذين يتصدون بعده للترجمة ونقل علوم الغير من لغة الى لغة ، وما مات عادل ولحق بالرفيق الاعلى الا بعد ان قام بما تعجز المجامع العلمية عن القيام به ، وناب عن الجامعات في تقريب العلم الى الناس، بل قام وحده بما لم تستطع الحكومات ان تقوم به.

* * *

وجدت شبها كبيرا بين المرحوم عادل زعيتر والمرحوم شكيب ارسلان من نواح كثيرة . فقد كان الامير شكيب يخدم الامة عن طريق العلم والسياسة ، وكان عادل كذلك وكان من اعلامها ، فقد اشترك في شبابه بالثورة العربية مع الامير فيصل في « ابي الاسل » وكان بعد ذلك من نواب فلسطين في المؤتمر السوري بدمشق ١٩١٩ - ١٩٢٠ وهذا المؤتمر هو الذي اعلن استقلال سوريا بحدودها الطبيعية ووضع دستورها الاول . ولما انهزمت الامة العربية في تلك السنة على يد فرنسا بالاتفاق مع انكلترا وعصفتا بالدولة العربية في الشام ، ثم اقامت بريطانيا في فلسطين الوطن القومي اليهودي الذي قلبته بعد ذلك الى دولة ، في ذلك الحين غادر الاستاذ عادل سوريا وفلسطين الى باريس للاستزادة من العلم ، مؤمنا بان الجهل هو الذي اضاع الاستقلال ، وان العلم نفسه هو الباب الحقيقي الذي يوصل الامم المستعبدة الى استعادة استقلالها .

ويشبه الاستاذ عادل زعيتر الامير شكيب من ناحية ثانية هي حب الاطلاع على ما يقوله الناس فيه . فشكيب كان يشعر هذا الشعور بسبب غربته ومصائب وطنه وطعن الخونة في وطنيته ونزاهته ، وكان عادل زعيتر يشعر نفس ذلك الشعور منذ انقطاعه عن الناس بعد استعباد وطنه وتمزيقه ، واستيلاء الغرباء والاجانب وغير الاكفاء والنكرات على المناصب وقبضهم على زمام الامور بدون استحقاق ، واهتمام بعض الجهلاء بالقشور التي يلقفها اشباه العلماء ، لذلك كان عادل زعيتر يغتاظ ويتألم لضياع تعبه وعدم تقدير جهوده ... فشكيب وزعيتر كانا لا يطمعان اذن من هذه الدنيا بغير حسن الاحدوثة وسماع كلمة الخير والتقدير من الامة ، ... فما ارخص ما طلبا وما اهون

ما تمنياه ، ومع ذلك فان الجماهير لشدة غفلتها كانت تبخل عليهما بكلمة الخير والتقدير..

* * *

كان الاستاذ عادل زعيتر رجلا وقورا جديا ، منـذ كان شابا الى ان اكتهل ولحق بربه ، وكان شهما ممتازا ، ولا انسى علو همته حين فجع سنة ١٩٢٤ وهو يطلب العلم في باريس بوفاة والده المرحوم الشيخ عمر زعيتر رئيس بلدية نابلس وزعيم فلسطين الاول قبل ظهور الزعامات الجديدة التي برزت بعد وفاته ، فقد عاد الاستاذ عادل الى وطنه ليجد امامه مسئولية اسرة ضخمة مؤلفة من عدد كبير من الانفس لا يكادون يملكون شيئا ، لان المرحوم والـده الشيخ عمر لم يكن من ذوي اليسار المادي كما كان من ذوي اليسار المعنوي ، وما ذلك الا بسبب نزاهته ونظافة يده ، لانه لو اراد الدنيا بجمع المال من طريق الحرام مثلا لمات غنيا مؤسرا .

ففي هذه الظروف الاليمة الحرجة برزت رجولـة الاستاذ عادل حين قام وهو طري العود باعباء هذا الجمع من الاهل ، حيث كفل لهم الهناء والكرامة ببذل صحتـه وشبابه في توفير اسباب الحياة الكريمة لهم .. حمله على ذلك علو همته وشعوره الانساني النبيل بواجب الاخـوة والوفاء لوالده .

كان الاستاذ عادل زعيتر لا يدخن ، ولا يشرب القهوة ولا الشاي ، ولا يسهر في خارج بيته ، وكان مضيافـا كريما ، كما كان رجلا انيقا في حياته ، لا يسكن الا فـي احسن الدور ، ولا يلبس الا فاخر الثياب ،ولا يسافر الا في الدرجة الاولى ولا ينزل في اسفاره الا في افخم الفنادق. وكان ينأى عن كل ما يشين ، ولا يعاشر الحشالات ، ولا يمزح مع غير الاكفاء ــ مزاحا رصينا مهذبا ، مع عفة في اللسان ، واني لا اتذكر انه تلفظ امامي او في محضر من الناس في حق احد ولو كان من خصومه بكلمة نابية او عبارة جارحة .

وفي السنين الاخيرة اخذ الفقيـد يشـعر بهاجس نفساني ينذره بدنو الاجل ، فكان يقول لي ما اقصر ايـام الحياة يا فلان .. اني على ابواب الستين واخشى ان افارق الدنيا قبل ان اكمل ترجمة كتاب كذا وكتاب كذا وكتاب كذا.. وعدد لي نحو عشرين كتابا غير التي اكملها واخرجها في الثلاثين عاما الاخيرة . ثم يقول ولكن بالله عليك يـا اخي الا يزعجك ان ترى الناس يطلبون لاتفه الكتب ويهيصون لادعياء العلم ثم لا تراهم يهتمون ربـع الاهتمـام بـكتب غوستاف لبون وسيديو وجان جاك روسو واناطول فرانس وامثالهم من اعلام الفكر الذين سهرت على كتبهم الليالي الطوال؟

كانت هذه الخواطر تؤلمه وتكد خاطره ، ولذلك كنت اجتهد في التهوين عليه وتعزيته بان اذكر له قصصا عن الغمط الذي يلاقيه اهل العلم والرسالات ، ومن ذلك كنت اذكر له ما كان في مثل هذه الظروف بين المرحوم الامام محمد عبده منذ ستين عاما وتلميذه وصديقه الامام محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار حين كتب لاستاذه محمد عبده يعزيه ويهون عليه ما يلقى من عقوق النـاس ويختم كتابه بقوله ان من عادة الناس ان يتهافتوا على ما يضرهـم وينصرفون عما ينفعهم . فكان الامام رشيد رضا يتأسـى بهذه التعزية على تألمه من جماهير تهرول الى ما يضرهـا وتزهد فيما ينفعها ... ثم كنت ازيد من عندي مثلا اخر لتعزية الاستاذ عادل وهو ان قصة القـط مع الفار عـلى تفاهتها واسفافها قد طبعت اكثر من خمسين طبعة ، وربما ظهر منها اكثر من مليون نسخة ، في حين ان كتب الامير شكيب ارسلان والامام محمد عبده والامام رشيد رضا لم تطبع مرة ثانية في حياتهم باستثناء كتاب حاضر العالـم الاسلامي لشكيب ... ومع ذلك فان كتب شكيب وعبده ورضا ستظل هي الخالدة مع الدهر ، وينسى الناس ذلـك القط وقصته مع الفار .

وسمعت الاستاذ عادل ذات مرة ونحن نسـير في احد شوارع القاهرة يتعجب من جريدة معينة تقرظ كتابا تافها وتتحدث عن كثرة رواجه وتهافت النـاس عليـه ثم تهمل كتاب (حضارة العرب) الذي ترجمه عادل وتعب عليه نحو عامين ، مع انه اهدى لتلك الجريدة نسختين منه !! فقلت له اما اهتمام الجريدة بالكتب التافهة فهو اهتمـام مفتعل لانه ماجور ،واما شدة رواج الكتاب الذي قرظته الجريدة فلكونه اما من الكتب المضحكة او الكتب المسلية .. ثم اشبه له امثال هذا الكتاب باكلة المدمس او الفـلافل التي يقدم عليها الملايين من العامة لرخصها وسهولة تناولها مع انها لا تغذيهم ، واما كتبك فانها تشبه اكلة الكباب التي لا يقدرها قدرها ويستطيع الحصول عليها سوى الطبقـة العاقلة الفنية ، فهي اكلة قليلة المقدار والكمية ولكنها مغذية ونفيسة ولذلك يقل عدد زبائنها . فكان رحمه الله يضحك من هذه التشبيهات والامثال ويجد فيها بعض العزاء.

* * *

لم يطل احد ممن كتبوا عن عادل زعيتر حديثهم عنه كمحام كبير ، بل جعلوا همهم الحديث عن عادل زعيتر العالم المترجم ... ولذلك احب ان اتحدث عنه قليلا كمحام مكتفيا بحكايتين اثنتين !

الحكاية الاولى : في احدى زياراتي للقدس سنـة ١٩٣١ قرات في صحفها ان المجلس الاسلامي الاعلى قـد عين المحامي فلانا محاميا للاوقاف . وكان للكثيرين مآخذ على ذلك المحامي ومنها كثرة النسيان واحيانا التخليط بين المدعي والمدعى عليه ... فكلمت في ذلك السيد امين الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الاعلى وعن سوء ذلـك الاختيار وكيف يترك مثل الاستاذ زعيتر القوي الامين ، فقال ان تعيين ذلك المحامي كان لاسباب سياسية وحزبية محلية، واما الاستاذ عادل زعيتر فنحن نعرف قدره ولذلك نوكله في القضايا الوقفية الكبيرة لشدة امانته في مهنته وحرصه على حقوق موكليه .

الحكاية الثانية : وفي سنة ١٩٣٥ صـادفت فـي القدس الاستاذ عادل بقرب دار محكمة الجنايات الاستئنافية قادما من نابلس ليترافع عن محكوم في جناية ، فاخذني معه وهو يقول سترى كيف اظفر لموكلي بالبراءة بعد ان حكمت عليـه محـكمة الجنايات بالسجـن المؤبـد ... ولم اكن استغرب قوله ساعتها لاني كنت اعـرف السبب وسيأتي حديثه فيما يلي :

صدر الحكم ببراءة المحكوم عليه ، فقـلت لمساعـد النائب العام ومحامي الحكومة في تلك الدعوى وكان الاستاذ موسى العلمي يومها يشغل هذا المنصب .. قلت له ليتك

تعرف كيف ينتصر عليكم الاستاذ عادل في القضايا التي يتولاها وكيف يهزمكم ... فقال كيف ؟ فقلت بشرط ان تغدينا اليوم عندك . تكريما لعادل بك . وكان ما اقترحت وتغدينا في دار موسى غداء طيبا وبعد ذلك قصصت على مضيفنا طريقة عادل في معالجة قضاياه وهي ليست في السهر على اوراق الدعوى او دراستها ، بل النوم المبكر من اجلها ليلة الجلسة ثم ينهض لها عند الفجر فيدرسها للمرة الاخيرة وهو صافي الذهن ورقة ورقة ، ولا يطويها الا بعد ان يضع عليها تعليقاته وملاحظاته ، ثم يركب السيارة من نابلس الى القدس فيفتح الاوراق وهو في الطريق فيراجعها ثانية ويظل يدقق ويفكر فيها الى ان يبلغ باب المحكمة . ثم قلت لمضيفنا مداعبا وجادا : ان غريمك عادل بك لا يتولى الا القضايا التي يعتقد انها قضايا حق وعدل ، ولذلك اشير عليك بان تقاومه بمثل سلاحه ان كنت تجزم باجرام متهميك ، بل الاحسن من هذا وذاك ان تتنحى عن تمثيل الاتهام في القضايا التي يتولاها الاستاذ زعيتر لانه لا يتوكل الا عن المتهمين الابرياء ، ولا يتوكل عن رافع دعوى الا اذا كان من المعتدى عليهم وانه صاحب حق.

ومعنى هذا كله ان الاستاذ عادل زعيتر الذي كان محاميا ناجحا فذا لم يتردد في العزوف عن المحاماة بعد السياسة في سبيل العلم وان ينفق عليه ما جمع من مال ... وان سالني سائل اين المال الذي قبضه عادل من دور الطبع والنشر في مقابل ترجمته تلك المكتبة التي قدمها لامته ، فاني مخبر السائل بان عادل كان يدفع قيمة اتعابه الى شركات الطيران وفنادق القاهرة حين كان ياتيها ويقيم فيها ثلاثة اشهر في كل عام لتصحيح (بروفات) هذه الكتب ... لان اتقان مترجماته لا يتم في نظره الا اذا طبعت صحيحة وان تطبع اتقن واجمل طبع .

على ان الاستاذ عادل زعيتر لم يكن يخلو من حقد العلما .. ولكن اي حقد ؟ انه الحقد العلمي الابيض الذي ينفع الناس ... فمنذ بضع سنين صدرت في القاهرة ترجمتان لكتاب (نابليون) الذي الفه الكاتب الالماني « اميل لودويج » وكان صدور الترجمتين في شهر واحد ، ترجمة عادل زعيتر وترجمة محمود ابراهيم الدسوقي تلميذ الدكتور طه حسين . وكان طه يراس في تلك الايام مجلة الكاتب المصري ، فكتب طه يفضل الترجمة التي اخرجها الدسوقي ويغمز ترجمة عادل زعيتر ... وكان الدكتور طه مغرضا في ذلك بلا شك ، وكان متجنيا ، خلافا لما ينتظر من مثله ..

وهنا ظهر الغضب على الاستاذ زعيتر واخبرني حادثة قديمة وقعت له بسبب طه حسين .. ثم قال لا بد من الانتقام منه ... ونفذ عادل انتقامه بعد عام واحد . وكان ذلك الانتقام انه ترجم واخرج للامة العربية كتاب (روح التربية) لغوستاف لوبون الذي لخصه الدكتور طه حسين قبل ثلث قرن تلخيصا مختصرا لا يكاد يبلغ الى الربع من الاصل

هذا هو الانتقام البديع الذي قام به عادل ، وما احلاه وانفعه من انتقام ، فليت جميع الناس ينتقمون من خصومهم بهذه الطريقة التي في مثلها فليتسابق المتسابقون وان يتنافس المتنافسون ..

اما قصة عادل القديمة مع طه حسين كما حكاها لي عادل فقد وقعت في باريس حوالي سنة ١٩٢٢ – ١٩٢٤ وخلاصتها انه لما ظهرت ترجمة روح التربية اخذها عادل وبعض الطلاب العرب وذهبوا الى مؤلفها الدكتور غوستاف لوبون ، وكان شيخا كبيرا ، وطلب منه السماح له بترجمة كتابه الشهير « حضارة العرب » وقدم اليه ترجمة كتاب روح التربية معتزا بالدكتور طه حسين الاديب العربي ، وكأنه يقول لغوستاف لوبون مباهيا : « انظر كيف ان كتبك تنقل الى لغتنا ! » ولما امسك الدكتور لوبون بالنسخة العربية فحصها ووزنها بيده ، وقال لهم يظهر ان لغتكم مختزلة ومختصرة كثيرا ، والا فهذا تلخيص لكتابي اذن ، وهذا لا يجوز ولا يليق باهل العلم ...

قال عادل : وخرجنا من عنده نتعثر بتلك (العلقة) التي اكلناها بسبب الدكتور طه ، ونويت ان اترجم انا في مستقبل الايام كتاب روح التربية كما هو النص والاصل. ولكني شغلت عنه في ترجمة حضارة العرب وحضارات الهند والكتب الاخرى .. فلما ظهرت ترجمتي لكتاب نابليون وانتقصها طه بدون حق متحيزا لصديقه فطنت الى ما كان بالامس البعيد وقررت الانتقام منه ... وظهر كتاب روح التربية الضخم للدكتور غوستاف لوبون مترجما بقلم عادل زعيتر في اكثر من ٨٠٠ صفحة ، وهو الكتاب العالمي الذي اتخذت منه دول اوروبا دستورا لفن التربية منذ اواخر القرن الماضي الى الان ، وقد اشار الاستاذ عادل في القدمة التي وضعها لهذه الترجمة قصته القديمة مع الدكتور طه وقصة طه معه في مسألة كتاب (نابليون) وعاتبه على ذلك ، عتابا رقيقا رفيقا ..

محمد علي الطاهر

بيتنا الابوي

مطافَ بأشواقنا ينطقُ … ومهد بأحلامنا يشرقُ
ومرتع نجوى لعهد الصبا … وكم مرتع بالصبا يخفق
تجيش جوانحنا صبوةً … بشوقٍ غواربهُ تحرق
وأكبادنا من حنانٍ عليه … عيون مفتحة ترمق
تحنُّ على القرب اضلاعنا … ومن شغفٍ لاتني تفرق
فصدر له من هوى يشهق … وعين له من جوى تدفق
ترانا نطوف كوفد العتيق … بأرجائه والدجى مطبق
ونمسك بالمهد في لهفةٍ … وكل على مهده مشفق
امانٌ لنا درجت تورق … وراحت بأفنانها تسمق
وأينعُ بالامل المشتهى … شباب بأعرافه يعبق
خمائل عهد الشباب القشيب … بأرجائه حلّقت تشهق
وطابت غراس بساحاته … تعهدها مشفق شيّق
يضم على موقد شملنا … اذا انهمر المطر الغيدق
وينظمنا فيئه في الهجير … ومنه لنا في الدجى مرفق
وما ضاق يوما باطماعنا … على وسعها صدره الضيق
وكان لنا منه مستودع … أمين على سرنا مغلق
اذا ما ذكرنا الحمى شاقنا … اليه هوى عذبه موبق
ذكرنا به شرخ عهد الصبا … يزينه الامل المشرق
وعنّت لنا صور للهوى … وشاع بنا الالم المقلق
وطالعنا غابر حافل … مواكبه قطرت تدفق
جحافل تخفق بالذكريات … لها في جوانحنا بيرق
ومُدّت لنا من أب راحم … يد بالندى انهمرت تغدق
وراحت على الليل عين له … تجوب الظلام وتستوثق
تراها مع الليل سهرانةً … لدفع غوائل ما يطرق
اذا ما نظرنا الى بيتنا … أطلّت أمان لنا تبرق
وطافت به ذكريات لنا … كما طاف في زاخر زورق
وأشرق فيه فم باسم … لام وضاء به مفرق
ورفرف قلب لها بالجناح … وَصفّق من رحمة يخفق
هل البيت غير رفيف المنى … وما فاح من امل يعبق
وما ضمّ من سِيَرَ عن أبٍ … رحيم وأم بنا ترفق
وما شعّ من بسمات الرضا … لاختٍ مودتها تصدق
هي الدار للمرء تاريخه … تجلّى له ماثلاً ينطق

دمشق

عدنان مردم بك

فن الشعر

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

○○○



ان غرضي من الملاحظات الاتية التعبير عن اسلوب معين في الشعر ، وبعض الفكر العامة القليلة عن فن الشعر وانا لا اظن ان هذه الافكار جديدة، لحظة واحدة ، ولكني اعتقد انها بحق او بغير حق، انها تتضمن نوعا من المبادىء الصالحة للكتابة في كل الاوقات . وهذه الافكار نتيجة تفكير معين تناول بعض المعضلات المترتبة على بحثنا هذا ، وانا مسرور ان اعترف بديني للكتابات التي سطرها كل من ف.س فلنت والمسيو ادوار دوجاردن، وقد عبر هذان الكاتبان مؤخرا عن وجهات نظر مماثلة للوجهة التي صورتها بالذات . وعلى هذا فانا لا اجد سببا يحول بيني وبين ان اضيف معتقدي الخاص الى ما ابداه هذان من معتقدات .

والان فلنسائل انفسنا قائلين : ما هو هدف الشعر في حياتنا الحديثة ؟ ولنبدأ بما هو سلبي في هذا الشان. اذ من الواضح ان غرضه ليس ادبيا (اخلاقيا) . وطبيعي ان الشاعر لا يرغب ، حتما ، في اصلاح اخلاق قرائه . اما الدعوى القديمة عن «رسالة» الشاعر فهي دعوى استنفدت محتواها الان ، واما نظرية « رفـع المستوى » الفكري ، فمتروكة الى الاقاليم الريفية ، حيث لم تزل منتعشة فيها، حية بين ارجائها .

غير ان الخطر الذي يحيق بالشعر ، بغية ان يكون ملاذا للمؤانسة والامتاع ، بعد فترات الغداء ، هذا الخطر لا يقل شأنا عن الالتجاء الى ما يعرف باسلوب التهذيب التربوي . وعلى هذا فان الشعر التعليمي اصبح الان صفاقة يكاد الاعتراف بها ان يكون عاما شاملا . فغدا الادب ، اليوم ، ابخس ما يكون ثمنا ، واصبح الشعر نوعا رخيصا من الهواية ، التي يتلاعب بها « الظرفاء من الناس » حين لا يجدون شيئا مؤنسا غيره . ذلك بان اذهان الناس انغمرت في التجارة وعلم الاجتماع ، والسياسة ، وبذا فقد الادب هيبته ومرتبته . فنحن بعيدون اشد البعد عن الوقت الذي فيه تمكنت دراسات لوريتز وفالا اللغوية اللاتينية من زحزحة سيطرة الحكام كما اننا نائون عن العهد القريب الذي فيه استطاعت كراسة شاتوبريان من اعادة هيمنة آل بوربون ولو الى فترة وجيزة نسبيا . ومن هنا فان الادب يبدو بعيدا عن المساس بحياة الناس ، وبمصالحهم الحقيقية .

وهكذا فالكتب ، في اشكالها المعهودة ، لا تعني الناس الا من حيث ايناسهم ، وبعث المسرة في نفوسهم ، في سفرة من سفرات السكة الحديد ، او تزجية للوقت في عطلة من عطل ايام الاحد المعروفة . ولذا ، فالتعرف بالادب الحديث، حتى في اشكاله الثقافية ، ولا سيما الشعر ، هذا التعرف ليس انجازا لمهمة معينة ، بل عاطفة ، هدفها المتعة المقدمة للنساء الكسولات ، اي انه ليس قوة واقعية ، قمينة بالوجود الحي .

فبترارك الذي بكى كثيرا ، وندب حظه لانه لم يعثر على نسخة من كتب هومر ليقراها ، هذا الرجل يظهر الان كأي منظر من مناظر السخافة المعتادة . ومعنى ذلك ، لا يقتضيني ان احسب ، ان معظم الناس يقرأون الشعر الحديث من اجل الامتاع حسب ، ومع ذلك فالدافع هنا ايضا ما هو الا نوع من التمتع الجمالي ، الذي يعرف به الكثيرون من الهواة المتبرجين ، وهذا الامر نتيجة من نتائج الرغبة الحمقاء في معرفة اخر اطوار الشعراء ، او مجرد تعلق بالتظاهر بالحكمة الرفيعة المتفوقة التي تدعى احتكار الثقافة والمتاجرة باسمها .

ومن هنا يحق لنا ان نستنتج ان الشعر ليس وسيلة من وسائل التربية الاخلاقية، ولا متعة يلتهي بها ، ولا فريسة سهلة ، او لقمة سائغة للهواة المتشدقين والدعاة المتحذلقين.

* * *

لقد وجدت كثيرا من التحديدات المجردة والنقدية التي تعنى بالشعر ، ولكنها عجزت جميعا عن مساعدتي على التمتع بالشعر اكثر مما انا فاعل . ولذا فانا اعتقد بان ثمة فنا هو فن الشعر ، وهو ما ينبغي الالتفات اليه .

ومن الضروري ، ولو بصورة شكلية ، ان نضع حدا بين النثر والشعر . ومع ذلك فليس من حاجز دقيق بين هذين النوعين من الادب ، فالادب يشمل فنا واحدا فقط ، هو فن الكتابة السليمة ، في مختلف ضروبها واشكالها . صحيح ان تمييز جوردين بين النثر والنظم لا يزال مصيبا، ولكن الشعر يختلف عن النظم والوانه المتعددة .

فاذا قلنا ان الشعر هو ارفع انموذج من الكتابة المبدعة — وهذا ما ادعيه بالقياس على الشعر — فاذن يحق لي ان ادعو قصيدة (التربية العاطفية) قصيدة بالمعنى الصحيح. واذا ما صح لنا ان نتحدث عن(1) Orlando Furioso كقصيدة ذات اهمية، فهل لنا ان ننكر فضل قصيدة مثل(2) Du Côté de chez Surann لما احتوته من جمال ، وافكار واراء ، مما لم يستطع ادراكه اريوستو ؟ وطبيعي ، اني — بهذا القول لا اهاجم (اورلاند) ولكن احسب ان القصيدة الثانية اجمل من الاولى وارفع منها قدرا ومقاما . ومن هنا ، فهل ان التفصيلات والقوافي وحدها هي التي تخلق من شعر اريوستو شعرا ؟ وهل ان انتفاء مثل هذه الوسائل هي التي تبعد صفة الشاعرية عن براوست ؟

(1) هي قصيدة الشاعر الايطالي لودفيكو اريوستو (١٤٧٤ — ١٥٣٣)
(2) هي قصيدة مارسيل براوست وقد نشرها في سنة ١٩٢٢ ، المترجم

ثم انك حتى اذا جعلت الشعر مسألة انسجام لفظي - وهذا امر اعارضه اشد المعارضة - ففي ديوان براوست من الايقاعات الموسيقية الرائعة ، والتجانس الصوتي الجميل والجرس الاصيل البديع ، ما يسمو كثيرا على المؤلف الغنائي الايطالي الذي اشرت اليه سابقا . واذن الا يحسن بنا ان نقول بأن كل كتابة مبدعة هي شعر ، في شكل من الاشكال؟ اما الكتابة التي تولى ظهرها للابداع ، فليست من الشعر في اي ضرب من ضروبه ، الا انه من المرغوب فيه ان نذكر نوعا من التباين بين الشعر الموضوعي ، الذي يهتم بالعمل الفني والاساليب المختلفة - وهذه حالة تتضمن فيما تتضمن الملحمة ، والقصة ، والاقصوصة والدراما ، لانها متشابهة في المحتوى الفني - وبين الشعر الذاتي الذي يعالج العواطف الذاتية ، والعلاقات المحددة ، والادراكات الانية الحادة ، والهواجس النفسانية ، وفي هذا الشأن يتخذ الفن شكلا خاصا من المديح والثناء والغناء والمناجاة . ولكن هذا الضرب من التعبير الغنائي ، يبدو عليه مظهر قطعة صغيرة من النثر ، ندعوها احيانا بالشعر المنثور ، او الشعر الحر .

وهذه الطريقة في الكتابة تختلف اكبر الاختلاف عن الشعر الموضوعي ، ومع ذلك فثمة مستويات ودرجات متقاربة بين هذين الضربين من التعبير . واهتمامي الان ينصب على الشعر ، في طابعه الغنائي هذا . وجوهر مفهومي عن الكتابة الجيدة ، وتبعا لذلك الشعر « في مجاله الغنائي » يمكن التعرف عليه في كلمات سانت بيف الاتية : « غرض كل كاتب اصيل وهدفه ، يتلخصان في الابانة وشرح ما لم يشرحه الناس بعد ، ومعالجة ما لا قبل لغيره على معالجته » . وبكلمة اخرى ، لا يمكننا ان نسبغ على اي كان نعمة الشاعرية ، ما لم يستطع مثل هذا الانسان ان يقنعنا بانه قادر على تقديم شيء جديد الينا . وهذا لا يعني اننا ننتظر منه اكتشاف محتوى جديد كل الجدة ، لان مثل هذا الامر قد يكون غير محتمل الوقوع . الا ان الذي ننتظره منه وهو رؤيا روحية . ومن هنا ، فانا اتفق مع فلنت عندما يقول : اولى المميزات التي ينبغي لنا توقعها لدى الشاعر هي الاخلاص ، والشخصية الذاتية ، والاسلوب .

ولا يعني الاخلاص بالقياس الى الشاعر ان يحدث الناس بالصدق ، بل يعني محادثة نفسه بهذا الصدق بالذات . فالشاعر فنان وسيلته الوحيدة هي الكلمات ، وهو يعبر بواسطة هذه الكلمات عن افكار وعواطف ومشاعر ، كما يفعل الرسام من طريق اللون والموسيقي بالالتجاء الى الصوت . وقد يظهر هذا الامر بديهيا من اول وهلة ، ولكنه من الاهمية في أرفع مقام ، اذ لا بد للشاعر من التعبير عن عواطفه ومشاعره وافكاره . وطبيعي ان كل الكتاب الذين يحلو لهم تسمية انفسهم بالشعراء ، يعتقدون باخلاصهم ؛ ويؤمنون بكونهم يعبرون عن مكنونات ذواتهم . اما الواقع فهو انهم لا يعملون شيئا من هذا الضرب ، بل كل ما هنالك هو ترديدهم لافكار الاخرين ومشاعرهم واحاسيسهم .

وعلى هذا ، فدوافعهم غير مفهومة ، وكلماتهم متقاربة وهذا ليس من الفن في شيء ، وهو ليس شعرا على اي حال . فالكتب التي تكتب من غير اخلاص ، وخلوص نية ، هي ما عناها روزيتي حين قال « انها عمل ذهني محض » اي انها محاولات عابثة ، ومجرد اضاعة للوقت . وقبل ان يعبر الكاتب عن افكاره ، ورؤياه الخاصة عن العالم ، عليه ان يكون مخلصا لنفسه . ومهما يكن حظه من الموهبة ، وقدرته على الابداع ، فهو فنان ، وهو شاعر في الوقت نفسه .

وهذه البساطة في الاخلاص هي نوع من العدالة البدائية ، تجاه العالم بصورة عامة ، وتجاه المعلقين بصفة خاصة ، وهي في الوقت نفسه اختبار في اكتشاف ما هو حقيق بالكلام ، وهذا يعني ، بعبارة اخرى ، قدرة الانسان على تثبيت شخصيته . ولا شك في اني لا اعني بالاسلوب « التصحيح » الذي يفرضه المعلمون والاساتذة على طلابهم ، فهذا امر لم يعد له اثر من الحياة ؟ اي اني لا اقصد من ذلك التصنع في الصياغة اللفظية ، ولا التكلف في المحسنات الكلامية ، ولا التفرد في الاداء المحسن المنظم ، ولا الانتقاء الاصطناعي ، ولا الكلام المفتعل ، ولا اقصد من ذلك ايضا الزركشة السخيفة ، التي تتضمن حروف جر معينة ، ومصادر مقطعة ، واعادة بعض الكلمات مرة او مرتين في جملة واحدة . ذلك بان هذه الوسائل لا تعدو كونها تقليدا ممسوخا للاسلوب (الرصين). وعلة ذلك ان الاسلوب هو تفكير وادراك وتعبير عن الذات بدقة شخصية انفرادية . فبغير الاخلاص تنتفي الفردية ، وبانعدامها يندثر الاسلوب ويعفى اثره . ثم اننا يصح ان نضيف الى ذلك قولنا انه اذا لم يكن للاسلوب وجود فمعنى ذلك القضاء قضاء مبرما على الشخصية والاخلاص معا .

واذا اردنا ان نعرف ايجوز لاي من الكتاب ادعاء الشاعرية ام لا، فلا بد لنا من اختبار اسلوبه... فاذا كان هذا الاسلوب رديئا ، اي انه متالف من تعابير تقليدية ، واستعارات متشابكة ميتة ، وجمل متقاربة ؛ واذا وجدنا

الكاتب يستعمل كلمات لا لشيء سوى لطف نغماتها الصوتية (كما يفعل ذلك الموسيقي) او بغية جمالها (كان يغدو الكاتب رساما) عندئذ لا يمكننا ان ندعو مثل هذا الانسان شاعرا ، وسبب ذلك ان معاني الكلمات العميقة هي التي تنشيء كيان الشاعر الحق . ولا يفقد هذا الكاتب صفة الشاعرية الا لانه تجاوز على القانون العظيم الذي يسري على الكتاب جميعا ، والذي يتمثل بالقول : استعمل الكلمات على حسب معانيها . ومن الغلط الفاضح ان نتصور بان معظم الكتاب يفعلون هذا الامر . فاقلية ضئيلة ، جد قليلة العدد ، في كل جيل ، من هؤلاء الكتاب مخلصون لانفسهم ، ولهم شخصيات رفيعة القيمة ، تدفعهم الى اقتناص الاسلوب الصحيح باستخدام الكلمات على وفق معانيها . اما بقيتهم فهم يتناولون الكلمات بصورة تقريبية، ومن هنا ففنهم ليس من الاصالة بمكان

ومن هنا ايضا ، فليس في الشعر مجال للمناظرات العقلية ، والتعبيرية المستعارة ، والمقتطفات اللاشعورية المنتزعة من بعض المؤلفات . وليس فيه موضع للاستعارات الميتة ، التي كانت يوما ما نابضة بالحياة لجدتها وطرافتها ، لانها كانت تعبيرا عن ادراك واقعي حقا ، اما الان فانها تزييف متعمد لعاطفة معينة . ولذا ، فاذا اردت ان تمحص ديوانا من دواوين الشعر ، عليك ، من اول وهلة ، ان تضعه في بوتقة الاسلوب . وهذا لا يتحقق الا بان تنظر في امعان الى التعبير الدقيق عن الافكار التي خطرت على البال حقا ، والمشاعر الاصيلة الصادقة ، والمدارك المنبعثة عن الذات صدقا . ثم امعن النظر الى العبارات التي تبعث فينا هزة مفاجئة ، فتنير اذهاننا ، وهذه الهزة هي التي تنقل الينا المشاعر الحية ، والموضوعات النابضة بالحركة والنشاط . ثم اختبر الاستعارات التي يستخدمها الكاتب ، واردفها بعباراته وافكاره ، فاذا كانت هذه الاشياء تقليدية واهنة القوة ، بعيدة عن الواقع ، دلت باجلى بيان ان مثل هذا الكاتب لا نصيب له من الشاعرية...

ومن النقاد من يزن شعر اي شاعر بميزات الضجة التي يفتعلها شعره ، من حيث انه كلمات ذوات نغمات صوتية معينة . ولكن مثل هذا الضرب من النقد ، يبدو لي زائفا ، لانه يتنكر لميزات الشعر الرئيسة ويتجاهلها . اما جرس الالفاظ فمسالة تلقائية تتطور حتميا على وفق العواطف التي تنبثق من دخيلة نفس الكاتب ، ومن هنا فهي ليست ترتيبا اصطناعيا للمقاطع والالفاظ . وعلى ذلك ، فالانسجام الصادق ، لا يتاتى الا من العاطفة الصادقة وهو ليس مما يمكن اقتباسه من ملتون او شيللي او سونبرن . فكل اقتباس هو زيف في زيف لانه يعبر عن عاطفة ثانوية ، ذلك بانك اذ جعلت للانغام الاسبقية على المعاني حطمت الشعر ، وجعلته اثرا بعد عين ، كما هي الاعمدة في الهياكل القديمة ، او القيثارات او « القصائد الصورية » التي نظمها ابولنير . وطبيعي انني لا اناصب القصيد الانكليزي العداء ، في اشكاله التقليدية المعروفة ، حتى انني قادر على التمتع بما كتبه كيتس او دون او تشوسر . ولكنني عدو لدود للمسخ التقليدي . واكبر ظني ان خمسة قرون من الانتاج المجهد هي التي استنفدت قوى علم العروض . واذا ما كان شعرنا عبارة عن طرف وفرائد، فسبب ذلك يعود الى الميزات الاساسية في الشعر نفسه ، هذه الميزات التي يمكن ان تتطور في اتجاهات جديدة ، في التعبير والاداء . اما الشعر الحر الذي هو في مرحلة التجربة الان ، فقد يكون حركة في الاتجاه الصحيح ، لان فيه بعض الفوائد المهمة . فهو يفرض على الكاتب تركيز ذهنه على المعاني ، ويضطره الى احتذاء طريق الدقة ، والامانة ، او هي ربما تغريه بهما . اي انه يجبر الانسان على ابداع الانسجام بذاته بدلا من تقليد الاخرين . والنتيجة المثيرة للاعجاب من هذا كله هي التقليل من الانتاج ، وتخفيف غلوائه .

ومن هنا ، فان انتفاء الاساليب البلاغية المعترف بها ، والتنحي عن الجزالة اللفظية ، تحملان الكاتب والقارىء معا على النظر الى ميزات اكبر اهمية ، من توافه الامور . اما الموازين الشعرية المنسجمة ، والادوات التي يعتمدها علم العروض ، فقد تجمل نتاجا رديئا في اعيننا حينا من الزمن ، ولكن الفراغ يبدو واضحا جليا ، حين نجده متشبثا بكيان الشعر الحر العاري . ذلك الشعر الذي يحمل الكاتب على الغاء المبتذل من القول ، و (الكلائش) الشعرية ، والمنظومات المعارة ، والكلمات المنمقة ، وكل ما لا فائدة فيه ، من اكداس ما يتحمله ذواقو الشعر . وبذا يجعلنا وجها لوجه، حيال شخصيتنا الانسانية، لاحيال المعاجم والكتب

* * *

وكما بدات بما هو ليس بالشعر ، كذلك فانني ابدا الان باقتباس ما هو ابعد شيء عن الشعر ، ودونكم ما رأيته مناسبا في هذا الصدد :



« لا تفكري في شيء ، يا حواء ، فانا لا اعرفك يا حواء .

ومهما فعلت من نثر اوراق الحب ونسجها حولنا، فانت حواء او انت لسبيا !

تلك التي تجلببت برداء النعم ، في الفردوس باجمعه

فانت ، انت ، يا حواء ، ان في الروح او في الجسد . »

فسرسا ، وميدوسا ، بعيونهما السواحر ، ستفضحان ديون الطبيعة»

وانت اذا امعنت البصر في هذه الابيات ، لوجدت البيت الاول واضحا كل الوضوح ، اما البيت الثاني فاستعارة ستقودنا حتما الى بيان معين يتجلى « بالطواف بجسدك » . والان ، الا يحق لنا ان نتساءل عما اذا كان المؤلف يتصور احد الشوارع كنهر من الانهار ، والمراة كزورق ينحدر بين الامواج التي تتقاذفها شواطىء البيوت ؟ فان كان الشاعر يظن انه كان صادقا في وصفه ، فهو مخلص لفنه كشاعر . اما اذا اعتمل هذا المشهد تصنعا واقتفاء للاخرين ، فهو ابعد شيء عن هذا الاسم ، لانه ركن الى عبارة معادة مبتذلة، فاستعملها في غير موضعها ، وبذا نأى عن جادة الامانة والاخلاص لفنه . ثم يستمر الناقد في تحليل الابيات المارة الذكر ، فيتصيد معانيها ، ومطابقتها لواقع الحال، واقترابها للحقائق الموضوعية ، فيسفه ما هو معتاد سقيم ، من الامثال والابيات مصرا على الاصالة ، متمسكا بالفن الحي الواقعي ، متباعدا عن العبارات الميتة ، والجمل المتكررة التافهة . وبعد فماذا يعني ذلك كله ؟ ومن هو هذا المارد الغريب ، الذي وصف احسن الوصف في كتاب « فن الشعر » ؟ ومن المحقق ان بعض كلمات في هذه الابيات استعملت في مجالات هي ابعد ما تكون عن معانيها ومغازيها .

اما الرباعية الثانية فهي اشد اسفافا عن سابقتها ، لان كلمات سيرسا وميدوسا وجلباب النعم كلاثلثي معروفة مشهورة بين الناس . وبعد ذلك كله تقبل الى كلمة « الساحر » فتجدها مفتاح « دين الطبيعة » مهما كان هذا الدين من ثقل واجهاد . ولعل في هذا كله ما له شبه ببعض الاستعارات التي استند اليها شكسبير وهينلي .

فهل يعني هذا برمته شيئا؟ وهل يقدم لنا شيئا ؟ وهل يشعر الكاتب باي شعور ، ما خلا ادراكه المشوش ؟ وهل ثمة امانة وشخصية واسلوب في هذه الابيات ؟ انا لا اتصور ذلك . وانا لا اتصور هذا شعرا ، في اي حال من الاحوال.

ولكي اكون عادلا في حكمي ، كان لا بد لي ، من اول الامر ان احلل قطعة رديئة من الشعر الحر ، بالطريقة نفسها ، ولكن ضيق المكان منعني من ذلك . وانا اسف لذلك لان مثل هذا التحليل يرينا كثيرا من الصعوبات حين نتناول قراء الشعر الحر .

* * *

كنت احب ان اقدم قصيدتين طويلتين من الشعر الحر ، كانموذجين من نماذج الكتابة الرائقة ، الا ان قصيدتي (في السماء) لهوفر و (العالم الاخر) لفلنت هما من الطول بحيث يعسر علي تقديمهما ، وهذا تعليق غريب على ما يتشكى منه الصحفيون عادة ، من ان قصائد الشعر الحر قصيرة كل القصر !

ثم يلفت الكاتب انظارنا الى قصيدتين قصيرتين لكل من د . هـ . لورنس و ف . س . فلنت فيحللهما تحليلا دقيقا، ويطابق بينهما وبين الاراء التي ذهب اليها في مقدمة بحثه هذا ، ونظرا لضيق المجال راينا التنويه بهما ، ولمن يريد ان يعود اليهما ، ففي مقدرته ذلك بالرجوع الى كتاب (مقالات القرن العشرين) لمرتبه وجامعه ارتشبولد . ونحن نكتفي الان بذكر مقطوعة قصيرة لعزرا باوند ، شاهدا على ما يرتأيه الكاتب ، وهذه هي (١) :

« كن في دخيلة نفسها ، كالرياح المكفهرة ، في طبائعها الخالدة الابدية

ولا تكن كالاشياء الزائلة ، كبهجة الازهار والرياحين

خذني الى الوحدة الجبارة العنيفة ، بين القمم الشم الداكنة

والمياه المربدة الرصاصية .

ودع الالهة تتحدث عنا بما تشاء من لطف ، فيما يقبل من ايام

فازاهير (اوركس (٢)) الظليلة ، تتذكرك ابد الزمان »

وبعد ذلك يقارن الكاتب بين هذه القصيدة والقصيدتين سالفتي الذكر فيقول (٣): هذه القصيدة تختلف اشد الاختلاف عن سابقتيها، في محتواها ومضمونها ، فهي ليست « تجريبية » وانما هي هاجس طارىء ، وعاطفة لطيفة عابرة . ولا نعتقد بانها في حاجة الى التحليل لنبرز امانتها واخلاصها وذاتيتها واسلوبها الخاص . فسذاجتها، وحسن استعمالها للكلمات ، وانتفاء كل ما هو مبتذل من العبارات والافكار ، كل هذه الامور واضحة جد الوضوح ... ولو ابحت لنفسي البحث عن بعض النماذج لدى الشعراء الفرنسيين المعاصرين ، للاتجات الى مؤلفات رجال من اضراب لافورغ ورامبو ، وفيللي - كرفين ورينيه وفيرهارن وروبان ، وسباير وفاليري وفلدراك ، ودوهامل وهؤلاء قلة من كثرة . ومع ذلك فقد رايت الاقتصار على الشعراء الانكليز ، لاسباب منها : ان التشبث بلغة اخرى ، يضطرنا الى بعض التعديلات والتنقيحات . هذا اذا بقينا ملتزمين بالمزايا الاساسية التي يتطلب فن الكتابة وجودها . وطبيعي ان كل انسان يدخل ميدان الادب ، لا يتمكن من التخلص من مزاجه وطبعه ، ولا مما يتصف به من ترسبات تعصبية تعسفية ، واخلاق معينة . ومع هذا فليس كل شخص يعجب بشكسبير مثلا ، يعجب باحسن ما في انتاجه . وليس كل من يحدثك باعجابه بقادر على الافصاح عن هذا الاعجاب والتعبير عنه .

ومع اني حاولت جهدي تيسير المبادىء التي وضعتها هنا ، على ما هي عليه من يسر ، الا ان كل من يطالعها ويدرسها سيفسرها على وفق معتقداته السابقة . وبعد ، فانا لا ارغب في هداية احد الى وجهات النظر التي اعتنقها حتى ولو كانت هذه الوجهات صائبة كل الاصابة ، ذلك بانها لو كانت كذلك ، فيستوصل اليها الفكر الحر النزيه او الى ما يماثلها من طرق متباينة مختلفة . اما الفكر المتحيز ، غير النزيه ، فليس له من اهمية تذكر في حساب الزمن واما اذا كانت ارائي خاطئة ، فبودي ، لو كنت مستطيعا ، الا اضل احدا ايا كان .

العراق ـ بعقوبة **يوسف عبد المسيح ثروة**

(١ و٣) من كلام المترجم • (٢) الهة العالم السفلي ، عالم ما بعد الموت من افلاطون ، المترجم •

غواية في الصبا

تعالي لون ايامي ... تعالي لحن ليلاتي
اعانق فيك اوهامي ... وافنى في غواياتي

اخاف عليك اطماعا ... من الناسك والغاوي
واحمل فيك اوجاعا ... وياس الملك الهاوي

وارجع بعد نشداني ... على نبعك لي ظلا
اروض جماح غيران ... اذا ما نبعك انهلا

لئن صاديت بالعشق ... فقد اغراك حرمان
تعاليت عن الحق ... فان حلاك بطلان

اذا ما رسمك العاري ... اقض مضاجع السالي
فثار الوجد كالنار ... من العاشق والقالي

وان اهوى بك الحسن ... على اودية الاثم
وخلد ذاتك الفن ... بما اهويت بالجسم

ففي صدرك للجنس ... سعار من تشهيك
وجوع الحس للحس ... ولفح من امانيك

سواء فتنة الجسد ... وروعة روحك الظامي
فان الغي كالرشد ... ومرحك مثل ايلامي

على مذبح شيطان ... وهبت الروح قربانا
وفي محراب اوثاني ... رضيت هواك سلطانا

اقامر بالذي شدت ... من التجريب في عمري
وابذل فيك ما صنت ... من التقديس للفكر

وما جدوى تجاريبي ... اذا لم يهدني شكي
وما نفعي بتعذيبي ... اذا لم ينتصف منك

بلوت براءة الحب ... ولم ابرا من البشر
ورضت نوازع القلب ... ولم انج من القدر

فجئت اليك استجدي ... بقايا من لياليك
تجالد نشوتي جلدي ... على ذكرى مهاويك

لئن غيضت الكاس ... رحيق اللذة البكر
لقد ارضعها الحس ... مزاج الرجس والطهر

وان عزتك منجاة ... من الماضي وما اجترحا
فلا تشغلك ماساة ... عن اليوم وما منحا

ولا تاسى لما كانا ... ولا يفتنك مجهول
فحسبك ان دنيانا ... قراها الان مكفول

وان العيش لذات ... فلا نفسده بالندم
ومسرانا مسرات ... فلا نسلمه للعدم

فهاتي كدرة الجام ... ولا تبقي على سؤر
ولا ترثي لالامي ... ولا تبكي على طهري

ولا تمتهني ذاتي ... اذا دنسها اثمي
فحسبك ان اوقاتي ... مطهرة من الالم

لئن حررها جهلي ... لقد كللها الغار
وان كبلها عقلي ... فقد جللها العار

فما العفة والطهر ... سوى وهم شقيين
وما مهوى ومنحدر ... سوى اشباح طفلين

سئمت مواقف العشق ... على اطلال معدوم
فما تنقع من شوقي ... وما تشبع محرومي

وكم في حانة الغزل ... تساقيت الهوى روحا
فما ضللت عن نزلي ... ولكن عدت مجروحا

وكم ابدعت انغاما ... وفلسفت تهاويلا
وكان السهد احلاما ... وكان الصحو تاميلا

فاعقبت من الحلم ... ومن صحوي واغفائي
سماداتي في وهمي ... وفي الواقع باسائي

وما لاقيت من شجني ... على مثلي التي تهوي
سوى حسرة من يجني ... بقايا دوحة تذوي

سوى الحسرة في فني ... اردها بلا معنى
وغيم الشك يمطرني ... وليل الياس لا يفنى

فصرت اغيش اليوم ... ولا احفل بالآتي
ففي وعيي منهدمي ... وفي سهوي منجاتي

فلا تعجلي العمرا ... اذا ضقت بدنياك
ولا تفتقدي الصبرا ... ففي الاهواء نعماك

دعي دنياك تسبينا ... فنجزيها بشكران
دعيها لا تعابينا ... باسقام واشجان

غدا تنحطم الكاس ... وقد ثار بها العدم
فلا يتضع الحس ... ولا يتجبر الالم

فهاتي كدرة الجام ... ولا تبقي على سؤر
ولا ترثي لالامي ... ولا تبكي على طهري

حسن فتح الباب

القاهرة

قصة سورية

عجاج

بقلم فاضل ضياء

مهداة الى الانسان الكبير ميخائيل نعيمه

ooo

لم اكن من اولئك الـذين يؤمنون بالمصادفات الايمان كله ، ولكنني قد اكون ـ الى حد ما ـ من هؤلاء الذين يقولون : نحن نسوق الزمن . ومهما يكن من امر ، فقد جعلتني هذه القصة العفوية اومن الايمان كله بالظروف والمناسبات !..

كان ذلك في الليلة الماضية، عندما اعترض طريقي زمرة من الاصحاب ، وراحوا يقنعونني بمرافقتهم في سهرتهم هذه التي ينوون اقامتها . فما كان مني الا ان اساير دون ان اعرف كيف ومتى اختمرت هذه الفكرة الشيطانية في ادمغتهم ، فكرة سهرة ماجنة ، يضج لها الليل ، ويسمر بها القمر . حتى لكأن لقائي بالنسبة لهم ـ كما بدا لي ـ قد كان بمثابة اظهار لهذه الفكرة من حيز الرغبة والنظر ، الى حيز العمل والتطبيق .

وما ان وصلنا (ساحة الحرية) ، حتى كان فوزي اول من استقل لنا عربة ، ودعانا الى الركوب . وبين جد ومزاح ، وشد وترك ، ابتلعتنا العربة وتحركت .

نحن الان في الطريق الى السهرة الماجنة ، تقلنا عربة مكشوفة ذات حصانين . كان مجموعنا اربعة بعد ان اعتذر لطفي وعباس محتجين بالتعب والنعاس ، وكذلك عدنان الذي كان يتوق الى الذهاب من كل قلبه ، الا ان قبقاب ام الاولاد ـ الذي كان يتراءى له ابدا مرفوعا ، يريد ان يستقر على صلعته ـ حرمه مشاركتنا ، فاعتذر مكرها .

كان الهواء ناعما ، يتنفس ببطء لينعش الصدر ، ويرطب الاجسام . فانبرى فوزي يغني في العربة،ونحن نرد عليه كجوقة موسيقية مزعجة ،لا ارى لها تشبيها اقرب الى التصور والتصوير ، الا طاحونة الاحجار وضجيجعمالها الذين اذا اراد احدهم ان يكلم من حوله ، يصرخ باعلى واقوى صوت ممكن لـكي يسمعه ما يريد ، وقد لا يبلغ غالبا ما يريد !..

واعتقد اننا لو كنا ضمن المدينة ، ونحن على هذه الموسيقا النشاز ، والاصوات المنكرة ، لكنا اول من يخرج قانون (الازعاج واقلاق الراحة العامة) الى حيز التطبيق . ولكننامع ذلك ، كنا نظن بانفسنا الكفاءة التامة للتربع على عرش الغناء ، فيما لو وجد ضمير حر ، وذوق ممتاز ، واذن موسيقية مرهفة ، تقدر مواهبنا الضائعة ، وملكاتنا المدفونة التي لم يقدر لها بعد من يكتشفها في هذا البلد الفقير .

وكان الجو الذي خلقناه بعربدتنا ، وشاركنا الليل على خلقه ، قد اعجب هذين المخلوقين اللذين كتب عليهما ان يجرا هذه العربة . فراحا يتهاديان على مهل ، مما دعا العربة ان تسير بنا الهوينا مترنحة ، نشوى، يسمع لعجلاتها العتيقة ـ بين الفينة والاخرى ـ صرير حلو ناعم ، اشبه بأنين النواعير الشجي في ليلة مقمرة عذراء . ولكن صاحب العربة اللعين الذي كان يطمع في اكثر من (توصيلة) انتبه لهذا التباطوء الذي تسير عليه العربة ، فهب منتصبا بجسمه النحيف، وقامته القصيرة، وطربوشه المائل ، وسرواله الفضفاض ، وراح يلهب جسم ذينك المخلوقين بالسياط تارة، وبهذه الوسوسة والزقزقة تارة اخرى ، يستحثهما على السرعة الطائشة التي يغذيها فحيح الطمع في كل جارحة من جوارحه .

وفجاة .. لفت نظري ان الحوذي لا يستحث بالضرب الا واحدا بعينه من هذين المخلوقين ، مع ان هذا المسكين الذيكان يتلقى هذه الضربات القاسية ، لم يكن ليتمتع بجسم اضخم او اقوى من زميله الحصان الاخر . كما انه لم يكن ليبدي تكاسلا او تباطؤا . وكدت افهم خطأ بان للحوذي عليه ثأرا او ما شاكل ذلك ، فراح يصب عليه جام غضبه .

ولما تتالى هذا المشهد المحزن الغريب امامي ، بعد ان كنت قد انصرفت عن رفاقي قليلا ، دفعني مزيج عجيب من الاحساسات التي نسجها التطفل والفضول من جهة ، والرحمة والاشفاق من جهة اخرى لاسأل :

ـ يا عم ؟..

ـ نعم .

ـ ما اسمك بالخير ؟..

فصمت هنيهة .. ومرت فترة دون ان يجيب . فاعتراني الخجل، وبدا لي من خلال ظهره وكأنه يتمتم « لا حول ولا قوة الا بالله . من اين بلاني الشيطان في هذه الليلة بامثال اولئك الملاعين ؟ » .. ثم التفت الي وقال متبرما :

ـ مصطفى .

ـ بالله عليك يا سيد مصطفى .. سؤال واحد ان امكن ، وان كان في غير محله !

فاجابني ببرود :

ـ تفضل .

ـ لماذا تضرب هذا الحصان الاحمر المسكين ، اكثر من ذلك الحصان الرمادي ؟..

ـ لان الحصان الرمادي ، هذا الذي تراه يا سيدي ، كان في الماضي القريب حصان سباق ، ولم يسبق له ان عمل في جر عربة ما .

وما كاد يتم جملته ، حتى راح يستحثهما على السرعة من جديد .. كأنما فطن الى انه اضاع بهذا الكلام الفارغ زمنا ، كان عليه ان يعصره ويستفيد منه ما امكن في بلع الطريق!

اما انا .. فقد استرعى انتباهي كلمة سباق ، واعترى قلبي شيء من الخفوق السريع ، احسه بقوة ، ولكنني لا ادري كنهه تماما . الا انني اذكر حين هممت بايقاف العربة ، لافترس في وجه هذا الحصان المذكور ، ولو قليلا ، خجلت..وخفت ان يظن رفاقي بي سيئا . فاستويت في مكاني لاسأل بحرارة جنونية :

ـ وكيف حصلت عليه يا عم ؟.. ومن اين ؟.. ولم ترك السباق الى الجر ؟..

غير ان رفاقي قاطعوني بلارحمة. فقال فوزي مزمجرا :

ـ وانت .. ماذا يعنيك من امر

هذا الموضوع ؟..

ـ قال نوري متذمرا :

ـ اف .. ما اقبحك !.. لقد قطعت غناءنا ، وعكرت علينا جونا !

فاجابه وائل ساخرا :

ـ الا تعلم انه اختص بالكشف عن هوية الحيوانات واستنطاقها منذ ان عمل مع طبيب بلدته البيطري في المحجر الصحي ؟!

لقد كانت هذه المعارضة ، وهذا التشنيع ، كافيين ليجعلاني كخرقة مبلولة من الخجل ، امام ذلك الحوذي الذي لا اعرفه . فصمت ، وتابعوا الغناء ، كان شيئا لم يحدث ! ولكن يعلم الله كيف كان صمتي يغلي ويفور باشياء واشياء !.. ووددت لو اوتيت قوة شمشون الجبار في تلك الاونة ، لضغطت على رقابهم دفعة واحدة ، ثم لوحت بهم جميعا في الفضاء كما يلوح الطفل قضيبا من الرمان في يده متسليا !.. لا لشيء ، الا لانني اصبحت في جو ، وباتوا في جو اخر . انا افكر في هذا الحصان العزيز ، وما آل اليه حاضره من الذل ، واحاول ربطه باجواء بعيدة ماضية ، وهم لا يفكرون في شيء غير اللهو والتندر والغناء .. فمن اين لي ، وهم على هذه الصورة ، ان انقل اليهم احساسي وشعوري آنذاك ؟..

وكدت اختنق مما انا فيه . بيد ان الحوذي بدا لي وكانه ادرك بفطرته ما اعتمل في نفسي من جراء هذا الحوار القصير الذي دار بيني وبين رفاقي ، فانبرى يقول :

ـ لقد اشتريته من بيروت يا سيدي ، منذ عدة سنوات لا اعرفها على الضبط . وذلك من رجل كريم اسمه على ما اذكر (جورج عبود) اشتريته ورجله اليسرى مكسورة .. ثم علمت فيما علمت من سائسه او دلاله ، انه كان بطل جولات (السويبستيك) منذ سنتين . فعطفت عليه كثيرا ، لا سيما بعد ان فهمت شيئا عن ماضيه العزيز . فكنت كلما حاولت ضربه ، قفزت الى مخيلتي ذكرى ما كان عليه من عز ونعمة فاتراجع !..

كنت ، وانا افهم عن الحوذي ، اعود رويدا رويدا الى بلدتي .. الى ذلك المهر الصغير الذي اشتريته من جاسم الكسار بمقدار زهيد ، بعد ان توفيت امه (الزرقا) . ذلك المهر الذي اطلقت عليه فيما بعد اسم (عجاج) .. وطفقت اعتني به الاعتناء كله بحكم مهنتي ، لانني ـ فعلا ـ كنت اعمل مع الطبيب البيطري في قضائنا آنذاك .

ودارت الايام ، واصبح (عجاج) لا ينازعه قصب السبق حيوان . فذاع صيته ، وطارت شهرته في الافاق . فاتاني ـ ذات يوم ـ مثري لبناني كبير ، قيل لي فيما بعد ، ان اسمه جورج رزق الله العبود ، فاغراني بمبلغ ضخم ، تنازلت معه عن عجاجي الحبيب ، وانا العن الخواطر والكرامات التي اخجلتني ـ انا اليتيم الفقير ـ واضطرتني ان اوافق على بيعه مرغما

استعرضت كل هذا وانا في شبه غيبوبة عما حولي ، بينما كانت سيارات الاجرة ، والخاصة ، والعجلات التي تقل الكثير من زبائن الليل ، تتتابع امامنا بلا انقطاع . فكان بعضها يسبقنا مسرعا ، وبعضها يماشينا محاذيا ، فتعبق رائحة سكرهم في انوفنا ، فيبدون لي ـ في تلك اللحظة بالذات ، وقد ضربت في رؤوسهم حمى الغريزة الجنسية ـ كبهائم مفترسة ، ضارية ، ليس لها هم من الدنيا الا ان تشبع نهمها الحيواني ، وان كان ذلك على مائدة الارواح المسحوقة ، والاجسام المحروقة !..

نعم .. لقد كنت ارى واحس كل ذلك ، واسمع الى رفاقي وهم يقولون بين الحين والاخر :

ـ ما بك يا حسان ؟.. شاركنا !

فيجيبهم نوري :

ـ دعوه .. انه مشغول بسبحاته الرومانتيكية ..

صحيح !.. لقد كنت مشغولا بسبحاتي الرومانتيكية التي ما كادت تحلق بي في اجواء الماضي ، حتى امتدت بي الذكريات ، فرحت اتصور عجاجي وهو في حلبة السباق في بيروت ، يطوي ميدانها الرحب بقوائمه المحجلة ، وغرته الفضية الناصعة التي كثيرا ما سرحتها له مدللا اياه ، وذيله الضافي الذي طالما عقصته كيلا يتسخ او يصاب بالعين !..

ها هو في الحلبة قد بذ اقرانه ، وسبقهم باشواط . ها هو .. انظره لقد اقترب ، اقترب من نهاية الشوط . فضج المتفرجون ، واشرابت الاعناق ، وتسمرت الاحداق ، وخفقت القلوب ، وهتفت الحناجر ، وكان عجاج الرابح الاول . فاذا بالازهار والرياحين تنهال عليه من كل حدب وصوب .. واذا بقبل الفتيات ، تمطر وجهه الحلو .. وعناقهن الحار ، يضم عرفه الجميل .. واذا باكاليل الغار ، تعلو هامته ، فيجره سائسه من خلال الزحمة الى حظيرته مختالا فخورا ، بعد ان تشيعه الهتافات باسمه وحياته .

لم اكن لاعلم تمام العلم بان النقيض يجر نقيضه ابدا ، ولكنني لست ادري ايضا كيف تمت المقارنة بمثل هذه السرعة بين هذين الوضعين ، ولماذا ؟

وما كدت اصل الى ههنا بالتخيل والذكريات ، حتى افقت على صوت الحوذي يدعونا الى النزول امام (الكهف) الذي قصدناه .

تركنا العربة ، ودخلنا بعد ان دعوت الحوذي الى الدخول معنا . فرفض باديء ذي بدء ، ثم سايرنا لما لمس في دعوتي الملحة من حرارة . وبينا نحن على الباب ، اوقفت الحوذي هكذا ، وجها لوجه ، بعد ان كان رفاقي قد سبقونا الى الداخل ، وقلت له والدمعة تجول في عيني :

ـ اسمع يا سيد مصطفى . لقد صبحت تربطني واياك قرابة صميمة !

فاعترت الدهشة الحوذي وقال مستفسرا :

ـ وكيف ؟

ـ انتبه يا مصطفى . الحصان الذي تكلمنا عليه ، حصاني .. وهو امانة في عنقك . ارجوك افهم عني . انه عجاج .. نعم عجاج .

ثم قصصت عليه القصة ، وقدته من يده راجعا به الى العربة ، ولما دنوت من الحصان الرمادي ، مسحت على وجهه ، ثم داعبت انفه حيث كنت عودته على تلك المداعبة .. ثم همست في اذنه :

ـ عجاج .. عجاج .. هل تذكرني ؟ هل تذكرني يا عجاج ؟ فرفع الي راسه محمحما ، وجعل يضرب الارض بيده اليمنى تارة ، ويمسح وجهه بكتفي اخرى ، تماما مثلما كان يفعل وهو مهر صغير .. حين كنت اداعبه مشدودا الى باب المحجر الصحي في قضاء « اعزاز » .

حلب — فاضل ضياء

« من الاصدقاء »

من الاغاني الشعبية

ترجمة انور محمود سامي

هذه الاغاني مترجمة عن اللغة التركية (١)الدارجة في بلدتي « كركوك » وضواحيها ؛ وهي من الاغاني الشعبية المنتشرة عندنا التي لا يعرف مؤلفوها ، فالناس قد تناقلوها جيلا بعد جيل وزادت عليها العبقرية الساذجة ،فتضاعفت روعتها حتى وصلت الينا بهذا الشكل . وحين تنفجر حيوية الارض في الربيع وتجيش الدماء في عروق البشر الذين جمدهم شتاء الشمال البارد ، يهرعون الى ضواحي المدينة فيغنون هذه الاغاني المحببة اليهم بنشوة طاغية وحماس بالغ . وفي بلدتي شبان احترفوا الغناء فيدعوهم الناس ليغنوا في حفلاتهم ومواسمهم واعراسهم . وهي فوق كل هذا تعكس الروح الشعبية عندنا بما فيها من الم وحزن وفرح وبساطة .

قدام بيتهما

قدام بيتهما ينبت العشب
متعاليا حتى السطح
هي سمراء ، خصرها نحيل
فارقصي يا صغيرتي ارقصي
ارقصي يا سمرائي الصغيرة
ارقصي ، ارقصي ، ارقصي

قدام بيتهما شقائق حمراء
اترعي الاقداح بالخمر
ولننتشِ ونهيم في الدرب
فارقصي يا صغيرتي ارقصي
ارقصي يا سمرائي الصغيرة
ارقصي ، ارقصي ، ارقصي

قدام بيتهما ينبت الدارسين (٢)
ولو خطفتك
فالى اين اتوجه بك
ارقصي يا صغيرتي ارقصي
ارقصي يا سمرائي الصغيرة
ارقصي ، ارقصي ، ارقصي

قدام بيتهما ينمو الشعير
ويحصد حزما
شقيقتان احداهما طفلة
ارقصي يا صغيرتي ارقصي
ارقصي يا سمرائي الصغيرة
ارقصي ، ارقصي ، ارقصي

قدام بيتهما تنمو البقول
والحمائم تقلب اجسامها في الهواء
فخذيني واخفيني في عبك
ارقصي يا صغيرتي ارقصي
ارقصي يا سمرائي الصغيرة
ارقصي ، ارقصي ، ارقصي

قوريات

زُرع زرعي (٣)
وتناثرت الحبوب من السنابل
فابعثي بشعرة من شعرك
ليخاط بها كفني

رأيت الرمان في البستان
فانحنيت ، ورأيت الحبيبة
يا ليتني لم اكن مبصرا
فقد طالعني وجهها المصفر

الجناح أزرق
جناح الليل ازرق
لقد اخترقني السهام حتى انني
فلا تخفين نزيف الدماء

مولاتي انني اليوم حزين
حزين مترع النفس بالاسى
لقد اخترقتني السهام حتى انني
لا اقوى على التجوال

الشفة ترتعش
النسائم تهب والغصن يرتعش
وحين ترى عيناي حبيبتي
ترتجف ساقاي ، وترتعش شفتي

السجادة على الارض
السجادة مفروشة
تعالي يا حبيبتي لنتشاكى
في خلوة ، ووحدة

تأخري
تمتعي عندنا وتأخري
لا تركبي فرس اللئيم
تأخري .. وسيري راجلة

العراق كركوك انور محمود سامي

---

(١) مترجمة من مجلة « فضولي » التي تصدر باستانبول العدد الاول سنة ١٩٥٧ ومن كراسة بعنوان « كركوك فورياتلري » من جمع عثمان مظلوم . (٢) الدارسين : نبات ذو بذور ذكية الرائحة نمزجها مع الشاي فتعطيه نكهة . (٣) «القوريات» مقطوعات شعرية غنائية قصيرة

شـال

ooo

بي الان توق يمص دمي
ويرغل تحت جفوني •• يجر فمي
ويسحبني في المغتص سحبا•• يخوض المحال
•• يرسخ فيَّ جنون السؤال
بي الان توق •• يشلّع نفسي
يشرّحها •• يتهجى مفاصلها•• ويصهر حسي
كاني سديم •• مضيّع آت وامس
كأني رؤى متمردة شاردة
تلوح بمنديلها •• وتغني عتابا •• !
وتسأل عن مفرق تاه بين الدروب
وعن مغطس الشمس عند الغروب
وتسأل بدرا عجوز
تغضّن والتف حتى غدا كالرموز

بي الان توق •• أظن اليها •• يفجّر صدري
ويحزمني طاقة من شعور وجمر
ولهف الى شالها المستحيل النسيج
أشم الهوى •• شالها •• يا لمزنرها بالاريج
أشم الهوى •• يا لمطوق عنق لها
ملفلف نحر وذروة صدر
ألا قل لها شالها ••
أتذكر لما يدي
قذفتك برفق
وراحت تعمّر للنجم احلى مطلّ
وترشوه صوب حبل المجرة
وتركزه في السماوات درّة
وتزرع في العنق الف حديقة
مواسمها •• الحب والمنتهى والحقيقه
مواسمها البدء والدنى والخليقه
أيا شالها
سألتك فيما وما بيننا من وداد
وما بيننا من حكايا قديمة
واسرار عنق وصدر••
ضممناهما ذات يوم كلانا
وقلنا •• لكم لهما نحن قلنا ••؟
شفاهي سألتك قولي
تعطل نطقي وشل لساني
تعطل يا شال نطقي
وغام الضيا يا نقي
سألتك قل •• من جديد
تراها •• ترى ما تزال تحس بانفاسنا
وتذكر لما بشباكنا
زرعنا الحبائق والسوسنا
ولما مع الغسق الترفرف رحنا نواصل مشوارنا
وجاء الظلام لينشر استاره حولنا
ويغرقنا في لهيب يذوّب اضلاعنا
حنانيك يا ليل لمّا انصهرنا
ولما رأت فوق بؤبوها
جفوني •• وفي قلبها خفق قلبي
تأنسن كون جديد •• جرى نهر حب
أيا شالهـــا
تخطّ ذنوبي
وعفوك عني
لاني
قذفتك يوما عن العنق •• يا شالها

مرمريتا ـ سوريا **اليـاس مسـوح**

الادب مملكة الروح البشرية ومجالها الرحب

ترجمة يوسف اسعد داغر

○○○

لقد اصاب الحركة الادبية في الغرب خلال القرنين اللذين مرا على تأسيس جامعة كولمبيا ، في الولايات المتحدة الاميركية ، تغييرات وتطورات تناولت منها الشكل والقصد ولعل ابرز هذه الاتجاهات طرا ، تلك الثورة التي انطلقت في السنة ذاتها تقريبا التي ترى فيها جامعة كولمبيا النور ، عنيت بهاالحركة الرومنطيقية التي جاءت ، في جوهرها ، اكثر من تغيير في المعنى والاسلوب ، بل امتدادا او تعبيرا ابرز ، غير منتظر ولا متوقع ، للوعي الذاتي ، افضى بالانسان الى عالم جديد من الحساسية ، ومجال جديد من الشعورية ، لم يعرفهما من قبل ولا بلغت اليهما مخيلته الشرود الجفول ، يوما من الايام . والذي اداه صادقا ، اننا لا نزال ، نحن الكتاب ، نتأثر الى حد بعيد ، بالمذهب الجديد . كذلك اعتقد موقننا ان الطريقة التي اطلت علينا من نحو مائتي سنة ، لاتزال مثارا للفكر البشري ، تلهبه وتذكيه ، وتقيمه وتقعده . ولذا ترتب علينا ، والحالة هذه ، ككتاب نطمع في الابداع والخلق والتجديد ، وكنقاد نقول بالتوجيه ، ان نحافظ دوما ، على تأجج هذه الثورة واذكاء شعلتها فيما بيننا والاجيال الطالعة

للناقد الاميركي الكبير : ايرفنغ بابيت (٢) ، هذا الناقد السليط الملتوي الاسلوب ، من نقاد الجيل الذي انقضى ، يعود الفضل بالدرجة الاولى ، في رد الحركة الرومنطيقية في الادب ، الى جان جاك روسو ، اصلا (٣) . فلنحتفظ باسم روسو ابا للمدرسة الجديدة وليبق هذا الاسم عالقا في الاذهان . واني اود هنا ان اضيف الى اسمه اسمين اخرين هما : دنيس ديدرو (٤) ولورانس ستيرن (٥) .

ولد هؤلاء الثلاثة في سنة ١٧١٢ ــ ١٧١٣ ، على تفاوت بضعة اشهر الواحد من الاخر . وقد كانوا ثلاثتهم ، تجاوزوا الاربعين من اعمارهم ، قبل ان يتاح لهم نشراولى مؤلفاتهم المهمة . وكأني بهذا كله ، يجعل ظهور الرومنطيقية في الادب وجامعة كولمبيا ، على موعد واحد مع الزمن . ومع هذا ، لا يدور هنا في خلدي قط ، ولا اود بشكل من الاشكال ، ان ارى اي ارتباط او تماسك بين الحادثين . وجل ما ارغب فيه التدليل على ما يوجد من توافق في الزمن بين الحادث الواحد والاخر .

ان نظرتنا للمذهب الرومنطيقي في الادب قوامها ، على ما نرجح ، ما فينا من قدرة على المحاكمة العقلية ، تتناسب وما تم لنا من مستوى فني او خلقي . كان بابيت من الاخلاقيين ، من هؤلاء الاخلاقيين الذين هاجموا الكتاب الرومنطيقيين ليس في اخلاقهم وتصرفاتهم فحسب ، بل ايضا في آثارهم الفكرية والادبية . الا ان هذه الاثار تعتبر ، من الوجهة الفنية ــ الاستتيكا ــ مآتي عظيمة يبهت حيالها ويضؤل ، كل ما يبدو عليها من طابع الاثرة والذاتية . ليس من الصعب على عالم اخلاقي ان يشجب بشدة الاخلاقية الرومنطيقية وان احتفظ لها من صميم ضميره بالوافر من الاعجاب والتقدير العاليين لما فيها من سموالشعر والشاعرية كما انه لا يصعب على المتحمس للادب الرومنطيقي ، المأخوذ بما فيه من روعة ومتعة ، ان ينزل باللائمة دونما حرج او تثريب ، على اخلاق الكتاب الرومنطيقيين . ومع ذلك يبقى قائما بالرغم من هذا ، لغز واقعي محير ، مربك ، لا بد من حله، وهولغز كشفعنه اول من كشف، الكاتبالرومنطيقي الدانيماركي المشهور سورين كيركفارد (٦) .

فما هي لعمري ، هذه الثورة او الفكرة الثورية التي فك عقالها وحل وثاقها فانطلقت في العالم ، جامحه غلابة ، في اعقاب سنه ١٧٥٠ ؟ لا نود ان نستعرض هنا التعريفات والتحديدات التي جاء بها المفكرون للتعريف بالرومنطيقية وتحديدها تحديدا فلسفيا ، فتدخل السام الى قلب القارىء والملل الى نفسه . اما الذي لا يختلف فيه اثنان هنا ، هو ان العامل الثوري الجيد في الادب الجديد هو ان تصبح الحساسية او الشعوريه ، الخامات الاولى في فني الادب والتصوير . وهذا القول لا يعني قط ان الناس ، قبل عام ١٧٥٠ ، كانوا خالي الوفاض من كل شعور ، او فاقدي الاحساس . فطبائع الناس وغرائزهم لا تتغير بسهولة بين سنة واخرى ، ولا تستحيل الى النقيض بمثل هذا اليسر . فحري بنا ان نؤكد هنا ان استعداد البشر او قابليتهم لم تتغير قط ، بل ان بعض العواطف التي هي دائما على احسن استعداد للانطلاق من القلب ، قد جرى كبحها او لجمها حتى الان . هذا هو لعمري التفسير الصحيح لهذه الظاهرة . الا اننا لن نتمكن من فهم ما حدث تماما ما لم ندرك على اي وجه تم الامر وكيف وقع ، اذ المهم في الرومنطيقية ليس المبنى او المادة ، بل الصورة او الشكل .

ومتحذلق يقوم فيقول : ان هذا التمييز لا يرتكز قط على اساس ولا ينهض على دليل . فالصورة لا وجود لها مجردة، محيزة ، وهي دوما قالب تحركه احدى احاسيس النفس الروحية . فهي مظهر للمادة بالشكل الذي تبلورت عليه واستقرت به في ذهن الشاعر . ولكن التفكير بالامر على هذا النحو اليس هو بالفعل التفكير الرومنطيقي بالذات . ان احلال الصورة محل المادة او المبنى محل المعنى هو بالذات ما تقوم عليه الثورة الرومنطيقية في الادب .

فالفكرة الاساسية هي ان الادب ــ اي الكتابة الخلاقة ، نثرا كانت ام شعرا ــ هو النشاط المبدع الخلاق . فالشكل يبرز عفويا ، تلقائيا ، في اللحظة ذاتها التي تلتمع فيها الفكرة في ذهن الشاعر المبدع ، او في ذهن الرسام المحيز مرئياته ظلالا والوانا او يركز الصورة الجمالية كما تمثلها .

وعندما بلغت الثورة الرومنطيقية في اواخر القرن الثامن عشر ، ملء زخمها او السمت في مدارها ، طلع علينا الفيلسوف الالماني شلنغ (٧) بهذا الراي الجديد الجريء

وهو ان الخلق الفني والخلق الطبيعي واحدهما . « صح ، هو كذلك » ، يؤكد كولريدج (٨) في تعليقه على شلنغ ، ولكنه « خلق لا يقصد منه الطلوع بافكار خامدة ، ممثلة بهذه القواعد الفنية الميتة التي لا اثر فيها للحياة او للحركة، بل لاطلاع افكار حية ، خلاقة مبدعة ، تحمل معها الواضح والشاهد القاطع على ان المخلوق المبتدع هو قطعة من صلب الطبيعة ، او قل الطبيعة بعينها » . الى مثل هذا المدى البعيد والغور السحيق ، بلغت دعوة الرومنطيقية والرومنطيقيين .

بعد هذا ، يمكن لنا ان ندرك على ضوء هذه الانوار ، ان الحساسية في مدلولها الرومنطيقي هي اكثر من هذا الشعور الفج الذي لم يتمكن ناقد ادبي مثل ارفنغ بابيت ، ان يرى فيها اي في الرومنطقية اكثر من ذلك . وقد راح بعضهم يدعوها « العندية » او الذاتية ، فلا تخرج التسمية الجديدة عن محاولة استبدال كلمة بكلمة اخرى دون اضافة اي معنى جديد او فكرة جديدة على المعنى المراد . واود هنا ان اقف مليا عند كلمة « عفوية » ، اذ ان هذه الكلمة تحمل في مدلولها ما في الرومنطيقية من حيوية وحركة ونشاط ، هذه « العفوية » التي تناقض وتنافي على خط مستقيم ، الافكار الجامدة الباردة التي تمثلها « قواعد تكنية ، لا قوام لها ولا حراك ».

وفي هذه المناسبة بالذات اود ان الاحظ هنا واشدد قليلا على ما للورانس ستيرن من اهمية وشأن . لم يكن ستيرن ، ان صح التعبير ، كاتبا تميز بالاصالة . فحياته وفنه استمرار لمدرسة لوسيان (٨) ورابليه (٩) وسرفنيتس (١٠). اما افكاره والاراء التي جاء بها ، فقد اخذها عن لوك (١١) ومونتاي (١٢) وبورتن (١٣) فكان ينتحل اراء غيره ، وينتهبها شمالا ويمينا وينتسبها بصلف وقحة نفرا منه معظم اصحابه ومعارفه . الا ان ميزته الخاصة وطابعه الادبي المميز هو « العفوية » . ففي هذا تقوم سجيته الكبرى واصالته . فقد اصارته ظروف خاصة تعرض لها اتفاقا وعرضا ، كاتبا ، استفزته الكتابة فكتب ونشر قصة خناقة محلية ، بين رجال الدين شحنها بقوارص الكلام ولواذع اللسان ، واستمر في الكتابة مدفوعا بفطرته ، بعد ان تحرر من « قواعد التكنية الجافة ». وكان ان طلع علينا في اخر المطاف ، بنهج خاص هو نهج الكتاب الرومنطيقيين القائم على الهمس والوشوشة ، والمسارة او مناجاة الذات . انطلقت الطريقة الجديدة مع ستيرن ، وتوقفت الى حين ، عند اخر من تتلمذ على جيمس جويس (١٤) ووليم فلكنير (١٥).

وهذه المناغاة الذاتية لم تات دائما وفاقا للنهج « الشنداوي » (نسبة الى شندي) بطل الرواية التي وضعها ستيرن بعنوان : آراء وحياة شندي ، بل مفككة الاوصال ، متناثرة كحبات الرمان . فقد تأتي المسارة عن النفس ، بثا ذاتيا تارة واضحة جلية ، او غامضة مبهمة ، وحينا عاطفية ، واونة تحمل سمات العقلنة والترصن ، وفقا لطريقة ستيرن البيانية ، او طبقا لنهج جان بول (١٦)، او تشارلز ديكنز (١٧) او هنري جيمس (١٨) او غيرهم من كبار المدرسة الرومنطيقية ، امثال اميلي برونتي (١٩) ، وشاتوبريان (٢٠) وليون تولستوي (٢١) ودستويفسكي (٢٢) وبروست (٢٣) وكفكا (٢٤) . ومكابر يعترض قائلا : ان معظم هؤلاء الكتاب استعملوا النثر في كتاباتهم . اما الشعر الرومنطيقي ، هذا الشعر الذي فاض به لسان ودزورث (٢٥) وكولريدج وشلي (٢٦) وبروننغ (٢٧) وسوينبرج (٢٨) ، وييتس (٢٩) وريلكه (٣٠) واليوت (٣١) ، فهو من بعض الوجوه ، شعر المناغاة الذاتية وهس النفس الداخلي ، كما سابين ذلك بعد قليل .

سبق لي فقلت ان الثورة الرومنطيقية انطلقت مع روسو وديدرو وستيرن . وهذا التاكيد لا غبار عليه اذا ما اقصرته على حدود الادب . الا ان الثورة الادبية سبقتها وهيأتها ثورة فكرية او فلسفية ابتدات بديكارت (٣٢) عندما اطلق مبداه الفلسفي المشهور : « انا افكر ، اذن انا موجود » . وهذه الصرخة الفلسفية المشهورة التي دوت في الاذان قبل طلوع ستيرن بمائة سنة ، كان ستيرن اول من طبقها على دنيا الادب ، فعارضها قائلا : « انا افكر اذن ان اكتب ». ومما لا شك فيه على الاطلاق اننا عرفنا من قبل ، اثارا فكرية ادبية ، هي تعبير او ترجمة لهمس النفس وعزيف الذات . فهذه اعترافات القديس اوغسطينس وقصائد بترارك (٣٣) شاهد ناطق على ذلك غير ان اعترافات اوغسطينس ورسائل بترارك هذه ، جاءت على نهج الادب الكلاسيكي وقواعد علم البيان الجامدة . فقد كان اوغسطينس احد الذين ارسوا على علم واصول ، قواعد البيان الكلاسيكي وضرب فيه بسهم وافر ، اذ كان ، ردحا من الزمن ، استاذا للخطابة والبيان في مدرسة قرطاجة ثم في روما وميلانو . صحيح ان « اعترافاته » تعج بالمثير من دقائق حياته ودواخلها الشجية . الا ان اثر الصنعة باد على الكتاب في شتى اجزائه . يعتكف الى نفسه فيطيل فيها النظر ويتملى من الرؤية في ما تكشف له من عورات وشوائب وفي ما استقرت عليه فيكتب ما يكتب ، ويسجل ما سجل ، ليس في سبيل مناجاة النفس ومناغاتها ، من حيث بث وهس ، بل في سبيل الله والطمع برحمته السابغة لقبه احدهم (رينان) (٣٤) شاعرنا بترارك ، بـ «مؤسس روح العصر في الادب» ولا يخفى عليك ان بترارك من الشعراء المحببين لدى روسو . وقد عرف بترارك بشيء اكثر من اجادته القريض وارساله الشعر المستطاب . فهو اول رجل صعد عاليا في الجبال ليستمتع بانبساط الافق في ماتى العين. وعندما بلغ من جبل فنتو الذروة ، خطرت له احدى خاطرات اوغسطينس عندما يقول : « يذهب الناس بعيدا للاستمتاع بمنظر الجبال الشاهقة او ليجيلوا النظر في اغوار البحار ، وانسياب الانهار وانبساط رقعة الاوقيانوس المتهالكة في الانساط ، ولرؤية النجوم في دورانها وزيغانها ، دون ان يلووا على انفسهم » . ويأخذ اوغسطينس في الحديث عن عجائب الذاكرة وغرائب الخيال الشرود ، ويجول ويصول في هذه الملكة التي ميز الله بها الانسان دون سواه ، الا وهي التفكير والروية . وهي عملية معقدة ، متشعبة ، تقوم بجمع ما تناثر وتباعد ، او غفا من الذكريات . والثابت لدينا يقينا ، ان ديكارت عندما جاء بقاعدته الفلسفية المأثورة ، فهم التفكير على هذا الوجه الذي يصفه لنا اوغسطينس .

فاذا كان بمكنة المرء ومقدوره ان يؤكد اليوم ان كتابات اوغسطينس وبترارك تتنزى باصول الرومنطيقية وتعج بروح المذهب قبل الحرف ، فلم تكن الرومنطيقية قط مبدا او مذهبا او مدرسة ادبية لها مريدوها واتباعها وانصارها ، الى ان جاء ستيرن واضطلع بالطريقة ، وكشف

عن كنهها ، وتقصى مقوماتها ومكنوناتها ، وجلا اسرارها ، فجاء روسو يجرب هذا كله ويختبره على احسن ما يكون الخبر والتجربة . يستهل روسو « اعترافاته » باوجز واوقع كلام نضج به شق القلم في الادب : « انا وحدي » وحدي بالذات دون سواي . هذه « الذات » منعكس ذاتك انت . اما اغسطينس ، فيبدأ « اعترافاته » بشيء اخر يختلف تماما . فعيناه شاخصتان نحو ذي الجلالة وكله غيرة ورغبة وتحرق ، في مدحه له واطرائه اياه والابتهال اليه . وبشجيه وبمضه ما يتحسس بهمن وزر ينوء بحمله، ويرغب في اطراحه بعيدا ، قبل ان ياخذ بالضراعة الى الله والتوسل اليه بقلب كسير خاشع نقي . وروسو هو ايضا يبتدىء بذكرذي الجلالة من الصفحة الاولى من «اعترافاته» انما يذكره ليزجي اليه ــ لله ــ اعترافات يامل ان يجدها في يوم الحساب ، اقله : صادقة مخلصة ، بحيث لا يمكن لاي كان ان ياتي فرية او ياتي ادا ، اذا ما كشف عن عورات نفسه ومساوئها، على هذا الشكل من الحقيقة الكاملة والاخلاص

وقد كان لروسو اتباع ومريدون وتلامذة كثيرون جالوا في الحلبة بعده لم يستطع واحد منهم ان يعلوه او يبزه اخلاصا وصدقا الى ان طلع علينا ، في الازمنة المتأخرة كاتب فرنسي هو المدعو جان جينه قذف في اعترافاته ، بما هو اقذع وافظع واوجع . والذي نحن عليه ، هو ان المهم في الاعترافات الكيف او النحو ، وليس الموضوع نفسه . والواقع هو اننا في اي اثر من اثار المدرسة الرومنطيقية ، نرى انفسنا وجها لوجه امام قلب عار ، مكشوف ، وان شئت ذكر الامور بشيء من التجربة ، وجها لوجه مع الذات المجردة ، المعراة ، ربي كما خلقتني . وقد دعا الكاتب الدانيماركي المشهور كيركغارد ، هذه النقطة بالذات هي : « نقطة ارخميدس » (٣٥) ، فقد كتب كيركغارد ما يلي : « ان السبب الذي لاجله لا استطيع بالفعل ، ان اذكر جازما انني اهوى الطبيعة ، هو عجزي عن ادراك ما الذي يسبب متعتي ولذتي فيها . فانا قادر من ناحية اخرى ، ان اتبين وافهم تماما ، المقومات التي ينهض عليها عمل فني ما ، اذ بوسعي تماما ، ان ادرك واتفهم ، اذا ما صح التعبير ، وان احد بالتالي نقطة ارخميدس (الدارك) . وعندما اتوصل للكشف عن هذه النقطة ، يصبح كل شيء لدي واضحا جليا . فبامكاني ، ان اتبين ، ما هي الفكرة الاساسية ، الفكرة الام ، وكيف ان التفاصيل الاخرى تلقي عليها اضواء جديدة كاشفة . استطيع اذ ذاك ، ان اتبين على الوجه الصحيح ، الفردية التي يتحلى بها المؤلف والاصالة التي يتميز بها ، كالبحر الذي تنعكس على اديمه الاشياء ، كما تنعكس المرئيات على صفحة المرآة . فعقل الكاتب جاء على وتيرة عقلي ، وقد يفوق عقله عقلي قدرا وطاقة وكما وليس نوعا وجوهرا . ولكن عقله ككل عقل ، محدود باوصاف ، ومحيز بحدود وسدود ان افعال الله لاعلى بكثير من ان ادركها او افهمها . فانا اضيع واتيه عندما احاول عبثا ، ان اطلع بنفسي على التفاصيل والقسمات المميزة . وهذا هو بالفعل ، وضع الناس وحالهم ، عندما ينظرون الى الطبيعة فهم يرونها مغربة ، مشوقة ، عظيمة ، جذابة وهذه الاوصاف والنعوت انما هي اوصاف تافهة ، لا طعم لها ولا دسم ، لانها صفات بشرية فالناس يبقون معها في الخارج، عند القشرة البرانية ، وهم اعجز من ان يدركوا او يتبينوا ما وراء هذه المظاهر ، من اغوار واعماق . »

وهذه الاعماق النفسانية او الاغوار الداخلية ، هي عينها التي يتكون منها جوهر ادب العصر . واغوار «الذات» هذه ، اعماق الداخل الصميمة ، قد جاء الدليل الاخير على واقعيتها . فالعقل نفسه ، هو في تمام الامر ونهايته ، جزء لا يتجزأ من هذا «الداخل» الصميم ، والذات المحيزة . وهؤلاء النقاد الذين يدعون او بالاحرى يهرفون ، ان الادب الحديث ادب لا اثر فيه للعقلنة او المنطق ، وبالتالي ، يجب اطراحه جانبا وتركه والابتعاد عنه ، يجدون الرد عليهم في هذا الكاتب الرومنطيقي الذي يقول ، بان للقلب ليس فقط اعذاره واسبابه الخاصة وهي اعذار يفوت العقل فهمها وادراكها (كما كان يقول بسكال (٣٦) من قبل) ، بل ايضا ان ليس هنالك عذر حقيقي لا يكون جانب القلب فيه الطرف الاكبر .

هذه هي نظرة الرومنطيقي التي لا حيدة عنها ولا مفر منها ، الى ان تجد ركيزة ارخميدس او نقطته ، فتتبعثر بالموضوعية او الواقعية القائمة في « الذات » فاسمع ما يؤكده سارتر (٣٧) هنا : « فهذه العندية التي نسلم بوجودها حدسا وافتراضا ، معيارا للحقيقة ، ليست بهذه العندية الفردية ، الضيقة ، اذ ان المرء عندما يفكر يكتشف ليس فقط « ذاته » بل يكتشف « ذات » الاخرين ايضا . فعندما اقول : « انا افكر » ابلغ الى نفسي او ذاتي في الاخرين ، فانا واثق من وجود الاخرين كما واثق من نفسي تماما . » (في كتابه : « الوجودية والانسان » ص ٤٥) .

هذه هي النظرية الوجودية ، وهذه هي ايضا النظرية الرومنطيقية بعينها . فالوجودية ، اليوم ، هي النظرة الفلسفية في الرومنطيقية . « فقبل ان توجد الحقيقة ابة حقيقة مهما كانت ، يجب ، كما يقول الفيلسوف الرومنطيقي ، ان يكون هنالك حقيقة ، عامة ، مطلقة . وهناك ، فعلا ، هذه الحقيقة بالذات ، التي تتصف بالبساطة وبسهولة المطلب والماخذ ، وهي بالتالي في متناول من يرغب فيها او يسعى في طلبها . وهي تقوم اصلا ، في تجسس او تلمس الفرد المباشر لذاته » . (المصدر ذاته ص ٤٤٢) ولكن الشاعر الرومنطيقي لا يقول غير هذا القول ، انما يقوله شعرا نظيما يصعب تمييزه في الغالب . « هنالك جو او مجال لم نستطع بعد من السيطرة عليه ولا فتحه » كما يقول د. هـ. لورانس ، « هو الحال المطلق او الوضع القائم المحيز من غوامض هذا الزمن واسراره المحيرة ، التي لا نزال نجهلها جهلنا مجاهل الارض ، هي « اللحظة » الناهزة او « الهنيئة » العابرة . ولعل اغرب سر استطعنا الكشف عنه وشعرنا به هو « الذات » المباشر ، المحيز ، القائم . ان اسرع ما في الزمن هو اللحظة . واسرع ما في الوجود ، واسرع المخلوقات طرا ، هو الذات من لحم ودم ، المحيز جسما وجسدا. فالشعر وحدههو الذي امدنا بالمفتاح »(من كتابه : فنيكس ، صفحة ٢٢٢) .

ان نقاد هذا الزمان ، على شاكلة بابيت وامثاله من اصحاب الراي والحجى ، عجزوا عن ادراك « الذات » الشاعرة واتخاذها حقيقة ، اذ انهم لم يكونوا يوما من اتباع الفلسفة الكرتزيانية ، ولا تملت قلوبهم وعقولهم بمنطقها . لا مراء قط ان ديكارت لقي ولا يزال يلقى خصوما الداء . وهذا الجحود او التنكر للقيم الذاتية ، منذ القرن السابع عشر ، لم يطلع علينا باي شكل من الاشكال الادب الخلاق . فالشاعر ليس بحاجة قط لدليل على صحة مبدأ ديكارت ،



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ٢٥ ليرة كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ — المنزل ٢٥١٣٩

Tél. Direc : 23819 — Dle : 25139

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت — لبنان

ليس لسبب اخر الا لسبب بسيط مقنع هو انه يعرف جيدا ان نشاطه الخلاق انما يقوم على اخذه بهذا المبدا والعمل بموجبه ، كما انه يعرف تماما ان الادب الذي جاء تعبيرا عن خلجات الذات فتح امامه بابا جديدا من الشعر الوجداني او الذاتي الذي طلع علينا به كل من غوتيه (٣٩) وودزورث وغيرهما من شعراء العصر ، امثال هدرلن (٤٠) ، وشلي وبودلير (٤١) وريلكه ، لا بد ان يكون اسمى بكثير من الشعر الموضوعي الذي اتحفنا به هوميروس (٤٢) وفرجيل (٤٣) ودانتي (٤٤) ، وملتن (٤٥) وراسين (٤٦) ، وبوب (٤٧) . ولكنا نراه يدعي ان هذا الشعر نوع جديد في القريض ، وهو مطمئن الى ادعائه هذا الذي يرى انه وسع نطاق الحساسية البشرية . ويكفيه هذا ، عملا ، كما يصر ودزورث، اذ ان في هذا دليل قاطع وحجة لا ترد على الخلق الذي تم في الاداب الرفيعة . وهذا بعينه يجعلنا نؤكد ان الثورة الرومنطيقية هي اكثر من تبدل او تغير في زي او اسلوب. فهي اكتشاف لعالم جدد لا يمكن معه بالتالي ان يكون العالم القديم هو نفسه ، كما لا يمكن ان يعود الى حدوده الاولى . فالادب الرومنطيقي هو رحلة عاطفية في عالم الذات الجديد . وقد يكون من الممكن ايضا ان الاكتشاف الجغرافي للعالم الجديد هو الملهم الاول والدافع الاكبر ، والحافز الابرز الذي حمل الشعراء على الرحلة في سبيل كشف جديد .

ولا يزال في عالم « الذات » الجديد بقاع واصقاع موصدة الابواب مسحورة الجدران يجب ان نكتب عليها : « اراض مجهولة » بالرغم من الاستكشافات الرائعة التي تمت على يد كتاب روائيين مبرزين ، امثال : بلزاك (٤٨) ، وستاندال (٤٩) ، ودستويفسكي وبروست وتولستوي وهنري جيمس وكفكا وجويس .

والذي اود ان اؤكده هنا هو ان هذا العالم الجديد (عالم الذات) لم يكن ليتم كشفه لو لم تتوفر للانسان وسائل الكشف اللازمة ، اي هذه المباني الادبية الجديدة ، كالقصة ، والاقصوصة وهذه التقنية الجديدة كالشعر الحر المرسل الطلق ومناغاة النفس الداخلية . ونحن الان بانتظار المزيد من هذا كله ، والمضي قدما في الحقل ، وذلك بفضل المستجد من الاختراعات والاكتشافات . ولعل ما هو اشد حاجة للتاكيد من هذا كله ، هو الحاجة المستمرة للمزيد من روح الحرية وهيمنتها على الارض . كثيرون من الماهدين في هذه الريادة نالوا الامرين من غلواء الطغاة واستبداد المستبدين، وذلك لما عرف عن بعض هؤلاء الرواد كدستويفسكي مثلا ، من انعطاف بشري وحدب على الانسان جرهم بالتالي ، للتدخل بالسياسة ، اذ ليس من يجهل ما يقوم بين الكاتب الفنان والسياسي من تجاوب عندما يكون الامر يتعلق بالحرية نفسها . ولعل ابعد من ذلك حجة واقوى ، وجوب صيانة حرية الفرد على يد مؤسسات تتمتع هي الاخرى بحرية واسعة . ان مجرد توسيع نطاق الحساسية الاساسية انما يعني انه لا بد للكاتب الفنان المبدع من ان يستبيح باحة حساسية ، اقدم واضيق . لا بد لكل فنان مبدع ، خلاق من ان يصادف في سيره صعدا وان يركب مثل هذا المركب الخشن ، من وضع اخرق عنيد . فقد راينا في عهدنا هذه المصاعب التي اعترضت كتابا لامعين امثال : لورانس وجويس ، في محاولتهم تدعيم حقهم في ان يجعلوا الناس يقبلون على

قراءتهم ومطالعتهم ، كما يجعلونهم يتداولون مؤلفاتهم .
فالناس اليوم ، يعترفون في شبه اجماع بما لهذا الفريق من الناس من عظمة وفخار وشهرة . الا انهم قاسوا ، وهم بعد في قيد الحياة ، ليس فقط الاعراض عنهم والتنكب عن قراءة مؤلفاتهم ، بل ايضا ما هو اشد اثرا من هذا واوقع الاضطهاد من قبل سلطات جاهلة ومسؤولين جهلة .

ففي الادب الحديث عدد من الاختبارات الفاشلة او بالاحرى الخرقاء بعد أن تاه اصحابها وضلوا في فيافي الفكر. فها هو احدهم نيتشه (٥٠) يجن ويفقد رشده ، كما ان الصمت العميق يلف فجأة احد هؤلاء الرواد فيسكت ويصمت ، كما حدث لرامبو (٥١) مثلا. الا ان الاعمال التي قام بها هؤلاء الرواد لا تخلو من عظمة في بعض نواحيها . فليس بالامكان ان نرى ، في اي عهد من العهود الادبية التي عرفها الانسان من قبل ، ولا في اي طور من اطوار تجلي الفكر الانساني ، ما هو اخصب انتاجا ، وارفل عطاء من العهد الممثل في المدرسة الرومنطيقية .

قد يتبدى للغير انني اشدد اكثر من اللازم على كلمة « انتاج » اذ يجب الا يغرب عن البال قط ان الفكرة الغلابة الموجهة ، التي عملت المدرسة الرومنطيقية على جلوها وصقلها وابرازها ، هي في ان يحيا المرء ملء الحياة وان يكرع كأسه المترعة . « من الغريب حقا » ، كما يؤكد لورانس ، ان الناس ، كل الناس ، لا يستطيعون ان يدركوا او ان يفهموا ، بان الحياة ، هي الواقع الاكبر او الحقيقة الكبرى ، وبان العيش الحقيقي الواقعي ، هو الذي يبعث فينا ملء النشاط والزخم العارم في الحياة : هذا الخبز السماوي الذي يعمل على تقويته وتغذيته الخبز الارضي الذي نتناوله . عجز الناس ان يدركوا في الماضي ولا يزالون عاجزين اليوم عن ادراك هذه الحقيقة . فهم لا يستطيعون ان يميزوا ولا ان يفرقوا بين الخبز والمتاع او الملكية ، والفلوس ، والحياة العارمة . فهم يظنون واهمين ان المقتنيات والدراهم تؤلف ، والحياة الناشطة ، شيئا واحدا. فلم يكتب الا لقلة مختارة من افذاذ الابطال ان يتبينوا الفرق القائم بين هذه الاشياء ، على وجهه الصحيح » (من كتابه : « فنيكس » ، صفحة ٢٨٥ ، ٢٦٨) .

ان بطولة هذا العهد معقودة لهؤلاء الشعراء ، وكتاب القصة والمؤلفين الروائيين من اصحاب القرائح المبدعة والعقول الخلاقة ، أيا كانوا وانيما طلعوا ، هؤلاء الذين اعتكفوا الى انفسهم بحثا عن الخبز السماوي ، هذا الخبز الذي اهتدوا اليه وتبينوه في ما فاضت به نفوسهم من حساسية وما جاشت به ارواحهم من انعطاف وشعور : ان انشودة النصر واغنية الفوز التي انطلقت نبراتها مدوية في قرارة النفس واغوار الذات ، انما كتبت في ارض امريكا الجديدة من نحو مائة سنة تقريبا . ففي اخر « نشيد ذاتي » الذي انطلقت به قيثارة والت هويتمان (٥٢) ، نرى الشاعر ينطق باسم شعراء العصر كلهم : « هذا الشيء ذاته ، هو ذاته ، في نفسي . لا ادري على وجه التحقيق ما هو بالذات ، ولكن اعرف جيدا انه في نفسي مقيم ، وفيها مستقره »

« الا ترون ، اخوتي واخواتي ؟

« انه ليس الخواء ، ليس الموت . هو صورة ، اتحاد ، تصميم . هو الحياة .

« هو الابدية ـ هو السعادة » .

الشـــــروح :

(١) ـ كاتب هذا البحث السير هربرت ريدهو كاتب انكليزي شاعر ، ناقد في طليعة كتاب العصر ونقاده . ولد في يوركشير عام ١٨٩٣ قام بالخدمة العسكرية في الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ـ١٩١٨ وهو اليوم القيم على متحف الفن الحديث في لندن . من اثاره الادبية : « محاربون عرايا » ١٩١٩ واناشيد ريفية ١٩١٩ وتحولات العنقاء او الفنيكس ١٩٢٣ واطوار الشعر الانكليزي ١٩٢٨ والاحساس بالمجد ١٩٢٩ ومعنى الثراء ومدلوله ١٩٣١ والعين البريئة ١٩٣٣ والفن والمجتمع ١٩٣٦ والشعر والفوضى ـ مجموعة ابحاث ١٩٣٨ ، وديوان شعر ١٩١٤ـ١٩٣٤ .

(٢) ـ ارفنغ بابيت ١٨٦٥ـ١٩٣٣ . ناقد اميركي مشهور ، ومرب لامع . ولد في دايتون من اعمال ولاية اوهايو . درس في جامعة هارفرد ونال منها ، عام ١٨٨٩ البكالوريوس ، ثم عين فيها مدرسا وتولى تدريس الادب الفرنسي . اسس بالاشتراك مع بول المرمور الحركة الثقافية الانسانية الحديثة . من مؤلفاته : الادب في مناهج التعليم الجامعي في اميركا ـ روسو والمدرسة الرومنطيقية ١٩١٩ لاوكون الجديد ١٩١٠. مشاهير النقاد الفرنسيين ١٩١٢ الديمقراطية والقيادة ١٩٢٤ .

(٣) راجع ما جاء عنه في المقالة المنشورة في الاديب عدد مايو ١٩٥٧ ص ٣٧ (حاشية ١١) .

(٤) دنيس ديدرو ١٧١٣ـ١٧٨٤ ـ اديب فرنسي ، فيلسوف من مشاهير كتاب القرن الثامن عشر ومن الموسوعيين فيه ومن الذين عملوا مع فولتير وروسو ودالمبير وبوفون وطورغو ، وكينيه ، وغيرهم من كتاب ذلك العصر ، على تهيئة العصر الجديد والثورة الفرنسية الكبرى. ولد في مدينة لانغر ، ودرس في معهد الاباء اليسوعيين فيها. ولعل اول كتاب ذي شان وضعه هو كتابه : « رسالة حول العميان » ١٧٤٩ الذي زج في السجن لنشره لما فيه من افكار جريئة . وعمل مع هذا الفريق عشرين سنة مكرسا جهوده لاخراج الموسوعة الفرنسية الجديدة او « القاموس المنطقي للعلوم والفنون والصنائع » الذي ظهر في ٢٨ مجلدا ثم زيد عليه ذيل جاء في ٦ مجلدات اضيف اليها اخران للفهارس العامة ، ظهرا عام ١٧٨٠ . ـ له في المسرح تمثيليات منها : الابن الطبيعي ١٧٥٧ ، وابو الاسرة ١٧٥٨ ، كما وضع في النقد الفني كتابه المشهور « الصالونات » ١٧٥٩ ـ ١٧٧٩ برز فيه ناقدا فنيا لايجارى ، وضع فيه المبادىء العامة التي يجب ان ينهض عليها النقد العلمي المنهجي لكل اثر فني .

(٥) لورانس ستيرن ١٧١٣ـ١٧٦٨ ـ مؤلف روائي بريطاني من رجال الكنيسة . ولد في ارلندا ، وسيم اسقفا على يورك ، وتزوج من اليزابت لي التي غاظها منه مجاملاته ومغازلاته المفرطة للنساء . تفرغ للرسم وللموسيقى . من مؤلفاته المشهورة : « سيرة تريسترام شاندي وآراؤه ١٧٦٠ في ٩ مجلدات ، ظهرت تباعا على فترات متقطعة . وله رحلة عاطفية في فرنسا وايطاليا ١٧٦٧ في مجلدين ـ وله كذلك رسائل يوريل الى اليزه ١٧٦٦.

(٦) سورين كيركغارد ١٨١٣ ـ ١٨٥٥ فيلسوف دانماركي مشهور وكاتب لاهوتي اشتهر بموقفه العدائي

من فلسفة هيجل الموضوعية . اقام فلسفته على الاركان الاربعة : الايمان والمعرفة ، والفكر والواقع . من تعاليمه والمبادىء العامة التي قال بها وعلم : ان الدين امر يعني الفرد وحده دون سواه ، وان الالم هو من صميم العلاقة التي تشد الانسان الى الله .

(٧) فرد شلنغ ١٧٧٥ – ١٨٥٤ فيلسوف ومرب الماني تولى التدريس في جامعة يينا ١٧٩٨ وورزبرغ ١٨٠٣ ومونيخ ١٨٢٧ وحاضر في جامعة برلين ١٨٤١ – ١٨٤٦ . من مؤلفاته : « نظرات حول الفلسفة الطبيعية ١٨٠٧ ومذاهب الفلاسفة الطبيعيين١٧٩٩ والفلسفة والدين ١٨٠٤

(٨) صموئيل تيلر كولريدج ١٧٧٢ – ١٨٣٤ ، شاعر انكليزي من كبار الكتاب والنقاد في انكلترا ، في الربع الاخير من القرن الثامن عشر والثلث الاول من القرن التاسع عشر . هو ابو النقد العالي في انكلترا وباعث الدراسات العلمية الحديثة حول شكسبير . ادخل الى انكلترا بعد زيارة طويلة قام بها الى المانيا ، الفلسفة المثالية الالمانية .هو ابن كولريدج الاصغر ، درس في كمبريدج . عرفبتطرفه في السياسة والدين . اتصل بوذزورث ولازمه واشترك معه بنشر « قصائد غنائية » . قام بجولة في انحاء المانيا وترجم كتاب شيلر عن « والنشتاين » . كان من المدمنين على تعاطي الافيون ـ له مجموعة في السير والتراجم الادبية ـ وله « اعترافات روح مستطلعة » .

(٨) لوسيان كاتبيوناني، هجاء، لاذع من القرن الثاني للميلاد ، ولد في مدينة سلموزات في سوريا الشمالية . وهو يعتبر اشهر كتاب اليونان في عصر البعث الادبي في عهد الرومان . آثاره الادبية ومؤلفاته كثيرة ، منها : محاورات الالهة ، محاورات الموت ، مادبة الفلاسفة ، ديمونكس ، مزايدة الفلاسفة .

(٩) فرنسوا رابليه ١٤٩٤ – ١٥٥٣ كاتب فرنسي وشاعر ساخر متهكم . ترهب ثم درس الطب في جامعة مونبليه ومارس الطبابة في مدينة ليون وتجول طويلا في فرنسا وايطاليا ، ثم عاد الى فرنسا. عهد اليه بخدمة احدى الرعويات الدينية في مدينة ميدون . له مباحث طبية عديدة . اشهر مؤلفاته على الاطلاق رواياته : « بنتغرويل ١٥٣٣ وغرغنتويا ١٥٣٥ امتاز بخيال شرود واسع وبسلاطة اللسان واسلوبه اللاذع .

(١٠) ميشالسرفنتيس ١٥٤٧–١٦١٦ كاتب اسباني من اشهر الكتاب والادباء الاسبانيين . ولد في الكالا.درس في مدرسة الاباء اليسوعيين في اشبيلية ثم في جامعة سلمنكا ، وفي روما . دخل في خدمة الكردينال اكوافيفا ، واشترك بمعركة ليبانت ١٥٧١ حيث تمكن الاسطول الاسباني من تحطيم الاسطول التركي والقضاء علىسيطرته في البحر الابيض المتوسط ، كما اشترك باعمال حربية اخرى في كورفو وتونس ، ونافارين . وقع في اسر القرصان في الجزائر ، وهو في طريق عودته الى اسبانيا ، وبقي في الاسر حتى تم فداؤه . اشهر مؤلفاته علىالاطلاق روايته « دون خيشوته » ١٦٠٥ – ١٦١٥ التي ترجمت مؤخرا الى العربية .

(١١) جون لوك ١٦٣٢ – ١٧٠٤ فيلسوف انكليزي هو ابو الفلسفة التجريبية ، علم اليونانية الكلاسيكية والخطابة والفلسفة . هرب من نظريات ارسطو الفلسفية والفلاسفة المدرسيين ومال الى العلوم التجريبية ، وفلسفة ديكارت وبيكون . وضع ، في سن مبكرة ، بحثا عنوانه حول التساهل الديني ١٦٦٧ ، ثم انصرف مدة ١٥ سنة يدرس عملية الفهم والادراك في الانسان ، فخرج من هذا الجهد بكتابه المشهور : « محاولة حول عملية الادراك في الانسان » ثم مال الى الطب فدرسه في فرنسا ١٦٧٥ . اتهم بالاشتراك في المؤامرة التي حبك خيوطها خدينه ونصيره شنتسبري ، فهرب الى هولندا ١٦٨٤ ، ثم عاد الى انكلترا خلال الثورة . من آثاره الادبية « افكار حول التربية او منطق المسيحية » .

(١٢) مونتاي ١٥٣٣ – ١٥٩٢ كاتب فرنسي من مشاهير ادباء القرن السادس عشر في فرنسا عمل مده في القضاء ، في عهد الملك شارل التاسع ، ثم انسحب من الحياة العامه وعاش في قصر له منيف . عين رئيسا لبلدية بوردو . من كتبه المشهورة : « مباحث » وهو كتاب يتنزى بالسخرية وينبض بالتشكك . تبدو عليه اثار بلوتارك .

(١٣) روبرت بورتن ١٥٧٧ – ١٦٤٠ قس بريطاني وكاتب مشهور من كتاب القرن السابع عشر . له باللاتينية مسرحية عنوانها : المتفلسف ١٦٠٦ ، وتشريح السويداء او الميلنخوليا ، وهو بحث طبي تبسط فيه حول الميلنحوليا والوقوع فيها ، والوسائل المنجية منها ، والميلنخوليا الدينية ضمنه معلومات شتى ، ولا سيما وصفا رائعا لحياة دلك العصر ، وللافكار التقدمية ، ورسم لنا فيه صورة لاوتوبيا.

(١٤) جيمس جويس ١٨٨٢ – ١٩٤١ اديب كبير ارلندي الاصل والمولد شاعر قد راى النور في مدينهدوبلن وتخرج من كلية الملكة فيها . له ديوان شعر بعنوان « موسيقى الحجرة » ، ومجموعة قصص بعنوان : سكان دوبلن ، وله قصة طويلة بعنوان « عوليس » كما له تمثيلية عنوانها « المنفى » ورواية طويلة عنوانها : ايها الارلنديون استيقظوا (راجع فيه مقالا لمحمد خليل فهمي ترجمه عن « الاكسبرس » نشرته مجلة « المجلة » المصرية نوفمبر ١٩٥٧ ص ٩٩) .

(١٥) وليم فلكنر قاص اميركي هو شقيق جونفلكنر ولد في مدينة نيوآلبني من اعمال ولاية مسيسبي ، وتخرج من جامعة مسيسبي وخدم في قوى الطيران الانكليزي عام ١٩١٨ ، من رواياته المشهورة : الحيوانات المرمرية ١٩٢٤ والبعوض ١٩٢٧ بينما كنت احتضر ١٩٣٠ والمعبد ١٩٣١ وابشالوم ١٩٣٦ والنور في اغسطس ١٩٣٢ ولا يقهر ١٩٣٨ والنمر البري١٩٣٩ والخوذة ١٩٤٠ وابتعد يا موسى ١٩٤٢.

(١٦) جان بول اسم مستعار لفريدريك ريختر ١٧٦٣ – ١٨٢٥ ، كاتب هزلي الماني من كتاب الفكاهة والمباسطة . ولد في بلفاريا ودرس اللاهوت في جامعة ليبزيغ . حاول ان يشق طريقه في الحياة كاتبا ناشرا فاستدان في هذا السبيل الى ان رزح تحت وطاة الدين ، فهرب وتوارى عن الانظار متخفيا تجنبا لملاحقة الدائنين ومضايقاتهم . التقى بشارلوت كالب واقام معها في ويمار ثم استقر به المطاف في بايروت . وضع عدة مؤلفات وروايات ، منها : التيتان او العمالقة في ٦ مجلدات، وله حول التربية والتعليم كتاب يقع في ٦ مجلدات .

(١٧) شارلز دكنز ١٨١٢ – ١٨٧٠ روائي انكليزي

من اعلام القصاصين في الادب الحديث في انكلترا ، ولد في بور تسموث . خبر الدهر فذاق خله وخمره وعرف المصاعب والفقر ، وعانى الخسف والذل فتأثر بذلك كله عمله الادبي . كتب باسم مستعار (بوز) . سافر الى امريكا وطوف في ارجائها الفسيحة مناديا بتحرير العبيد والف فيها جوقة تمثيلية . من مؤلفاته المعروفة: اولفرتويست ١٨٣٧ ونيقولا لبي ــ ومخزن العتقجي ١٨٤٠ والصرصور فوق القلب ودافيد كوبرفيلد ١٨٤٩ ، وبلايك هاوس ١٨٥٢ اوقات الشدة ــ قصة المدينتين ١٨٥٩ صديقنا المشترك وغير ذلك

(١٨) هنري جيمس ١٨١١ ــ ١٨٨٢ روائي اميركي ولد في نيويورك . انتسب مدة لكلية الحقوق في جامعة هارفرد ، وتفرغ للتاليف وحرر في عدة جرائد ، ثم اعتنق الجنسية البريطانية . من رواياته المشهورة رودريك هدسون ١٨٧٦ والامريكي ١٨٧٧ الاوروبيون ١٨٧٨ حادث دولي ١٨٧٩ ، صورة سيدة ١٨٨١ ، ساحة واشنطون العصر المتاخر واجنحة الحمامة والامباسادور ــ المشهد الامريكي ، والبرج العاجي والحياة الخاصة ١٨٩٣ وبخت افضل والحبة الفضلى وترجم لنفسه برواية عنوانها : ولد صغير وآخرون .

(١٩) اميلي برونتي ١٨١٨ ــ ١٨٤٨ هي احدى الشقيقات الثلاث شارلوت واميلي وآن برونتي . مؤلفة رواية اشهر رواياتها :« وثرين هاتيس » وقصة المحتال او الحب الشرود .

(٢٠) شاتوبريان ١٧٦٨ ــ ١٨٤٨ كاتب فرنسي كبير، مؤرخ ومن كبار رجال الدولة في فرنسا ، في النصف الاول من القرن التاسع عشر . ولد في سان مالو ، على بحر المانش غادر فرنسا خلال الثورة فيها وجاء انكلترا ليعود منها الى بلاده عام ١٨٠٠ ، فعهد اليه نابليون بونابرت بمهمات دبلوماسية وسياسية مهمة . من آثار قلمه الخصب وانتاجه الثري الذي جعله من الماهدين للمدرسة الرومنطيقية في فرنسا : محاولة تاريخية سياسية ادبية في الثورات القديمة والحديثة ، اتلا ١٨٠١ نبوغ المسيحية ١٨٠٢، رينه ١٨٠٢ ، الشهداء ١٨٠٩ ، رحلة من باريس الى القدس ١٨١١ ، اخر بني سراج ١٨٢٦ ، مذكرات من وراء القبر ١٨٤٩ .

(٢١) ليو تولستوي ١٨٢٨ ــ ١٩١٠ اديب روسي قاص ، وروائي مشهور ، وكاتب اجتماعي ، وفيلسوف من اشهر كتاب العصر ، ليس في روسيا فحسب ، بل ايضا في العالم ــ من مؤلفاته المشهورة : القوزاق والطفولة والميتات الثلاث وآنا كارانينا واعترافات وسلطان الظلام وما هو الفن والقيامة .

(٢٢) فيدور دستويفسكي ١٨٢١ــ١٨٨١ روائي روسي من اشهر واكبر المؤلفين الروائيين في القرن التاسع عشر . ولد في موسكو وخدم مدة في الجيش الامبراطوري ، ثم استقال وانقطع للكتابة والتاليف . اتهم بالتآمر على الحكومة فاوقف وزج به في السجن واحيل للمحاكمة فحكمت عليه بالقتل الا آن الحكم استبدل بالسجن المؤبد قبل موعد التنفيذ بقليل. من مؤلفاته المشهورة: مذكرات مؤلف والشعب الفقير ١٨٤٦ ومنزل الموت ١٨٦٠ ورسالة من العالم السفلي ١٨٦٤ والجريمة والقصاص ١٨٦٦ والمعتوه ١٨٦٨ والشيطان او المسكون ١٨٧١ والاخوة كارامازوف .

(٢٣) مارسل بروست ١٨٧١ ــ ١٩٢٢ روائي فرنسي من اصحاب مدرسة التحليل النفسي ولد في باريس ، وضع سلسلة من الروايات الطويلة بعنوان : « بحثا عن الوقت الضائع » نال جائزة جونكور . من رواياته الاخرى: « سدوم وعمورة » ١٩٢١ ، الاسيرة ١٩٢٤ ، البرتين الضائعة ١٩٢٦ ، الوقت العائد ١٩٢٨ .

(٢٤) فرانز كفكا ١٨٨٣ ــ ١٩٢٤ شاعر نمساوي الجنسية ، يهودي الجنس والدين ، تشيكي المولد ، وكاتب روائي ، وضع عددا من الروايات السيكولوجية الغرض والتحليل . وقد ظهرت معظم رواياته اثر وفاته ، منها المحاكمة ١٩٢٥ ، القلعة ١٩٢٦ ، اميركا ١٩٢٧ .

(٢٥) ودزورث ١٧٧٠ ــ ١٨٥٠ شاعر انكليزي اترعت نفسه بروح الثورة الفرنسية . قام برحلة قصيرة الى المانيا ووضع بالاشتراك مع كولريدج : « اناشيد غنائية » فيه ثورة عارمة على المذاهب الشعرية المالوفة . له : قائد العربة ١٨٠٥ ، والرحلات ١٨١٤

(٢٦) برسي شلي ١٧٩٢ ــ ١٨٢٢ شاعر انكليزي طائر الصيت مات في ريعان الشباب بعد ان اهتزت اوتار قيثارته باطيب الشعر واشجاه . طردته جامعة اكسفورد لرسالة وضعها بعنوان « ضرورة الالحاد » . اتصل ببيرون ولازمه مدة ، ثم جاء ايطاليا حيث قضى معظم سني حياته متنقلا بين الرياض والخمائل والغياض يعب من ظلالها وانوارها . من دواوينه الشعرية المديدة : الملكة مباب ١٨١٣ روح العزلة ونشيد الجمال العقلي والجبل الابيض ، وله : ثورة الاسلام وروزالند وهلن ومن مسرحياته المشهورة: بروموتيه محلولا والطاغية اوديبوس . وضع عام ١٨٢٠ ديوانه : « القبرة » كما وضع كتابه المشهور : دفاع عن الشعر . له دراما غنائية بعنوان : « هيلاس » .

(٢٧) روبرت براونغ ١٨١٢ ــ ١٨٨٩ شاعر انكليزي من كبار شعراء الانكليز في القرن التاسع عشر ، وقع تحت تاثير شلي في بواكير مؤلفاته . من آثار قيثارته الشعرية : بولين ١٨٣٣ . وله مجموعات شعرية تفيض بالحب وتلتمع بالغرام العنيف ، منها براسلوس . نزل عند مطلب مكريلري فوضع عددا من المسرحيات منها : سترافورد ورجوع الدرزي ومولد كولمبوس . وله اناشيد غنائية منها مجموعته الموسومة : اجراس ورمان . تزوج من اليزبيت باريت وعاش معها في ايطاليا في شبه عزلة عن الناس ، فنشر : ليلة الميلاد وعيد الفصح، والرجال والنساء ثم عاد الى انكلترا اثر وفاة زوجته ١٨٦١ . من رواياته الفلسفية ، ففني في المعرض ١٨٧٢ دفن في وستمنستر في لندن .

(٢٨) تشارلز سوينبرن ١٨٣٧ ــ ١٩٠٩ شاعر انكليزي من مشاهير الشعراء الفنائيين له مسرحية في ٣ اجزاء تدور حول ماري ملكة اسكتلندا ، بعنوان : سستلارد ١٨٦٥ وبوتويل ١٨٧٤ وماري ستيوارت ١٨٨١ . له اغان واناشيد رعاوية فرضت عليها الرقابة لما تنتزى به من روح وثنية كفرية . رافق مزيني وصاحبه . نشر بعد ذلك كتابه : اغنية ايطاليا ١٨٦٧ ، واناشيد ما قبل شروق الشمس ١٨٧١ . وله تريسترام او ليونيس وهي اعظم مؤلفاته كما يرى مشاهير النقاد . من مسرحياته المشهورة:

الشقيقات ١٨٩٢ وروزاموند ، ملكة اللمبارديين ١٨٩٩ ، ودوق غنديا، وله في النقد الادبي باع طويل امتازت بالاصالة والطرافة .

(٢٩) ييتس ١٨٦٥ ـ ١٩٣٩ شاعر ارلندي الاصل ومؤلف مسرحي مشهور ، ولد على مقربة من مدينة دوبلن . من آثاره المبكرة ديوانه : الريح بين القصب ١٨٩٩ اكثر فيه من المحسنات البيانية ، وانواع البديع . وله مباحث في النقد بعنوان : الله والشر ١٩٠٣ ، من مسرحياته المشهورة المياه الظليلة ، وعشية الملك ، وكلها شعرية . اما في النثر، فله الملكة اللاهية والقط والقمر .

(٣٠) ريلكه ٨٧٥ ـ ١٩٢٦ شاعر الماني غنائي . ولد في براغ واقام مدة طويلة من حياته في باريس يعمل سكرتيرا لاوغست رودين ، ثم في ايطاليا وسكندينافيا والنمسا وسويسرا . له دواوين شعرية عديدة وقصص .

(٣١) جورج اليوت ١٨١٩ ـ ١٨٨٠ اسم مستعار لماري آن او ماريان ايفانز كاتبة روائية وصحفية ساهمت بتحرير مجلة وستمنستر . تقربت من سبنسر وكارليل وحاربت مارتينو ، وعاشرت جورج لويس ولازمته . لها قصص وروايات عديدة ، منها مجموعة بعنوان الحياة الرهبانية مجلدان ١٨٥٨ ، وآدم بيد وهي رواية لقيت نجاحا عظيما . قامت برحلة الى فلورنسا نشرت على اثرها روايتها التاريخية رومالا ١٨٦٣ ، وفليكس هولت الراديكالي ١٨٦٦ ، ثم عاودها الحنين للشعر فنشرت : النورية الاسبانية واغاثا وغير ذلك .

(٣٢) ـ رينه ديكارت ١٥٩٦ ـ ١٦٥٠ فيلسوف فرنسي مشهور ومن كبار حملة العلم في فرنسا ، في القرن السابع عشر ، العصر الذهبي للادب الفرنسي . هو ابو الفلسفة الكرتزيانية . ولد في هولندا ، وفيها صرف معظم حياته ١٦٢٩ ـ ١٦٤٩ مجليا في العلوم الرياضية وفي اجواء الفلسفة . عرف بكتابه : « خطاب على المنهج » الذي حاول فيه اقامة اليقين الفلسفي على قواعد التشكك ، ودعا للفلسفة الحديثة والاخذ باسباب التفكير العلمي . والكتاب المذكور ترجم مرارا للعربية ، اخرها على نفقة الاونسكو ، في عداد روائع الفكر الغربي ـ (راجع في ديكارت ، الكتاب الذي وضعه عنه منذ سنتين الدكتور كمال يوسف الحاج)

(٣٣) فرنسيسكو بترارك ١٣٠٤ ـ ١٣٧٤ شاعر ايطالي ولد في بلدة الريزو ودرس في افنيون ، واخذ الشريعة في مونتبليه وبولون ، وتفرغ لدراسة الادب الكلاسيكي . تعرف من الانسة لورا فاوحى له ما فيها من فتنة وجمال ، الشعر فقرضه واجاد فيه . زار روما وغادرها من حيث اتى عائدا الى موكلوز . توج باكليل الغار لابداعه في الشعر اوفده البابا اقليمس السادس في مهمات ديبلوماسية . له بالايطالية : اناشيد غنائية ، وله قصائد حماسية ، واناشيد رعوية ريفية ، اشتهر بكتابه « سير مشاهير الرجال » كما له في الرسائل والنقد مباحث طريفة .

(٣٤) ارنست رينان ١٨٢٣ ـ ١٨٩٢ . مؤرخ فرنسي وعالم لغوي ومستشرق مشهور واحد مؤسسي النقد الفلسفي في فرنسا ، في العصر الحديث ، ومن كبار الذائدين عن عقلنة البحث الحر في امور الدين واللاهوت . من كتبه المشهورة : ابن رشد وفلسفته ١٨٥٢ ، الذي نقله الى العربية فرح انطون ، وعلق عليه محمد عبده ـ مباحث في تاريخ الاديان ١٨٥٧ ، نشأة اللغة او الكلام ١٨٥٨ . ولعل اهم مؤلفاته على الاطلاق كتابه : «تاريخ اصول المسيحية» الذي يتألف من الحلقات التالية : حياة يسوع ١٨٦٣ ، الرسل ١٨٦٦، الاناجيل ، التجدد الثاني في المسيحية ١٨٧٧ ، الكنيسة المسيحية ١٨٧٩ ، مارك اوريل ونهاية العالم القديم ١٨٨٠ ، من مؤلفاته الاخرى المشهورة : تاريخ الشعب الاسرائيلي ١٨٨٨ ـ ١٨٩٤ ودراسات فلسفية ١٨٨٨ ورحلة الى فينيقيية .

(٣٥) ارخميدس ٢٨٧ ؟ ـ ٢١٨ ق.م اشهر والمع العلماء الرياضيين الفيزيائيين في التاريخ القديم مخترع مشهور . ولد بمدينة سيركوزة في صقلية ، ودرس في مدرسة الاسكندرية . عرف بابحاثه في المكانيكا . هو مخترع البرغي ، ومكتشف المبدا العلمي المعروف باسمه في الفيزياء . يحكى انه توصل الى حل معادلة الثقل النوعي وهو يستحم في حوض فخرج من الحمام عاريا يصرخ في المارة : « وجدته ! وجدته ! » . قتل اثناء حصار الرومانيين للمدينة .

(٣٦) بليز بسكال ١٦٢٣ ـ ١٦٦٢ عالم فرنسي وفيلسوف شهير وكاتب المعي من ابرز كتاب فرنسا وادبائها في منتصف القرن السابع عشر . فقد اظهر من التفتح الذهني والنبوغ الباكر في علم الرياضيات والفيزياء ما حير الناس وادهشهم . ولد في مدينة كليرمونت واظهر منذ الصغر استعدادا وقابلية مدهشة لدراسة المخروطيات، وحساب الفاضل والتكامل وتربيع الاقواس وعمل على تطوير حساب التفاضل ووضع مع احد الزملاء (فرماه) النظرية الرياضية للمرجحات، الامر الذي جعل عددا من المعادلات والقوانين في الفيزياء تحمل اسمه لليوم . قام في حقل العلوم الطبيعية بتجارب حول تعادل السوائل وحول الفوارق بين الضغط الجوي في مختلف الارتفاعات. تتلمذ على رهبان الجنسينيين ، وهم من غلاة المسيحية وخصوم اليسوعيين . من اثاره الادبية « الافكار » و « البروفنسيال » او رسائل الى الاب البروفنسيال اليسوعي . هاجم فيها الاعراف التي يسير عليها اليسوعيون ومسالك الفرضيين الملتوية بينهم .

(٣٧) جان بول سارتر فيلسوف فرنسي معاصر مشهور ابو الفلسفة الوجودية التي نقلها الى العربية الدكتور عبد الرحمن بدوي .

(٣٨) دافيد هربرت لورانس ١٨٨٥ ـ ١٩٣٠ كاتب انكليزي من مشاهير الكتاب الروائيين . ولد في نوتنغام في انكلترا . من رواياته المعروفة : الطاووس الابيض ـ البنون واهل الغرام ـ كنغارو ١٩٢٣ ، عشيق ليدي تشاترلي ١٩٢٨ ، وله تمثيليات نثرية وشعرية ، منها : دافيد ـ العصافير ـ الوحوش ـ الزهور . وله كتاب في التحليل النفسي للاواعي .

(٣٩) غوتيه ـ انظر فيه ، المقال المنشور في«الاديب» عدد اكتوبر ١٩٥٧ ص ٢٤ (حاشية رقم ٢) .

(٤٠) هلدرلن ١٧٧٠ ـ ١٨٤٣ شاعر الماني اصيب بمس في عقله ففقد رشده ، فادخل احد مستشفيات الامراض العقلية . من اثاره الفكرية رواية هربيون ، شعرية بشكل رسائل ، في مجلدين . وله الى هذا ، مسرحية لم تنجز وبعض اناشيد شعرية .

(٤١) شارل بودلير ١٨٢١ – ١٨٦٧ شاعر فرنسي من شعراء المدرسة الرومنطيقية البارزين . ولد في باريس ترجم الى الفرنسية بعض روايات ادغار الن بو . اهم كتبه . « ازاهير الشر » مات مختل الشعور لكثرة ما تناول من العقاقير والادويه .

(٤٢) هوميروس اشهر شعراء اليونان القدامى على الاطلاق ، وصاحب الملاحم الشعرية الخالدة في تاريخ الادب عند الهيلينيين قديما . تعزى اليه الالياذه والاوديسه وهما ملحمتان شهيرتان . غنى في الاولى ابطال حرب طراوده ، وغنى في الثانية اسفار عولس وطوافه في طريق عودته الى مملكة ايتاكا ، حيث كان خلف زوجته الجميلة بنيلوب وابنه تليماك . وقد ترجم الاولى الى العربية سليمان البستاني ١٩٠٥ ، كما لخص الثانية الى العربية درينه حشتبة ، وعربتها عن الانكليزية عنبرة سلام الخالدي منذ بضع سنوات .

(٤٣) فرجيل ٧٠ ق.م – ١٩ ب.م اكبر شعراء الرومان واسيرهم اسما وذكرا ومن المع ادبائهم في عصر اغسطس الدي يعتبر العصر الذهبي للاداب اللاتينية . ربطته والشاعر هوراسيوس وشائج وطيدة من الصداقة الصافيه والود الخالص ، ونعم برعاية نصير العلم ووزير اغسطس ماسينا . ومن آثاره الخالدة ملحمة الانايد ، التي يصف فيها طواف الامير اينيه وتجولاته بعد سقوط طراودة . وله كذلك اناشيد ريفية .

(٤٤) دانتي ١٢٦٥ – ١٣٢١ شاعر ايطالي من اكبر واشهر شعراء اوروبا في القرون الوسطى ، ومن اسيرهم اسما وذكرا واثرا . ولد في مدينة فلورنسا وبها نشا . درس في مدينة بولونيا وبادوا ، وباريس وربما في اكسفورد ايضا وحارب في صفوف الجلف ضد الجيبليين وهما اكبر احزاب ايطاليا اذ ذاك . عمل في السياسة وعهد اليه بمهمات سياسية وديبلوماسية . نفي من فلورنسا فاخذ يطوف في انحاء ايطاليا . له « الكوميديا الالهية » ١٣٠٧ التي تعد بحق من اروع الاثار الفكرية في الاداب العالمية وقد ترجم الكوميديا الالهية الى العربية ، الاديب اللبناني ابو راشد ، في ثلاثة اجزاء كما حاول ترجمتها ايضا امين ابو شعر ، في فلسطين ، قبيل الحرب العالمية الثانية ، ونشر الجزء الاول من ترجمته

(٤٥) جون ملتن ١٦٠٨ – ١٦٧٤ احد كبار كتاب الانكليز وشعرائهم في القرن السابع عشر ومن اشهر الشعراء العالميين . درس في جامعة كمبريدج ، وانصرف لدراسة الاداب الكلاسيكية . قام برحلة الى فرنسا وايطاليا ثم عاد منها واقام في لندن . واخذ ينشر فيها بضع رسائل ضد الاساقفة . له رسالة في التربية . كف نظره عام ١٦٥٢ من اثاره الخالدة « الفردوس المفقود » .

(٤٩) جان راسين ١٦٣٩ – ١٦٩٩ شاعر فرنسي ومؤلف مسرحي من كبار شعراء العصر الذهبي في فرنسا في عهد الملك لويس الرابع عشر ، وفي كل عهد . رابطته ولافونتين وبوالو وموليير ، روابط من الود الصافي والصداقة المتينة والاخلاص للفن . مثل في مسرحياته الانسان في طبيعته البشرية كما هي بالواقع ، بينما مثلته مسرحيات كورناي كما يجب ان يكون . ترك لنا عددا كبيرا من الروائع الخالدة في الادب الفرنسي ، منها مثلا : اندروماك ١٦٦٧ ، وبريطانيكوس ١٦٦٩ ، وبرينيس ١٦٧٠ وبيازيد ١٦٧٢ ، ومتريدات ١٦٧٣ ، وافيجيني ١٦٧٤ ، وفيدر ١٦٧٧ ، واستير ١٦٨٩ ، وعطليا ١٦٩١ . ترجم له مطولا ابنه لويس راسين ، كما ان كثيرا من هذه الروائع الفنية نقلت الى العربية باقلام كبار الكتاب كما مصر بعضها جلال عثمان في مصر .

(٤٧) بوب ١٦٨٨ – ١٧٤٤ شاعر انكليزي لمع اسمه وذكره اول ما لمع بما ترك من الاناشيد الراعوية . صحب الشاعر الانكليزي سوينت ولازمه . له رسالتان ، في النقد الادبي حول الانسان ، كما له رسائل ادبية .

(٤٨) بلزاك ١٧٩٩ – ١٨٥٠ روائي فرنسي من ابرز واشهر الكتاب القصصيين ليس في الادب الرومنطيقي في فرنسا في القرن التاسع عشر فحسب بل ايضا في العالم اجمع ، ولد في مدينة تورس ، ودرس الحقوق في باريس وعمل في تطوير الطباعة ، وكتب كثيرا باسماء مستعارة او بالتعاون مع عدد من المؤلفين . ربطته وفكتور هوغو ، ولامارتين والفرد دي فيني روابط متينة من الصداقة والود هو مؤسس المذهب الواقعي في القصة . صور في رواياته وقصصه اكثر طبائع الناس . اطول رواياته على الاطلاق روايته المعنونة: «الكوميديا البشرية» التي جاءت في ٢٤ مجلدا ، فيها الوفير من مشاهد الحياة الخاصة ، والحياة الباريسية في عصره ، والحياة العسكرية ، ودراسات فلسفية ، من مؤلفاته الاخرى : « فسيولوجيا الزواج » . وله بعض مسرحيات تمثيلية .

(٤٩) ستاندال ١٧٨٣ – ١٨٤٢ كاتب فرنسي وروائي مشهور من ابرز اقلام المدرسة الرومنطيقية في فرنسا في النصف الاول من القرن التاسع عشر . ولد في مدينة غرينوبل ثم جاء وسكن باريس . تعين قنصلا لفرنسا في مدينة تريستا . له عدة مؤلفات في السير والتراجم ، امثال : هيدن ١٨١٤ ، ونابوليون . وله بعض قصص طويلة مثل ادمانس والاحمر والاسود وشارتروز بالرم ١٨٣٩ .

(٥٠) نيتشيه (راجع فيه المقال المنشور في «الاديب» عدد مايو ١٩٥٧ ، ص ٣٤ الحاشية)

(٥١) رامبو ١٨٥٤ – ١٨٩١ شاعر فرنسي من كبار شعراء المدرسة الرمزية في فرنسا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . صحب فيرلين مدة ولازمه . نظم معظم شعره وهو دون العشرين ، وعاش فيما بعد عيشا بوهيميا فاحترف التجارة مدة ، ولا سيما في افريقيا الشمالية ، وتوصل لجمع ثروة طائلة. من دواوينه الشعرية المعروفة : نائم الوادي والسفينة السكرى وفصل في جهنم والاشراقات.

(٥٢) والت هويتمان ١٨١٩ – ١٨٩٢ شاعر اميركي لعله امير شعراء امريكا في القرن التاسع عشر على الاطلاق ولد في ولاية لونغ ايلاند ، ثم جاء واستوطن بروكلين. مارس في صباه اعمالا شتى : كالطباعة والصحافة والتعليم من اثاره الفكرية ، اوراق العشب ١٩٥٥ ، قسا عليه النقد الادبي ، فغمط حقه . اصيب بالشلل عام ١٨٧٣ ، فقضى معظم سني حياته الباقية في بلدة كمدين . من مؤلفاته الاخرى : المرور الى الهند والنافذة الديموقراطية ومذكرات خلال الحرب .

يوسف اسعد داغر

الى فميص

غريب الظواهر والمخبر
لماذا انتظارك ؟.. ماذا هناك
تلفُ زنودكَ كنزاً طريْ
دفيئا حبيباً ثري
بلون الثلوج ...
ودفء الربيع ...
وعطر الزنابق والعنبر
فصولٌ ثلاثةٌ طوعُ يديكْ
تود الغفوُ على راحتيك
وتنفر منها كمستكبرِ
وتجري وراكْ
وتبكي عليكْ
تودُ تقول اليك
وتهمسُ في اذنيك
لحون الهوى الاخضرِ
وتهرب منها بعيداً بعيد
كشخص جهول
فماذا هنالك
أدَفا فراشاً
وانقى بياضاً ..
واغنى حقولْ
من العاجِ والزنبق

وخدّ الاصيل النقي
عروقي تئنُ لها من بعيد
وقلبي معنىً ينوحْ
فكم خلّفت من جروحْ
الوف الجروحْ
وانت تفرَ ... الى أين ؟...
هل في الدنا من طموحْ
أعزُ من القمم الظامئاتِ
ورحب السفوحْ
هناك يفيق الصباح
وتشفى جراحٌ
وتنكا جراحْ
فلمَ تطولك يا صاحبي
وضمُ الصباح
ومتْ في الصباحْ
ولا تصحُ الا
على هدهداتِ الجراحْ
جراحاتِ كنزٍ ثري
بلون الثلوجِ ...
ودفء الربيعِ ...
وعطر الزنابقِ والعنبرِ ..

عصمت حمارنة
الجامعة الامريكية بيروت

بقلم عادل الاعور

الموعد

ooo

بـدا لي الامر على شيء من الاثارة. تجربة جديدة . ايجوز انتهان كرامة في عرض الطريق ، ان تمتد يد تصفع وجها ركبت فيه عينان ، فوقهما حاجبان ، وانف ، وفم يضحك.

ها هي « فيفي » الى جانبي والدمعة في عينها اليسرى . اذن غفرت لي تخلفي عن الموعد . لقد رات صوري في الصحف ، على راس التظاهرة ، فجاءت تعودني في المستشفى . اما هي فما بالها تتجاهل . الم تقرا الصحف ؟

واندفعت اخترق نطاقا ضرب حول مفوض الشرطة واخذت اهز يده بلؤم ، وانبرى لساني يصب في اذنيه كلمات قاسية :

— ولو . مات الضمير . كيف تضربه . باي حق تمد يدك اليه ؟

ولم اتبين كيف انهالت علي العصي من كل جانب . عصي قاسية ككلماتي لئيمة كالشتيمة المنبرية من فمي ، واخزة تلسعني .

وكاني بهذا ، او من هذا ، استمديت شجاعة تساعدني على المبارزة . نسيت اني اخرج في تظاهرة ، ولم الق بالا الا الى الذي يضرب امامي . اما ان تتحول العصي تلك تفتح دروبا في ظهري وفي فخذي فامر لم اتوقع .

ام هو احساسي بان الفرصة سانحة لان اظهر على حقيقتي ، اضطررت ان اظهر على حقيقتي — وفي المآزق يتاح للناس ان يتبلوروا.

مات الوجع في قدمي وعلى ظهري تخدر . وان كان الورم الازرق ما زال يشهد بان لؤما ترجم الى عصي بعد غضب . ولكن ثقلا في اذني يذكرني بان كفا ، بل اكفا ، انهالت علي ... تؤدبني .

وحده كان صديقي ياكلها. بالعصي والاكف اكلها . فهاج في صدري ما ياكل من صدري .

اترانا نستفظع امورا كثيرة وهي بعيدة ، حتى اذا ما اصبحنا نحن مدارها مات التضخيم في نظرنا ؟ والا لماذا يعظك ، احيانا ، من يقع في نفس اخطائك ؟

اشتبكت الاكف في عراك مع وجهي وصدري وظهري ، فاحسست ان الامر لا يحرز كل ثورتي تلك . بل بدا لي ان من يقع ، في مثل هذه الحال ، بما وقعت فيه ، يكون من هؤلاء المحظوظين الذين يخدمهم « الحظ » وياتمر بامرهم .

العيون التي كانت تنظر الي كأي شيء ، كالطاولة والمقعد والحائط ، غدت تستطلع في اشياء ضائعة لم تعهدها من قبل . اوراء هذه النظرة المسافرة والجسد الهزيل والزنود التي دفعت عن زميل الضرب ، بطولة لم تكتشف ؟

ذلك الصعلوك الذي اتهمني به ابي ، يوم كنت عالة على ابي ، قد مات . وغدوت احس باني انسان يزداد قيمة ، بعد ان دفع من كرامته ضريبة . فباتت ثقتي بنفسي وطيدة، راسخة .

خرجنا من المصلحة بلا اتجاه. وان كانت الغاية : مطالبة برواتب تأخر دفعها . اليوم هو التاسع من الشهر، والراتب لم يدفع . والدنيا صيف وسهرات ومشاوير معطرة .

وصدري الضيق كله ، الانفعال المكبوت . وانا ، الثورة النائمة ، ماذا تنتظر لتشترك في تظاهرة ينظمها وينتظم فيها زملاء. عيب الا اشترك. اف ، الجو حار . ما همني من الراتب؟ مئتا ليرة في جيبي ، واربعماية مع ابن خالي يمكن اناطالها في اية ساعة.

ولكن عبدالله العامل على آلة نسخ الخرائط واقف الى شاب يحثه على الاضراب ، وصوته بل اصوات صفاره تلعلع في صوته ، تضخم صوته :

— ولو . ما فيك دم؟ مش يا سمعان ويمشي سمعان .

والآخر ، انا ، لماذا لا يمشي ؟

أخاف على حذائي الجديد ان يلوثه غبار ، وعلى ياقتي المنشاة ان تتسخ ؟

هه . هذا نجاح . حتى نجاح الطيب « الحبوب » يدعو الى التظاهر وناصيف ايضا ؟ ناصيف الذي اقترض مني خمس ليرات . بحياتك عايزها ، خمس ليرات تكفي .

تلقاني على المصعد بلهفة :

— اهلا ، مرحبا ، كيف حالكم ؟ الصحة مليحة ؟ ان شاء الله .

ولم اجبه الا بمرحبا ناقصة . لعل اصطناع الجد هو ما بترها . مع اني اجتاز ، في فترات ، مراحل بالمزاح معه . يوم كنت « سكرتير » رئيس الدائرة التي ما زال ناصيف حاجب بابها واوراقها « وسندويش » موظفيها ، وعلب السجاير ، انشاء.. بل لعله المركز ، المرموق ببعض حسد الذي احتللته حديثا ، « سكرتير » عضو مجلس ادارة .

اوكدت اهتف باندراوس ، الحاجب الجديد علي ، القديم ، ان اقفل الباب كل ما مر في المشى عن يساري وجه لم يعجبني . او اتشاغل عنه بان ادير قرص الهاتف على رقم احد الاصحاب .

ولكني امام المصعد كيف اهرب ؟ اين اندراوس يقفل الباب من دوني ؟ الصحة مليحة ؟ ان شاء الله .

اواستوقفني ، وقد هممت بدخول المصعد .

— بحياتك عايز خمس ليرات .

— خمس ليرات تكفي ؟

والليرات المئتان منتفخة في جيبي الخلفي ، استصغرت المبلغ . خمس ليرات تكفي ؟

قلت هذا لامنع كلمة اخرى تخرج الازدهاء امام واحد مثله باني صرفت البارحة خمسا وثمانين ليرة في ملهى ، قد يقلل من اهمية عملي . ليته واحد كسليم الذي تركته الان ، بعد ان افضيت اليه بالتفصيل ، طبعا.

واكتفيت بان رددت :

— خمس ليرات تكفي ؟

اوكاني اقنع نفسي بان المبلغ زهيد يمكن الاستغناء عنه ، وان كانت رحلة جديدة تدعمع « فيفي » قد تكلف الكثير في بعلبك ، في ظلال معبد جوبيتر وتحت بقايا الاسد الرابض التحفز، وبالقرب من الاعمدة الضخمة صور مرت وتمر . وصوري مع « فيفي » تحتل المكان الاحب في محفظتي .

صورها ؟ من من رفقائي لم تاكلها عينه ، ويتحرق قلبه لان ينيم واحدة ، مثلها ، على زنده ؟ والليل

والعطر ونشق التراب ، والاف من السنين ، ومن الزنود ، ومن الاعين المتلهفة ، ومن الاعناق الراكعة تقفز الى عيني ، تقفل الرؤى على عيني .

وصمت الخشوع ، وحكايات الهوى ونزاعي مع افكاري حول قلب « فيفي » وصدرها ويدها الرخصة المتلاعبة بنظارات سوداء تلهو بها ، تستعين بها علي لحظة اخذتها بين ذراعي .

والسيارة الجناح تطوي المدوات الخضر المليئة بالبطيخ والتراب المحروق والعرق المتصبب من الجبين الكادح ، والحسرات الدفينة اللاهفة لموسم يقبر الفقر . وانا و « فيفي » تنام على صدري تؤكد لي ا نمسايرتها لصاحبي على سبيل المجاملة .

ـ انا لك وحدك . لا ادري لماذا احس معك بارتياح ، بجو يتيح الافضاء ، بلا تكلف ، بلا رياء . كأن صداقتنا ليست بعمر هذا الصيف القصير ، بل منذ عشر سنوات .

وكانها لحظت في عيني تكذيبا لها ، فاردفت :

ـ ولو . الا تصدقني ؟

أتقول بانني اول من سمحت لنفسها بان تخرج معه ؟ اتحاول ان تسخر مني ، ان تضحك علي ؟

ـ ان عرف اخوتي بنا يقتلونني . اخافهم .

ـ اتخافين وانت معي ؟ عيب .

وتعود تؤكد لي ان امها اوصتها ، وهي بعد صغيرة تذهب الى المدرسة ، الا تسلم شفتيها لاحد . فليس لذي قلب ان يستولي عليها الا عريسها . لا يبوس فمها الا امها . والفكرة ما زالت تتنامى في صدرها وفي تصرفاتها ، فما تريد ان يشوه واحد ما تتمنى المحافظة عليه .

وكاني لم ادرك انها بهذا انما تغريني بشفتيها اللتين بطعم .. طعم العسل ؟ اتراها ، في تواطئها مع العطر المنبعث ، تشجعني على المضي اكثر في ضغطي على كتفها ، وعلى صدرها ؟

لم آت اليها في الموعد . ظنت اني اخلف . لكن لسان صديقي أبى عليه ، في ما بعد ، غير الافضاء اليها بحذافير الحادثة . وكادت تكذبه . اهذا الهادىء الرصين ، انا ، يمكن ان يصطدم في معركة مع رجال قساة ، غلاظ ؟ ايمكن لاناقته ان تهوشها تصرفات أمية ؟

في احد الملاهي سكر صديقي على اثر جرعه كأسي « ويسكي » وما اثار سخرية « فيفي » ان الصديق ما زال يؤكد احتماله جرع زجاجة « ويسكي » بالتمام والكمال .

حاول ان يراقصها في بدء السهرة والح . وكان ان انتهت السهرة ، في حين انها بدأت ، وقد احتملناه فاقد الوعي يهذر بكلام سخيف .

ولم ينزل من السيارة الا بعد ان وعدته بمراجعة الله ليعدل سياسته معه . والتفت الى السائق المنتظر يقذفه بهذا :

ـ يا ولد ، لا تفتكر اني سكران . مجنون انت ؟ تضحك ؟ هه . هه . انا سكران ؟ مسكين هه . هه .

وبقيت حتى الثانية عشرة ليلا الى جانبه اساقيه قهوة مرة ، واحمله الى المغسلة يقيء ما لم ياكل .

لقد فرض علي ، بنزقه ، ان اتحمل هذا الدور ، وان كان سخفه سلوى ماتعة . غير ان التحدث الى « فيفي » واخذها بين الذراعين اشهى واحب . وفي السيارة ، عودة ، شرعت تضغط على يدي وتضغط حتى احسست ، وراسها يطل من « اشارب » ابيض بزيدها اغراء ، ان كأسي « الويسكي » اللذين تجرعتهما الى الطاولة لم يفعلا فعل ضغط يدها الحارة

خفت ، وعشائي الخفيف استعجلت بتناوله ، ان اسكر ، لكن راسي ثقيل ، فعلا ، على المشروب . فما احسست الا بخدر لذيذ يتمطى في عروقي ومفاصلي .

وفي صفوف شبه منظمة كنت في الطليعة احث الزملاء . نمرق من قدام السراي ، الوقوف قدام المالية افضل يا يوسف ؟ ظلوا في الصف . لا تتحركوا . انتما يخصك . بلاطق حنك

وتتسارع وجوه وصدور الى شبابيك . وتنشط عيوننا لاصطياد وجه حلو اتى وعلى فم صاحبته سؤال : يه ... تظاهرة . واختبأت وراء ستارة زاهية الالوان والمداعبة .

تأتي . لماذا لم تأت ؟

ليتها تدري ان واحدة سرقت قلبي واحدة وحدها ، تخلفت عن موعد لسبب ظهر اثره في احمرار عينيها يوم جاءت تعتذر . ورغم ايماني بصدق عينيها ، أحسست انها تخونني واني بدأت ابتعد عنها .

أمن الضروري ان ابرر هذا ؟ امن الضروري ان اعترف بان محافظتي على المواعيد مقدسة ، اعتبر من يخل فيها حتى ولو كان صديقا حميما ، قد طفق يتلاعب بالصداقة .

و « وفيفي » أتسخر مني للمرة الثانية ، أدعت ، لاول مرة ، انها لم تستطع لاسباب . واقسمت بصداقتنا كم هي كاذبة ، انها ستأتي في موعد اخر لتبرهن على صحة علاقتنا .

قلت لها :

ـ قولي صراحة انك لن تأتي

ـ الصراحة بضاعة كاسدة؟ سآتي .

واحببت ان اصدق . توهمت اني صدقت .

اتراها تسخر ؟

اذن لماذا لم تأت ؟

مفاصلي كلها تنتفض . وبرداء تلعب في جسدي .

أتسخر مني ؟

تقدموا يا شباب . تاليف وفد يقابل الوزير افضل . مشط لحيتك . شرف . لا يا عدنان . ثلاثة يكفي .

وانتظرنا . باللهفة وتوق اللقاء المنتظرني في الساعة الثانية ، بل بالحاح عاشق للقاء حبيبته .

وطال الانتظار .

ما بال ربيع لا يعود . كأنه استطاب ان يبقى . او لعل حاجبا مقطب الجبين لا يسمح بالدخول . واحسست ان جلدي يقفز عني ، وان دربي ابدا تضل بي ولا تبلغ .

العيون المتطاولة من ابواب الحوانيت تنتظر النتيجة معنا ، باكثر من توقعنا ، تعطف علينا ، تحقد علينا .

والناس يدخلون الى مركز البريد قبالتنا ، ولا يخرجون . كأن الرسائل تبتلعهم ، او ان انفاقا سرية تزدردهم فما تسمح لهم برجوع .

واناس يمرون . بعضهم يستطلع وبعضهم تشده الغاية الى لاغاية . كأن ليس في صدورنا نحن ما يدفعنا اليه ، ما يمسك بنا ويجرنا الى لقياه .

ولكني في هذه المرة ماذا ساقول . الادعي ان عملا طارئا لم يسمح بالمجيء . ام افضي اليها بتفاصيل الحادث ؟

عقرب الساعة الكبير يحرن على الثانية عشرة . كأنه لا يحب ان يتقدم كأن عطلا غير متوقع يتآمر . كأن ليس لي ان انعم ببعض ساعة بعد عملي

الاسبوعي الرتيب المرهق ، مع واحدة بدات احس اني لست لا بالنسبة اليها . الم تقل لي ، متأففة ، بعد تناول الغداء ، في رحلتنا الى بعلبك:

ــ ليت الوقت لا يمر .

والتفتت الى صديقي ثم مالت الي تسر :

ــ لماذا جئت به ؟ ليتك لم تفعل .

وشجعها بريق حلو في عيني ، فاردفت :

ــ اللحظات التي تمر ، وانا لوحدي ليست من عمري .

وبكى في صدري تلهف ،وازدهى امل . ليت التي احببت تسمع ما تقول الفتيات عني ، فتتشجع على قفز الحاجز الذي تصطنعه مآرب الاخرين . وما يعزيني اعترافها لصديقة بانها تحبني ، ولكن موانع اجتماعية تحول ، تحول .

لا ادري لماذا احتقر الثقافة ، لفترات ، رغم ايماني بضرورتها . الان حبيبتي تلك مثقفة ؟ يا للكلمة الجوفاء . كان هدف الثقافة مجرد شهادة تعلق مزدهية على جدار . وليست عملية فكرية تتحول الى تصرفاتنا، تطبع سلوكنا، تغير نظرتنا الى الامور .

ولدت جدتها وامها وخالتها في وسط وبيء . وجدتي وامي وخالتي ايضا . فهن معذورات بنظرتهن المحدودة الى الامور . اما هي فما عذرها ؟ اما تخجل امام نفسها ؟ ان تحب ولا تساعد على تحقيق هذا الحب ، او ليس اجرام ؟

ومع ذلك ندعي ، في احاديثنا ، اننا جماعة تتطور .

لعل ان جوعي الى جسد امراة وحده يساعدني على احتمال سماع سخافاتهن . واصدقائي يلهفون للتعارف على نساء ، ليس لصداقات مرحة بريئة ، بل لرمي شباكات ، لاصطياد اجساد حرير .

لم تقل « فيفي » انها تحبني . لم اقل اني احبها . ومع هذا يشعر ، كلانا ، بان الانفصال ضرب من سوء ، ومن تغرير ، بل غدا امرا لا يحتمل .

لماذا لا احبها واترك تلك ؟

ان « فيفي » اجمل من حبيبتي . ومع هذا لا يمكن ان اتصور اني ساترك من تعيش في صدري موعد وفاء ، ساهجرها الى الابد .

ويوم ترامى الي ان الحبيبة الكريمة في طريق الخطبة من اخر ، لم يرتعش قلبي . لم انفعل . لايماني بانها لا يمكن ان تكابر على حبها البكر ، فتبيعه بسيارة ومظاهر تفش ، هي الكبيرة النفس، وتتركني اتالم لوحدي

قالت للصديقة انها قد تقبل الخطبة لتقتل هواجس تلعب في صدرها . اتستطيع ؟ اتثير حرب اعصاب ؟ ام تراها مجرد احاسيس كواذب ، مجرد اوهام ؟

توطدت علاقتي « بفيفي » . فقد اخذت تكشف لي عن حميمياتها محاولة ان تزرع في روعي صدق طهارتها وطيبتها .

احببت فيها هذه الطهارة ، وهذه الطيبة . ولكن الذي يزعج راسي هو : لماذا تكذب علي في مواعيد ؟ التشعرني بانها غير متيمة ، مع ان لهجتها ، طريقة تصرفها معي توحي لي بانها عالقة القلب بواحد ، هو انا .

وتمنيت لو استطيع قطع العلاقة. ولكن احدى الصديقات اخبرتني بان هزالا اصابها فازدادت لهفتي لرؤيتها.

او بدات تحبني دون ان ادري ؟ تصرفها الاخير واظهار استعدادها لان تلحق بمن تحب ولو الى ما وراء مغيب الشمس ، ثم استدراكها بان اروع الحب هو ما ينمو بين قلبين لا يتصارحان تثير لدي التساؤل، وتفتح امامي مشاوير استطلاع .

شهر مضى ، لم ارها خلاله .كانت تتهرب من اللقاء . الاحساسها بان قد افشت سرا ، قد اقدمت على عمل كبير ولم تلق الترحيب ، اذ قابلت صراحتها بفتور ، هو ما دفعها لايثار الانصراف ، الانقطاع ؟

لم لا احب « فيفي » .

لم لا اقطع علاقة لا امل لي بها . بل لا استطيع توطيدها رغم محاولاتي المتكررة .

ام ان الامل الباهت بالذات هو ما يربطني بها ؟ هي التي تمنيت ان تكون وحدها ، اما لاطفالي .

كنت اسعى الى لقياها على طريقة تلاميذ المدارس . اتخيل ان اتبعها حين خروجها من المدرسة ، بعد انصراف تلميذاتها ، لاكالمها . ولكني احس بتفاهة اسلوبي ، في آخر لحظة ، فانصرف .

وكم تمنيت ان تجمعنا الصدفة، فزيارة بيتها مغامرة ، لاتفاهم معها هي المثقفة . وبقيت تكابر وتتهرب كأن ليس لالسنتنا ، الطويلة كحديث النساء، ان تتحدث بغير سخافات مريضة

أترى من الجريمة ان يلتقي اثنان ليتفاهما ؟

ام ان الجريمة ، كلها ، في الا يلتقيا لتفاهم ؟

ولماذا لم تستطع الفتاة بعد مصارحة نفسها ، تحديد موقفها ، فهي واجفة حتى من ذاتها ، حتى من ان تقول نعم او لا .

وفي انتظار الموعد تلهف صدري ، تعذبت ،

تمنيت لو يستعجل .

لو تاتي الساعة الثانية .

كثيرا ما نتمنى لو يتقدم الزمن ، لو يختصر ، ونحن في انتظار موعد ياتي . ونتاوه لو تستعاد ساعات مرت علينا بسعادة . ولكننا ماذا لو استطعنا ان نتحكم بالزمن فنستعيده او نستقدمه . ولو كان الاختيار بيدي ، لمرة في العمر ، لاخترتها الان بالضبط .

سالقاها بعد ساعات . انا الذي انتظرتها اكثر من عشرين يوما ، وقد تواعدنا مرارا ولم تات ، ولم آت ، لينتهي بنا الامر هكذا ؟

بدا لي الامر على شيء من الاثارة. تجربة مريرة . ايجوز ان تهان كرامة في عرض الطريق ، ان تمتد يد تصفع وجها ركبت فيه عينان، فوقهما حاجبان ، وانف وفم وياكل صاحبه اللكمات .

رايت حانا ، صديقي ، يضرب . فاندفعت اخترق نطاقا نصب حول مفوض الشرطة واخذت اهز يده بلؤم

ــ وقيل دفعته ــ وانبرى لساني يصب في اذنيه كمات قاسية .

ــ ولو .. مات الضمير . العمى بقلبك كيف تضربه . باي حق تأمر بمد اليد اليه ؟

ولم اتبين كيف انهالت علي العصي من كل جانب تلهب ظهري ويدي وصدري وموطىء قدمي ، حتى غامت الرؤى امام عيني . ورحت في غيبوبة سادره .

اول ما فعلت ، وعيني تستعيد حقيقة الاشياء ، ان سالت : كم الساعة ؟ كانت الرابعة والنصف .

عادل الاعور

بيروت جامعة القديس يوسف ــ كلية الاداب

الى بعيدة

*

أنا هنا ، يا حبيبه
في عزلة من الرؤى خصيبه
وحدي ، مع الافكار
أعيش في التذكار
وأحضن القمر

وحيثما تمر
خطاك ، لا أحر
جوابي الصغيرا
عن خلوة كريمة
كنا بها كلانا
ندمدم الاشعارا
ونقرأ الاسفارا
عن قصة من الهوى عجيبه
في حارتي الفقيرة الرتيبه
عن جارة تحبنا كثيرا
جميلة كالوردة النديه
قالت لنا : والفجر في شباكنا
ــ ما أجمل الصباح
في وجهنا يلوح
وعندما عشقنا
تفتح الربيع
عن سرنا العميق
وغنت الاسحار
للمولد الجديد
وبرعم الشجر

أنا هنا ، يا حبيبه
في غمرة من الهوى عجيبه

أنتظر اللقاء
وأحمل الشتاء
لعلني أراك
قمرة ، حلمت
بأنني نسيت
هواك يا حبيبه
لكنني بكيت
وأظلم القمر

وعندما صحوت
جنيت ما جنيت
هواك يا بعيده
الى متى يطول
غيابك الملول
وحدي هنا أقول
ــ لعلها تعود
فتشعل الشموعا
فانها لدي
أعز من حياتي

أنا هنا ، يا حبيبه
تحملني الاشواق
الى ربوع خصيبه
في بلدتي العجيبه
ــ هل قلت لي .. نسيت
فيرحل القمر

دمشق • اسماعيل عامود

الادب الشعبي في العراق

بقلم حمدان عبد الامير حمدان

الادب الشعبي مادة هامة في حياة الشعوب ، فهي تعبر عن الكثير من نواحي الشعوب الحياتية ، وقد دفعني لكتابة هذا البحث : الغبن الذي اصاب هذا الادب من ناحية المثقفين ، وشجعني على كتابته ظهور بعض الكتابات في الاونة الاخيرة في عدد كثير من المجلات الادبية ، ويسرني ان اتقدم بالشكر الجزيل والتحايا الاخوية لجميع من كتب في هذا الموضوع .

ان اهم ميزة تجابه الباحث في شعر العراق الشعبي هي ظاهرة الحزن والاستكانة التي تتجلى فيه واضحة . وللبيئة اثرها المهم في اذكاء هذه الظاهرة وكذلك يفعل التاريخ فعله .

ومن الملاحظ ان المآتم الحسينية والتعازي التي تستغرق وقتا لا باس به من كل عام [حوالي الخمسين يوما] تجديدا لذكرى الشهيد الحر : الحسين بن علي بن ابي طالب ، وذكريات وفيات ابنائه واحفاده ، كل هذا يستدر كثيرا من دموع العراقيين ويحزنهم ويطبع ادبهم بطابعه . والملاحظة الثانية في شعرنا الشعبي في العراق : صدق العاطفة ، والبساطة والوضوح ، فالشاعر لا يلجا الى المقدمات والحشو بل يدخل الموضوع راسا لتمكنه من المادة التي يصوغ بها شعره . وشعر العراق الشعبي يشبه شعر بقية البلاد العربية في اساليبه وطرق نظمه ، غير ان في العراق نوعا لا يوجد في بقية الاقطار العربية ، وهو الابوذية ، اما الانواع الاخرى فان اسماءها تختلف عن اسماء مثيلاتها في الاقطار العربية الاخرى ، كالحسجه والعنايل والمربع وغير ذلك . فسأتكلم عن القصائد الشعبية واساليبها وطرق النظم عند الشعراء الشعبيين .

قلت سابقا ان المنظومات تتشابه في كل الاقطار العربية ، والمهم هنا هو البحث في الشعر العراقي خاصة .

كان العراق وما يزال مرتعا خصبا لكافة الانتفاضات التحررية في جميع مناحي الحياة الثقافية ، ولكن امية بعض الشعراء الشعبيين وابتعاد بعضهم الاخر عن المدن دفعاهم الى التقليد في بعض الاحايين .

والقصائد الشعبية في العراق ترتبط بقافية موحدة وتنسجم الفكرة فيها انسجاما تاما وتكثر فيها التشبيهات الحلوة والاستعارات اللطيفة .

وقد تباري الشعراء في ميدان التشطير كثيرا وذلك ابتغاء اظهار تفوق كل منهم على الاخر ، فيأخذ الواحد منهم قصيدة صاحبه ويشطرها باشطر من لدنه ، او يرد عليها بقصيدة من نفس الوزن او من نفس القافية ، او ينهج نهج قصيدة الاول في كل شيء . ومن التشطير الجميل تشطير قصائد فصحى باخرى شعبية وهنا تظهر مقدرة الشاعر الشعبي في اقتناص الكلمات بذوق رفيع وذلك لانه مخير في استعمال كلمات من لغتين ؛ والبساطة واضحة كل الوضوح في مثل هذه القصائد ، وقد ترى فيها بعض المبالغات العظيمة مما يستسيغه خيال الشاعر او خيال بيئته . وفي بعض القصائد تخيم روح الدعابة والخبث على هيكل القصيدة البنائي او على فقرات منه ، وتستطيع ان تتبين بنفسك مدى صحة هذه الخصائص بقراءتك هذه القصيدة مثلا ، وهي قصيدة ثنائية ــ اي بلغتين ــ تدور حول رؤية الشاعر لفتاة جميلة وما يستتبع ذلك من انفعالات واوصاف وحوادث ، فبعد ان يذكر الشاعر انه راى صباح اليوم انسة وسط الساقية تسقي وتتمايل في الماء ، ويصفها وصفا جميلا :

كانها قمر بدر التمام بدا والنحر والوجنات والمبسم شهود

والملاحظ ان عجز البيت يقرأ بلهجة تختلف عن صدره ثم يقول الشاعر واصفا حالته النفسية ساعة اللقاء :

وقفت مندهشا ارنو لها شغفا عجب الحسن يخوان للركبه وجعود

اي ما اجمل رقبتها وخصلات شعرها يا اخوان ، ثم يستمر في وصف اللقاء والكلام الذي جرى بينهما ، وهنا يدخل عنصرا مرحا في قصيدته :

سائلتها قائلا هل عندك خبر درب الطبيب منين دليني العجود

اي : اين محل الطبيب ، دليني على طريقه . ولكن هل هو يبحث عن الطبيب هنا ؟

قالت غريب بهذا الحي ؟ قلت لها من حسنج انجنيت والعكل مفكود

انظر الى هذه اللفتة الظريفة المعبرة : انها تساله اهو غريب في ذلك الحي فيجيبها بانه جن من حسنها وفقدعقله ثم يقول انها ضحكت من قوله ، فأفتر ثغرها عن اسنان كاللؤلؤ ، ويهتم الشاعر هنا بالتفاصيل الدقيقة ، فاسمعه يقول :

سارت وسرت على بعد اراقبها لاح لنه فاين شيب يتوجه بعمود

اي : لاح لنا شيخ يتوكأ على عمود ، ويذكر الشاعر انه اخبرها بانه ضيف لديها ويجب عليها ــ بوصفها مضيفة ــ ان تجود بما تملك ، فتجيبه هي :

قالت فما تبتغي يا ضيف ؟ قلت لها كرميني من وجناج حبه من الخدود

انظر الى طلبه كم هو غال ، فهو يطلب منها ان تكرمه بقبلة من وجنتيها .

وكالشعراء التقليديين القدامى يستعمل شعراؤنا الشعبيون النهج ــ كما قلت سابقا ــ فقد نهج على هذه القصيدة شاعر شعبي هاو ، فقال في مطلع قصيدته :

يا اخوتي قد دهتني اليوم نائبة ارجوكم تسكتون واحجي القضيه
عيناي قد نظرت حوراء سافرة تشبه البدر التام من يشع ضيه

قد تستغرب هنا هذه المبالغة ، وقد تقول انها هراء فما هي هذه النائبة ؟ اذا كانت مرأى الفتات فأحبب بها ، لانها كما يقول تشبه البدر وقد اكتمل ضوؤه وشع ، ولكن انتظر لكي تسمع الشاعر يقول :

لقد رمتني بسهم اللحظ عامدة صوبتني يالخوان بسهم المنيه

فالمشكلة ــ او النائبة كما عبر هو عنها انها اصابته بسهام لحظها فكانت هذه السهام سهام الموت ، ويستمر الشاعر واصفا جمالها محدثا اياها بانه صريع هواها وانه

اذا ما مات فان اهله سيطالبونها بالدية ، فتنثني وتلمسه بكفها وتشمه ، ثم :

هوفيت عندئذ في الحال من‌سقمي　　والجرح لم وطاب من دنت ليه

فالتأم الجرح وعوفي في ساعة دنوها منه .

جودي علي بلثم الثغر قلت لها　　كالثلى بس لتصير نفسك دنيه

طلب منها ان يقبل ثغرها ، وطلبت منه ان لا يكون دنيء النفس طماعا :

فقلت لا ابتغي السوء في‌تقبيلك ابدا　　لاحين مياته عليج صافي النيه

ولكنه يخبرها بانه لا يضمر لها سوءا ولا يقبلها عن سوء قصد ، ولكنه يقبلها بمودة صافية وفية خالصة :

قالت اذن هاكها اني سمحت بها　　فرحه برعب عضيت خد البنيه

ولكن ! كيف يستطيع ان يمنع نفسه من ان يعضها من خدها بفرحة ممزوجة بالرعب ، فتعاتبه قائلة : كم انت صلف وطماع فيعتذر لها معترفا بخطئه ، وتعفو هي عنه وتحذره من العودة الى ذلك ، ثم :

قالت : اذا رمت وصلا فات منزلنا　　واكعد بحجة ضيف وكت المسيه

اي واجلس مساء كالضيوف ، فيخبرها بانه لايعرف أين يقع منزلها ويطلب منها ان تدله عليه ، فتصفه له وصفا حيا :

قالت بوادي الضبا ابياتنا بنيت　　كلش بيوت كبار : رفهه وضويه

اي ان بيوتهم كبيرة جدا ومرفهة كثيرة الاضواء :

ما بينها خيم تترى لناظرنا　　مجدم عليها الضيف واهل العطيه

اي انها يقبل عليها الجميع : الضيوف واهل العطاء .

فاسرع اذا نظرت عيناك اكبرها　　مربوطة يمهه خيول وضيوفهه ميه

اي ان خيولا قد ربطت الى جانبها ، وقد نزل فيها ضيوف مئة . ثم يحكي الشاعر كيف افترقا فسارت نحو منزلها ورجع هو منتحبا من الحزن ومقلبا كفيه ندما ، ثم كيف جعل يسال عن (وادي الضبا) وكيف اخبروه بانه بعيد وطريقه شاق خطر وحذروه من الذهاب وحيدا واوصوه ان يأخذ دليلا ويركب فرسا ، ولكن شاعرناشجاع

فسرت في كبد الصحراء ليس معي　　غير الفرس والسيف والبندقيه
وقد وجدت ذئابا ملء أدربها　　خلصني منها السيف والماطليه

ويذكر الشاعر انه راى خيام القوم عالية كأنهاالجبال، ولما راوا فرسه مقبلة عليهم أتاه العبدمسرورايجري وخلفه خدم صاحوا بالشاعر مرحبين ، وبعد ان قضى بينهم مدة ـ بلا ملل ـ عزم على ان يخبر الشيخ بقصته :

جلست حينئذ في جنبه خجلا　　حس ونشدني وكال : سولف النيه

اي أحس وسألني ان اخبره بما أضمر ، فيخبره شاعرنا بانه قصد المنزل ليخطب (علية) ـ ابنة الشيخ ـ الى نفسه ، فيستفسر عن نسبه فيخبره ، ويرحب به الشيخ ويطلب منه قضاء ثلاثة أيام [كالعادة الجارية عند الاعراب] ثم ينهي المسألة من بعدها ، ثم :

لما انتهى الاجل المضروب اخبرني　　خلصت وشايف خير بالشمريه

اي ان المسالة انتهت ولك الخير كل الخير بعروسك الشمرية .

يلاحظ القاريء اني اطلت كثيرا في عرض هذه القصيدة ولكن عذري في ذلك انها قصيدة جد لذيذة وهي طويلة كذلك .

الابوذية :

تعتبر الابوذية قطعة شعرية كاملة ، قائمة بذاتها ، وتتكون من ثلاثة ابيات تتساوى فيها الكلمات اللواتي في اواخرها لفظا وكتابة ـ وتسمى كل من هذه الكلمات (قفل)، ويلاحظ ان كل واحدة من هذه الكلمات تعطي معنى مختلفا عن معنى الاخرى ، اي ان الاساس الذي تقوم عليه الابوذية هو التورية وليس كما يظن البعض من انه جناس تام ـ وكذلك تتألف من بيت رابع ينتهي بياء مشدده :

شبه ريم الفله جيده وعينه　　سكاره من له ثغره وعينه
جمع (رضوان) كل حوره وعينه　　يكلهم من جماله اخذوا الحديه

ومعناها : ان الموصوف يشبه‌رئم الفلاة بجيده وعينيه وقد كنا سكارى غير اننا صحونا بعد ان ذقنا لماه ، وقد جمع (رضوان) حوره وعينه وقال لهم : خذوا لكم من جمال هذا مثلا .

واصل كلمة الابوذية هو ابو اذية ومعناه صاحب الاذى والالم ، والمقصود بذلك : ان المفروض في قائل الابوذية ان يكون متألما من حادثة شعورية معينة جعلته يقول شعرا ـ ولا شك ان هذا الشعر سيكون مؤثرا لما فيه من صدق ـ فهو سيؤلم الناس ويحزنهم عندما يقراونه [وصرح الدكتور مصطفى جواد ـ البحاثة العراقي المشهور ـ بان أصل الابوذية غير ذلك وانها ترجع الى اسس اعمق من ذلك غير انه لم يقل ما هي تلك الاسس] ، مثلا :

أحو يا نار كلبي حركت يوفي　　نهاري ما عرفته شمس يوفي
ردت عند الشدايد ولف يوفي　　تعبت ما حصلت غير الاذيه

فالشاعر هنا يتألم من النار التي اشتعلت في قلبه واحرقت جوفه ، ثم يقول انه لا يدري أهو يعيش في الشمس ام في الظل . .! وانه اراد ان يحصل على صديق وفي في الشدائد ولكنه تعب ولم يحصل على شيء غير الاذى والالم ، فهذه تجربة عاشها الشاعر وخرج منها بالالم فعبر عنها بهذا التعبير البسيط الحي .

ولكن الابوذية انفكت من أسارها واصبحت تحوي على ملحة هنا ونادرة هناك . سواء في المعنى او الصياغة :

ثلاثة خشوف للحمام جن جن　　مش واسمع دوي الخلخال : جن‌جن
العالم يوم شاف الحسن جن جن　　ترك علمه ومشاله بغير تيه

فان تكرار كلمة (جن) قد أضفى جوا لطيفا على قراءة الابوذية ، ومعناها : ان ثلاثة فتيات كالغزلان اتين الى الحمام ، وكنت استمع الى الخلخال يوسوس اثناء سيرهن، وقد جن‌العالم من حسنهن فترك علمه وسار على غير هدى ان مجرد وصف الشاعر لثلاث فتيات يوضح قصده من كلامه ، وهو المزاح والدعابة ، ثم تصور منظر هذا العالم الذي يترك علمه ويبدأ السير بدون قصد ، أليس في منظره

ما يضحك ...

وقد اتبع ناظمو الابوذيات سنة يسيرون عليها في اكثر ابوذياتهم وتسمى هذه القاعدة : (التضمين) ، ويقصد بها تضمين الابوذية بكلمة او فكرة من كلام اخر ، ويختارون لذلك على الاغلب قصائد من فصيح الشعر :

وقلبي دعتني للحروب لحاظه   وهيهات من تلك اللحاظ خلاص
فلما أجلت الطرف ادميت خده   وادمى فؤادي والجروح قصاص

ترف يدعى يساهي العين وآدمه   لوده الك يا مدلول ودمه
جلت طرفي جرحت خديه ، وادمه   فؤادي والجروح قصاص هيه

ومعناها : ان حبيبه عن (ترف) ، ثم يلتفت الى الحبيب ليخبره بانه مستعد لان يقدم له كل ما يطلب ، ويقول بانه لما أجال طرفه جرح خديه ، ولكن الحبيب ادمى فؤاده ، والجروح قصاص .

وقائلة عمي ولست بعمها   ولكنني افدي بعمي خالها
هواها المهجتي ولحشاي عمها   عليها ، ولعيون الدمع عمها
اويلي ، تكلي عمي وما في عمها   روحي الخالة عمي فديه

والمعنى : ان حبها قد عم مهجتي وفؤادي ، وقد عميت عيناي من كثرة بكائي ، آه من التي تدعوني (عمي) ولست بعمها ولكنني فداء لخالها (اي الشامة)

وقد يستعمل الشاعر للتضمين ابياتا شعرية شعبية، كقول الشاعر :

لو ما اخاف الناس تتحاجه بيه   لصبح ارض لهواي يمشي عليه

ويعني بذلك انه لولا حياؤه وخوفه من كلام الناس لجعل جسده ارضا يسير عليها الحبيب ، وقد ضمن شاعر ابوذية من هذا البيت فقال :

ترف ، من شفت طير الهجر ينعاب   الكطع ظني ودليل حشاي يتصاب
انا لو ما اخاف الناس ينعاب   لاصيرنلك ارض تمشي عليه

ويعني بها : انه لما راى طير الهجر ناعبا ، تحققت شكوكه ، واصيب فؤاده بالم ، ولولا خوفه من كلام الناس لاصبح ارضا لحبيبه ـ ليمشي عليها ـ ويتعدى اختيار الشاعر الشعبي ، للتضمين ، الى غير الشعر احيانا كقوله :

مزنجلفي هوه شوكك وما هم   ادورهم دخاتيري وما هم
سكارى الناس تاراهم وما هم   سكارى من الغرام الصاربيه

ومعناها : لقد قيدني هواك ، واصبحت افتش عن أطبائي فلا اجدهم ، وتخال الناس سكارى وليسوا كذلك ، ولكنهم قد دهشوا لما اصابني من الغرام فغدوا أشبه بالسكارى .

ولا شك اننا نستطيع ان نتعرف على ذوق الشاعر الشعبي ، ومذهبه في الشعر والحياة من خلال دراستنا للابيات التي ينظمها او التي يضمن بها بعض اشعاره ، وفي الاغلب الاعم ، ينم اختيار الشاعر ـ للقصائد ـ عن بساطة تامة واستمساك بواقعية مادية تؤيدها مقارنة محسوسة :

له حكم لقمان وصورة يوسف   ونغمة داود وعفة مريم

ففي هذا البيت بعد عن التنميق اللفظي ، واكتفاء بالاشارة الواضحة ، فالمعروف عن لقمان انه حكيم وعن يوسف : انه جميل الخ ...، وليس هناك داع يدعو الشاعر لكي يستنزف كل طاقته الشعرية في وصف الحبيب حتى اذا ما اتى الى طرف اخر من اطراف قصيدته تنقطع انفاسه ويبدو لاهثا متعبا ، وهكذا فانه من الحكمة ان شاعرنا هذا قد اكتفى بالتشبيه ، ولوبالنسبة له شخصيا فقط ، والان استمع الى الشاعر الشعبي وهو يفيض في الوصف اكثر من صاحبه :

يهالناشر زلوفك ظفر يوسف   بيس انته عليك القلب يوسف
حكم لقمان اليك وحسن يوسف   وعفة مريم العذره الزجيه

والمعنى : يا من نشرت سالفيك : اظفرا أم سفائفا ؟ عليك فقط يأسف القلب ، لك حكم لقمان وحسن يوسف وعفة مريم العذراء الطاهرة .

ونرى كذلك عند بعض الشعراء ميلا للمبالغة في وصف آلامه ، او اخلاصه لاحبابه :

كتبت كتابا لو اكن متمكنا   لارسلت عيني في الكتاب تراكم

فيلاقي كلامه اذنا صاغية وشعورا خالصا يتجاوب مع شعوره في قول شاعر الابوذية :

هموم الخلك كلهه علي تراكم   سلبتوا العكل من راسي تراكم
لون ممكن العين ارسل تراكم   حيث فراكم يصعب عليه

والمعنى : لقد تراكمت علي هموم الناس جميعا ، وها انتم قد سلبتم عقلي ، واتمنى لو استطيع ان ارسل عيني لكي تراكم ، لان فراقكم قد صعب علي . ويستعمل الشعراء الشعبيون : (المعارضة) احيانا في بعض ابوذياتهم ، فمثلا نرى البيت :

كتبت كتابا لو اكن متمكنا   لارسلت عيني في الكتاب تراكم

وقد ذكر سابقا ، وقد ذكرت معه احدى الابوذيات التي ضمنت به ، وقد نظم فيه شاعر اخر ابوذية اخرى ، فقال :

خطيت ولامنعت الجدم بالخط   شجاني وحملت الروح بالخط
لون عندي يصح تمكين بالخط   لدز عيني تشوف البي حميه

يقول : لقد تقدمت ولم امنع قدمي من الخطو ، لست ادري ما الذي دفعني على ان احمل روحي خطأ ، يا ليتني استطيع ان ارسل عيني ـ في الكتاب ـ لكي ترى حبيبي الشهم .

وتصاب الابوذية بكارثة عندما تقع في ايدي الجهلة بامرها والذين يظنونها مجرد تلاعب بالالفاظ ، فكما افرط شعراء الفترة المظلمة بادخال الالغاز والاحاجي في اشعارهم اخذ البعض (يرقع) الابوذيات مثل ذلك الذي (صنع) ابوذية بلغتين : الفارسية والشعبية العراقية :

(برادر سي) نفر فاتوا يونون   على شانك حرمت (الاب والنون)
(قسم كردم) بحرف اللام والنون   جبينك (بهترس) شمس الضحى

اي : اخي ، لقد مر ثلاثون شخصا يئنون ، من اجلك حرمت الماء والخبز، واقسمت بحرفي اللام والنون ، جبينك احسن من شمس الضحى ، اي ترابط بين الابيات هنا ؟ وما هي التجربة التي عاشها الشاعر لكي يصورها لنا في ابوذيته . لا شك ان القاريء عندما يقرأ مثل هذه الابوذية

يعرف حالا انها ليست من الابوذيات العراقية في شيء ، فالابوذية العراقية هي تلك التي تمثل الادب العراقي الواعي البسيط .

نظـرة عامـة

كتب الاستاذ عثمان سعدي ، مقالا عن الادب الشعبي والمقاومة الجزائرية ، وكتب الاستاذ باسم حمودي عـن شعر العراق الشعبي ، في مجلة الاديبالزاهره ، وكتب الاستاذ زكريا حجاوي مطالبا بتسجيل التراث الشعبي المصري ، وكتب الاستاذ عاطف النمر مقالا هاجم فيهالادب الشعبي [في عدد فبراير ١٩٥٧ من مجلة الادب المصرية] ثم اجابه في عدد اغسطس في نفس المجلة الاستاذ عبد الحميد يونس مدافعا عن هذا التراث ، وان هذه الـكثـرة من الابحاث ان دلت على شيء فانما هي تدل على اهميـة هذا الادب واستحواذه على مشاعر الكثير من الناس .

وقد قرات للجاحظ قوله : ان كنت سبع فاذهب مع السباع ، وان كنت بهيمة فاسكت عنا سكوت البهائم . ثم علق الجاحظ على ذلك قائلا : ولا تنكر قولي وحكايتي عنه بقول ملحون ، اد قلت : ان كنت سبع ، ولم اقل ان كنت سبعا ، فان الاعراب يفسد نوادر المولدين ، لان سامعالكلام انما اعجبته تلك الصورة وتلك اللغة وتلـك العادة ، فاذا ادخلت حروف الاعراب والتخفيف والتثقيل وحولته الى صورة الفاظ الاعراب الفصحاء انقلبالمعنىوتبدلتصورته .

هذا راي شيخ الادباء العرب في زمانـه ، بالادب الشعبي . ولكن يدعي البعض بان الكتابة باللهجات الدارجة تضعف الروابط القومية ، ومن رايي اننا لو استطعناالتقريب بين هذه اللهجات لراينا كم هي مفيدة في جمع العرب حول ادب شعبي موحد ، يكون لبنة اخرى في بناء القوميـة العربية ، فمثلا ، يقول الشاعر اللبناني :

انشاالله الحلو يكويك مية كـي

ويقول الشاعر العراقي :

الف كي بدليلي موش فـد كي

ومعناه ، في قلبي الف كي وليس كيا واحدا ، اليس بين هذين البيتين الفة واتحاد عـلى الرغم من اختـلاف لهجتيهما .

وكما قلت سابقا : ان هذا الادب مظلوم ، اذ لم يعتد به ، ولهذا لم تتوفر لدي الشواهد ـ من الاقطار العربية ـ لهذه الدراسة الموجزة ، مما اضطرني الى الاكتفاء بالاشعار العراقية . ان الادب الشعبي لم ينحصر داخل نطاق معـين ، بل انه اخذ يتملص من قيود ورواسب كبلته ازمانا طويـلة لـكي يصرخ قائلا :

يمته باجراد البحر تتوخر وعن ساحل البصرة تشلع الانكر

ومعناه : متى تبتعد يا جراد البحر ، ويقصد بـه الاساطيل وتقلع عن ساحل البصرة .

وان . (الطوب احسن لومكياره) والمراد بها : ايهما اشد فتكا : المدفع ام المقيار ـ وهو عبارة عن عصا فـي راسها كرة من قار ـ ان هذا النشيد عم واشتهـر وادى المراد منه اكثر من كثير من القصائد الفصحى التي قيلـت وتقال في ذكريات الثورة العراقية سنة ١٩٢٠

والحقيقة انـه لمن المدهش تمسك بعض المتادبـين بالرموز العربية القديمة والمحافظة عليها محافظة بلغت حد التقديس ، وكانهم ينسـون او يتناسون بان الحياة في تطور وهي تطور معها كل معطياتها الانسانية ، وهذا الشرق ، بتفاعله مع ما يحيط به من امم ، وتاثره بالثقافات الاجنبية، يرى لزاما عليه ان يطور اساليبه ، واستعمال جل ما يجد ، ان لم نقل كله ، بين يديه من اساليب للاتصال بالاخريـن ، وليست دعوتنا هذه عن جهل بالفصحى ، كما يدعيالبعض بل هي محاولة للمشاركة باقصى ما نستطيع لـكي نفهـم الناس ونفهمهم بدورنا .

وانه لمن الغريب حقا ان يصب اعداء الاداب الشعبية جام غضبهم على اللهجة ويتركون الخيال الخلاق الـذي يصنع اجمل الاوصاف ، التي تعم الادب الشعبي ، ويتركون تلك العواطف الرقيقة ، والتجديد المبدع .

انعم النظر قليلا في قول الشاعر :

يا حبيبي كوم يم دجلة الفجـر نختلي ونتمتع بذاك السحـر
يا حبيبي كبـل ما تطلع شمـس لا ولا غـايـب كمـر

ومعناه : قم يا حبيبي الى شاطيء دجلة لكي تتمتع بذلك السحر اللطيف ، قبل ان تبزغ الشمس او يافـل القمر ، تصور هذا الوقت الذي اختاره الشاعر للانفـراد بحبيبه ، فاية شاعرية واية رقة واي خيال .

وقد يدعي البعض بان اللغة الشعبية لغةمائعة منحطة، لانها لغة التكلم العادية ـ كذا ـ وهذا البعض يتهم نفسـه ومعه الجميع بانهم متميعون ، ويصف حياته وحياتهـم وكلامه وكلامهم بالانحطاط ، لا لشيء الا لانهم يتكلمـون بلهجة شعبية غير معربة ...

وقد يظن بنا اننا نريد المحافظة على الادب الشعبي بوضعه الحالي ، اي على ما فيه من هنات ، ولكن كـلا ، فان هذا الادب كبقية الفنون ، بحاجة الى تطور ، وتطور الادب الشعبي يكون برفع مستوى معانيه وافكاره وتهذيب لهجاتـه .

بغـداد — حمدان عبد الامير حمدان

بقلم جورج سالم

العريف حسن

كان النهار على شفا الليل حين عدت الى منزلي في ليلة من ليالي ايلول ، كا نالطقس معتدلا ، وثمة هواء ناعم يداعب جسمي . اجتزت الشوارع العريضة التي تضيئها مصابيح النيون حتى انتهى بي المسير الى حينا الوضيع الضيق بمصباحه الصغير المغبر ، المعلق في اعلى الخشبة البنية الهرمة . سمعت بعض اللجب في الحي وانا اسير متباطئا علىعادتي، ورايت شيئا من الحركة غير المالوفة تنبعث من الدار المنخفضة ذات الباب الخشبي الضيق والغرف الكثيرة في مطلع الحي . فلم اعرهـا التفاتا ، وتابعت سيري حتى انتهيت الىدارنا الصغيرة فولجتها متمهلا .

وبعد هنيهة قصيرة طرقت الباب احدى الجارات ، وعرفت فيما بعد انها من ساكنات الدار المنخفضة الواسعة ، ثم سمعتها تطلب الينا ان نعيرها اناء واسعا لتغلي به الماء . ومن خلال حديثها الموجز المضطرب مع امي ، ادركت ان العريف حسن ، جارها ، قد توفي ، وان الجيران ،انما يستعيرون هذا الاناء ليسخنوا به الماء وليغسلوا من ثم جثمان العريف الميت

ترى ما الذي يربطني بالعريف حسن حتى يثير موته في نفسي شعورا بالكآبة والغم ، ومزيجا من الحزن والدهشة ؟ اهي رهبة الموت الذي جثم بالقرب من منزلي ام ان العريف حسن كائن عزيز علي ؟ الحقيقة ان صلتي بالعريف تكاد تكون ضعيفة ، ومع ذلك فانا احبه .

منذ متى يسكن حينا ؟ لا اعرف بالتحقيق متى جاء ، واغلب الظن انه يحل الحي منذ زمن بعيد ، فاناعرفه مذ كنت صغيرا ادب على حجارة الشارع ، واني لاذكر ان بعض الاولاد رموني ذات مرة بحجرة كبيرةاصابت جبهتي واسالت الدم منها ، فرفعني العريف عن الارضوحملني الى منزلي وعنف الاولاد تعنيفا شديدا ، وارتسم منذ ذلك الحين شكله في ذاكرتي فلم يبرحها ابدا . بل ان شكله نفسه لم يتغير طوال عشرين عاما قطعها

هنا . لباس عسكري اصفر اللون يلفجسما ناحلا طويلا . ووجهاصفر لراس مستدير قد تساقط عنه كل شعره فبانت منه صلعة ملساءتتلامع في النور . وانف طويل حاد . اما اعجب ما في هذا الوجه الجامد فشارب ينحدر فوق الفم بخطين مستقيمين عريضين ، فيشكلان مثلثا اسود اللون يضفي على وجهه مسحة من العبوس والتجهم .

كانت الجارة الملفعة بثوبها الاسود تحادثامي، وهي على عجل منامرها :

ـ لقد توفي فجأة . بينما هو جالس الى طاولته يكتب على عادته مساء كل يوم اذ سمعنا صوتا غريبا ينبعث من غرفته ، فمضى اخي يستطلع حقيقة الامر ، فراى العريف اصفر اللون ، لقد مات كما ينطفيء مصباح نضب زيته . واضافتتقول: مسكين انه وحيد لا اهل له . .

اجل انه وحيد ، لقد كشف لي ذلك مرة .

منذ سنتين ادركت عن طريق المصادفة ان طريقا واحدة تجمعني به صباح كل يوم ، اذ امضي انا الى التجهيز ويؤم هو ثكنته في اعلى المدينة ، قبيل الساعة الثامنة . وترافقنا غير مرة صامتين ، حتى اذا اقتربت من التجهيز حييته وولجت الباحة .

ولكنبعدفترة، وكانالصمت قداثقل قلبه وكاهله تحركت شفتاه قليلا .

ـ ذكرني باسمك ، فانا اعرفك ولا احفظ اسمك

قلت له : سمير . فاجاب وانا اسمي العريف حسن ، ثم قال :

ـ انت طالب في التجهيز ، اليس كذلك ؟

قلت نعم

ـ قال وانت تسعى صباح مساء لكي تحصل على شهادة في نهاية العام تفتح لك ابواب العمل وتيسر لك سبيل المستقبل .

واشرت براسي ان نعم . فاضاف، وكان في كلامه شيء من الالم والمرارة وانا اعمل ايضا صباح مساء ولا اني اعمل ، والفرق بيننا انه ما من مستقبل لي اعمل من اجله .

اذ ذاك تجرات اناساله: وما عملك؟

قال انني اكتب واكتب . انسخ اسماء المجندين على هذا الدفتر ، واشار الى دفتر كبير اسود كان يحمله في يده اليسرى ، ولما كان العمل طويلا والنهار قصيرا فانني احمل عملي معي الى منزلي . انت تعلم ان العمل لا ينتهي وانه الى ذلك لا بد من اتمامه ، اذ كيف نستطيعان نضبط شئون الجندية والمجندينان لم نعن بهم عناية دقيقة : الصور والشرح ونتائج الفحوص الطبية وسوق المجندين وانهاء خدماتهم .انه عمل طويل وانني اعمل من الصباح الى الليل .

وادركت حقا انه يعمل من الصباح الى الليل .

كانت قضية فلسطين ومأساتها ملء اذهان الناس وافئدتهم

ـ ايها العريف ، هل حاربت في فلسطين ؟

ـ او تظنني اعرف من امور الحرب شيئا . ما انا الا كاتب بسيط في الديوان، ولا علم لي البتة بمثل هذه الشؤون . حين اشتعلت النار في فلسطين كنتهنا اكتب . سجلت اسماء المتطوعين واشتركت في تنظيم الفئات . هذا كل ما استطيع عمله، قلت لك انني كاتب ولست جنديا .

ـ وهذه الاشارة على ثوبك ، وهذه البزة العسكرية ؟

واجابني العريف ببطء وبلهجة لا تخلو من اليأس :

ـ ان هي الا امور خارجية . بما انني اعمل في الجيش فقد لزم ان ارتدي لباس الجيش . الا انني لست جنديا ، لست جنديا مع الاسف . انني احمل ادنى مرتبة بين رفاقي . رتبة لا استحقها . وانني اعمل منذ زمن بعيد بعيد .

وفي يوم ما ، وكان الربيع ينتشر فوق الاشجار والطرقات. وفيوجوه الناس وعلى الارض الجامدة قال لي العريف: هل تعتقد ان الحياة جميلة؟

قلت نعم . الا ترى الى هذهالبهجة التي تريم فوق الوجود والتي تدفع الانسان لان يطير ويزقزق كالعصافير فابتسم وقال : ما اعتقدت هذا ابدا ، حتى حين كنت في مثل سنك. كنت

اذ ذاك اعاني الام الحرب الكبرى . وكان العثمانيون يسوموننا سوء العذاب . كنت اعمل في الجيش التركي . فكنت اغسل الموتى وادفنهم بعد ان افتش جيوبهم واجردهـا مما فيها . ولقد خنقتني رائحة الموتى طويلا طويلا . ولم يكن لدي متسع من الوقت استريح فيه . ان الحياة مرة ، ولكنها بسيطة ، بسيطة جدا كهذا الربيع الذي نتحدث عنه .

اما العمل في الجيش الفرنسي فلم يكن ليختلف عن غيره . كنت اوزع المجلات والرسائل ، ولكم تعرضت ـ علم الله ـ لركلات الجنود . ان جزمة من الجزمات قد حفرت بعيدا في جسمي .

ما الحياة ؟ ليست تجاربي كثيرة او غنية .. الا ان طعمها لمر في فمي، هل ذقت طعاما مرا في حياتك ؟ طبعا لم تذقه . ان طعم الحياة كطعم الخبز الذي كنا ناكل في الحرب العظمى .

الحياة بهيجة ما دام لك والدان يرعيانك ، اما انا فقد اباد التيفوس اهلي كلهم جميعا بعد مجاعة عنيفة .

وفي يوم اخير حاولت ان اتطفل على حياة العريف الخاصة . كنت اجتاز فترة المراهقة ، وكانت امور الحب تستولي على مشاعري ، وتستنفد قسما جما من وقتي ، فكنت اهدر الساعات في بناء ابراج من الاحلام ونسج خيوط مغامرات تمتد وتمتد حتى لتنفد الى اعماق الجدران العالية ...

ـ الم تحب فتاة ايها العريف ؟

وخيل الي ان للعريف فتاة يطاردها كما نطارد نحن طالبات التجهيز ، فيقفو خطاها من بعيد حين تخرج من بيتها ، الا انه هز راسه مرات ثم قال :

ـ وهل تحسب ان لدي متسعا من الوقت الفقه في المحبة او انني حصلت عليه ذات يوم . انني اعمل دائما ، لا احب الا العمل ، ولا اسعى الا وراء الارقام .

ـ الوقت ، دائما الوقت ، وما الوقت ؟ ان كاهلنا لينوء به في دروس الرياضيات والجغرافيا فننظر الى ساعاتنا غير مرة، ونرى بمرارة وضيق ان عقارب الساعة تسير وكأن فوقها كتل من الجبال .

ـ عجيب ، ان الوقت عندنا في الثكنة يمر وكأن هناك من يلهب ظهره بالعصا ، لا متسع من الوقت عندي ابد الدهر !

ـ ايها العريف لقد توقف الوقت اخيرا !

وسمعت جلبة من اخر الحي . قالت امي وهي تنظر الي : انهم يخرجون تابوت العريف من الدار . وكلما مات احد في تلك الدار سمعنا مثل هذه الجلبة ، فباب الدار ضيق، وانه لاضيق من ان يتسع لتابوت .

ـ لقد انتهى اذن عملك ايها العريف ولكن هل انتهى العمل في الثكنة ؟ والوحدة ؟ الا تزال تشعر بالوحدة ام انك تغلبت عليها بزواجك من الارض؟

وكان اخر ما سمعت صوت المؤذن العذب يدعو للصلاة على الميت :

« الله يا الله ! »

حلب

جورج سالم

« من الاصدقاء »

صمت الشاعر

غائر في الظلام
يعبر المدى
يقنص العبر
من فم الصدى
من رماد العظام

في دروب الخيال
راح وارتمى
يلصق العمر
في جدار السما
في فراغ المحال

عمره اغنيات
تهدم التخوم
ترسم البشر
قمة ، كالنجوم
في ظلام الحياة

كالنداء السحيق
كالردى ، كالالم
كاحتضار الذكر
في نيوب العدم
صمته المستفيق

صمته كالشراع
يأسر البعيد
والكنوز الاخر
من لهيب الجليد
من بحور الضياع

صمته يا قدر
يبدع الجمال
صمته يا قمر
في ضباب السؤال
هل وانهمر

كمال خير بك

المسخ

ما على الغير لو فتقت جراحي وتعالى في الليل صوت نواحي
وعقرت الشباب والامل الذاوي وعمري في غمرة الاقداح
ما على الغير لو تحطم قيثاري واخرست في الحطام صداحي
فانا الخاسر الوحيد دعوني لجنوني وثورتي ، وجماحي
اتركوني فانني شر من يحيا وشري يسير وفق رياحي
أنا طرح الحياة طرح زناها وصمتني بعارها الفضاح
نبذتني عنها كابرص عيسى بين قوم طهر الجسوم صحاح
حملتني اوزارها وبغاها فعلى منكبي وزر السفاح
أنا مسخ الزمان عبد لاهوائه عبد لذلك السفاح
شوهتني الالام مزقني الكفر ففاحت تناتني من جراحي
أنا خفاش دجنة الليل تعمي ناظري شعشعات ضوء الصباح
فاتركوني لليل للظلمة الدكناء فالليل ملعبي وسراحي
أنا كل المخازي السود جرثومة داء لا ينجلي باللقاح
يكمن الرجس في ردائي واطوي الموبقات الجسام تحت وشاحي
انفث السم في لهاثي فنفث السم بعض من لذتي ومراحي
أنا كهف للناقصات عميق الغور داج وصحوتي مفتاحي
خزنت بي الايام كل قبيح في زماني وكل غير مباح
أيها العاقلون لا تقربوا الكهف بفوح الخنا وأي فواح
كلكم طاهرون يا اشرف النسل كطهر الندى بكم الاقاحي
كلكم طاهرون بيض الايادي انقياء القلوب كالارواح
كلكم طاهرون نصع السريرات كماء من الغدير قراح
كل ما في الدنى طهور سوى عانٍ ، شقي ، مكبل ، ملتاح
بيد اني أحس بعض بقايا من شعور تثور تحت جناحي
فالى الحان اخطف الخطوَ اطفي لاعج الحس في حباب الراح
أترع الكأس تلو اخرى واخرى لكأني مع الطلا في كفاح
أنهر الساقي النحيل اذا ما خلت الكأس من رحيق انشراحي
« هيه يا انت • يا فتى • يا كسول الخطو • عفوا يا منيتي • يا صاح
انا صاح على حقيقة أمري لا تدعني وحق ربك صاح
كيف غابت ؟ اسرع بها • ارنيها ، تتجلى بنورها الوضاح
لا تقل اكثر الشراب فلم اكثر وزيت الحياة في مصباحي
أنا للموت تائق هات لي الكأس وعجل الى الفنا برواحي

ميشال عون



رسـائـل التعليقـات

لمعروف الرصافي – الطبعة الثانية – ٢٤٧ صفحة – قام بنشرها عبدصالح مطابع دار ريحاني للطباعة والنشر ببيروت

●

لقد ترك المرحوم معروف الرصافي ذخيرة نثرية الى جنب ذخيرته الشعرية المتمثلة في ديوانه الفخم . ومن هذه الذخيرة النثرية ما اجده امامي الان وهو رسائل التعليقات في طبعتها الثانية . واهمية هذه الرسائل في نظري هي انها تبين قيمة الرصافي كباحث ومفكر ومعلق. فهي تعليقات على ثلاثة كتب هي كتاب « التصوف الاسلامي » للدكتور زكي مبارك وكتاب « النثر الفني » للمؤلف ذاته وكتاب « تاريخ الاسلام » للامير الايطالي ليو كاتياني ، لذلك فقد جمع الكتاب بين الفلسفة والادب والتاريخ . فاذا بالرصافي في مضامينه صوفي مطلع على دقائق التصوف واديب ناقد ومؤرخ من الطراز الاول . وهو رجل منصف لا يبخس الناس اشياءهم فهو حين ينتقد كتاب « التصوف الاسلامي » لزكي مبارك لا يتردد في ان يقول « انه اول كتاب من نوعه يناقش مذهب التصوف مناقشة علمية تاريخية » (ص١٣) ويؤكد الرصافي في رسالته الاولى انه مؤمن بوحدة الوجود ايمانا مطلقا وان محمد (صلعم) جاء بحقيقتين ناصعتين هما وحدة الاله ووحدة الوجود ويبرهن على ذلك بالايات القرآنية التي تمت الى هذين الموضوعين بصلة ويرمي الحلاج بالكفر حين يتذرع بوحدة الوجود فيقول « انا الله » وذلك لان « انا » جزئية المدلول والله كلي الوجود (ص ١٨) ويتبسط الرصافي في هذا الموضوع ليدحض قول زكي مبارك « ان القول بوحدة الوجود ليس الا شطحة صوفية »

وفي رأيي ان امتع رسالة بين هذه الرسائل الثلاث هي الرسالة الثانية في الرد على الدكتور زكي مبارك فهي تمثل اصطراع شخصيتين ادبيتين تتحزب احداهما للشعر والاخرى للنثر . وتعصب الرصافي للشعر على النثر ليس جديدا فقد لمست بعض آثاره في كتابه : « دروس في اداب اللغة العربية » وها هو قد بدا صريحا واضحا في رسائل التعليقات وليسمح لي القاريء بان اقول انني الى جنب الدكتور زكي مبارك في هذا الشان رغم روعة طريقة الرصافي في الرد عليه فالرصافي قد ضيق معنى الشعر الى اقصى حدود التضييق وهذا هو الذي منعه من ابتداع بحور واساليب شعرية جديدة بل ومنعه من الكتابة باسلوب النثر الفني المقارب للشعر مع انه كان شاعرا فحلا وكان بامكانه ان ينقل شيئا من الخصائص الشعرية الى نثره ولكنه لم يفعل فبقي نثره نثرا اعتياديا صرفا ذلك لانه لم يعترف الا بوجود صنفين من الكلام الشعر الصرف والنثر الصرف وانكر كل ما بينهما من الالوان الاخرى التي هي مزاج من هذا وذاك بنسب متفاوتة . وقد دعته هذه الفكرة الضيقة الى ان ينكر حتى الشعر المنثور فقال « اما ما يدعيه بعضهم من الشعر المنثور في هذا العصر فتوسع منهم في معنى الشعر وخروج عن معناه الصحيح لان الشعر لا يكون شعرا الا بالانشاد (كذا) والانشاد لا يكون الا بالوزن وليس الوزن الا توازنا وتقابلا في الحركات والسكنات التي تنطبق على توقيع الالحان في الغناء » (ص ١٠١) .

هذا تعريف عجيب للشعر لم يسبق اليه نقاد الشعر في العالم . انا لا اقول ان الرصافي مخطيء . وانما اقول ان تعريفه هذا لا ينطبق الا على لون واحد من الوان الشعر وهو ما يعرف عند الغربيين بالشعر اللايريكي او الغنائي فهناك كثير من الشعر في الشرق والغرب مما لا يصلح للغناء بحال. ومعذلكفهو شعر – انه شعر غير مغنى الا انه شعر باوزانه ومعانيه وقوافيه .

ويتجلى تعصب الرصافي للشعر في دورته عندما يقول « اما القصة بالشعر اولى بها من النثر » ويضرب لنا امثلة على ذلك من قصة : « تأبط شرا مع الغول » و« الفرزدق مع الذئب » و « شاهنامة الفردوسي » وينسى انه عندما يذكر هذه الامثلة لا يغرب لنا مثالا واحدا عن القصة الفنية الحديثة فكل ما اورده مجرد حكايات لا قصص فنية اطلاقا . ولو كان ما قاله الرصافي صحيحا لما هجر الغربيون الشعر القصصي الىالنثر القصصي واعلنوا ان النثر اكثر صلاحا للقصة من الشعر الى حد بعيد.

على ان الرصافي لغوي بارع فقد اخذ الدكتور مثلا على استعماله الكاف الجارة مع لفظة « فـن » فقال « واذا كانت هذه الجملة في كلام الدكتور معترضة لزم ان يعبر عن المعنى المراد منها بواو الاعتراض فيقال هكذا « والشعر وهو فن » اما قوله « والشعر كفن » فكلام تنبو عنه العربية الفصحى اذ لا معنى للكاف الجارة هنا ... » (ص١٠٣ الهامش).

ولحسن الحظ ان الدكتور وقع في هذا الخطا الذي هو من أثر اللغات الافرنجية في اسلوبه ذلك لانها اثارت في الرسائل روح النثرالفني فكتب اجمل ما في كتبه من نثر فني قصصي (ص ١٠٣ – ١٠٦) لا اتمالك نفسي من الاستشهاد بقطعة منه . يقول الرصافي :

« ليس الشعر كفنا ... بل هو ثوب سندسي من طراز الفكر والخيال موشى بالوان الوحي والالهام مرصع بجواهر البيان لا تلبسه الا الغواني من المعاني ... وليست نجوم المجرة الا من اوكاره ولا نغمات الموسيقى الا من اوتاره ولا حبات القلوب الا من لقطه ولا فرائد البيان الا من سقطه ...

وكيف يكون الشعر كفنا وهو الذي شق اكفان الموتى وبعثهم من مراقدهم احياء حياة خالدة يخالطون فيها الخاصة والعامة من الناس يحادثونهم في مجتمعاتهم ويوم حفلهم وفي اعراسهم ومآتمهم وليسكذلك الكتاب فلا تسمع لهم حسا ولا جرسا الا قليلا عند بعض الناس منخاصتهم

وهذا المعري هو الان جليس وانيس يناجيني واناجيه فيوسعني انسا ويكلمني همسا » ... ثم يسرد قصة خيالية له مع المعري يرد فيها باخرى مع ابي نواس .

اما الرسالة الثالثة والاخيرة فيتجلى فيها مدى تعمق الرصافي في دراسة السيرة المحمدية الى درجة انه اصبح حجة يستطيع الرد على علامة مثل ليوكايتاني بردود علمية دامغة . على ان الذي نؤاخذ الرصافي عليه ان يختم كل رد بعبارة تهكم او سخرية تكاد تشوه جمال الرد فمن ذلك قوله مثلا « فانظر الى هذا العالم المستشرق والى قلة تبصره في الكلام عن المسائل التاريخية كيف يغلط هذه الغلطة المنكرة ... » – ان هذه العبارات مفهومة من سياق دحض الرصافي لراي كايتاني فلا حاجة لايرادها بمثل هذه الصراحة وكان الافضل ان تبقى مفهومة في ذهن القاريء بصورة ضمنية . ولعل مثل هذه العبارات محتملة بعض الشيء ولكننا لا نراها مقبولة ولا مستساغة عندما تصبح من نمط العبارة الاتية مثلا : « فقبح الله العلم اذا كان يقود صاحبه الى هذه الرعونة » (ص ١٣١) .

على ان الرصافي يحاول احيانا ان يحمل المترجم وزر المؤلف فيقول في شبه دفاع عن كايتاني : « ولكننا لا نؤاخذه على هذا الاستعمال اذ

لاشاحة في الاصطلاح ولعل هذا الخطا من المترجم التركي لا من المؤلف فاني لا احسن اللغة الايطالية حتى ارجع في تحقيق ذلك الى عبارة المؤلف باللغة الايطالية » (ص ١٤٢) .

وباعتقادي ان خير خدمة يمكن اسداؤها للعلم هي ان تترجم هذه التعليقات التاريخية الى اللغة الايطالية وتطبع كهوامش وحواشي للطبعات القادمة من كتاب كايتاني في تعليقات رجل منصف غير متحامل بل تعليقات معجب لا يتردد في اخر الرسالة من ان يقول : « وهو والحق يقال كتاب جليل يستمد مباحثه من مصادر كثيرة قديمة وحديثة لا يتيسر الحصول عليها لكل احد ولا اكتم اني به من المعجبين المعترفين له بالفضل وسعة الاطلاع وبراعة التمحيص والتحقيق وتدقيق في المسائل العلمية ولا اواخذه الا بتسرعه احيانا في الحكم واخذه بالظن في مسائل يجب التحقيق وتدقيق النظر فيها قبل البت بالحكم عليها ...» (ص ٢١٠) .

ويتمنى الرصافي – كما تمنى كايتاني – ظهور شخصية عظيمة في الاسلام كشخصية سان بول لاخراج هذا الدين من حيز الجمود والرجعية (ص ٢١١) .

وفي هذه الرسالة الثالثة والاخيرة يمكن دراسة شخصية الرصافي كمترجم فقد ترجم بين حين واخر شذرات من كتاب كايتاني للاستشهاد بها والرد عليها وهي في الحقيقة ترجمات غير مباشرة اذ ان اللغة التركية تقف حاجزا بينه وبين النص الايطالي . مع ذلك فترجمات من النوع « المعنوي » الذي لا يتقيد باللفظ الاصلي الا بمقدار ما تقتضيه الضرورة دون اي تصرف .

وحسنا فعل ناشرو الكتاب اذ اضافوا اليه الردود التي قوبلت بها الطبعة الاولى مع اجوبة الرصافي عليها وقد صرع فيها الشاعر الكبير بشكل لا يقبل الجدل انه ليس من المتصوفة رغم ايمانه بوحدة الوجود (ص ٢٢٨ – ٢٢٩) وتطرق فيها الى اختلاف علماء الاسلام في القرآن هل هو المعنى او المعنى واللفظ معا وكيف ان الامام ابا حنيفة اجاز قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة (ص ٢٤٢ – ٢٤٣) فظهر في اجوبته هذه مثال المجادل المنطقي الذي يتحاشى البذاءة والسباب « في حومة لا يخرج منها الغالب الا وهو اذم من المغلوب » على حد قوله هو ...

بغداد — صفاء خلوصي

من لا شيء

لخليل رامز سركيس – ١٦٤ صفحة – منشورات الندوة اللبنانية – مطابع دار الاحد ببيروت

●

ليس التقديم لهذا الكتاب – على صغره – بالامر الهين . واني كلما نظرت فيه زادت حيرتي في تصديره . فما اشبهني بطبيب العيون لا يفوته من دقائقها شيء ، ويستعصي عليه وصفها كلما امعن في التقصي وابعد في الدرس .

وبين العين وهذا المؤلف مشابه ، منها صغر الحجم ، فان الحدقة التي في مثل جرم الزمردة لتسع الافق العريض ، ومن ورائه عمود الصبح الاشقر الذوائب ، فتكتمل بالمباهج وتلملم حواشي الحسن . كل ذلك يتم في لفتة يسمونها ارتداد الطرف ، او دورة المحجر ، يقابلهما في مقامنا هذا ومضة الريشة او خلجة القلم .

ومنها الاحكام المعجيب في تركيب الة البصر ، فانها نسجت على غير منوال ، ودقت في غير هزال ، فحبكت باعصاب انعم من الخيوط الحرير . فمن حقها ان تستوقف الحكيم كما تستوقف الرسام حمرة الشفق ، والموسيقي عندلة العنادل . وليس الجمال موضوعا جامدا كتمثال موسى ، ولكنه تفاعل بين موضوع وذات ، ولولا ذلك لمات ميكلانج وعفى الزمن ريشة صاحب الجوكوندة .

ومنها العمق وهو الذي يسمونه بعد النظر او سداد الراي . فتظهر بهذه التسمية صلة القربى ما بين البصر والبصيرة . والعمق ، كما تعلم ، اهم الابعاد الثلاثة ، فسواد العين كالدجى يذكر باللانهاية ، وزرقتها تخطر على البال صحو السماء . وكذلك القول في الريشة العميقة واليراع الصاحي ، فما الصفاء بوقف على عين الديك .

ومنها الدمعة المنثورة وهل اجل شهادة للانسان بانسانيته ، واحدى خصائصه التي تحتل مقام الصدارة بعد النطق وتقدم على ميزة الضحك . فقد يكون انسانا من يجهل الابتسام ، اما الادمي الذي لم يشرفه الدمع فابحث له عن نوع اخر تدرجه فيه .

ومنها فتنة العين التي تطلع من لا شيء فكانها وعنوان هذا الكتاب توأمان او حبيبان يلتقيان على غير موعد .

اراني بلفت المتن وان كنت لم اتناول سوى الحاشية . فالحديث عن العين حديث عن مؤلفنا هذا ، ولقد اخترتها لانها انفس الاعضاء ، فهي مطل الانس ومفتاح الضياء ، فان « من لا شيء » لعلى اشياء قلما تعرفها ادبنا قبلا ، من حيث تمرس خليل رامز سركيس بافعال الايمان والخلق والمحبة تقربا من حقيقة الوجود ، وتطلعا الى ما فيه من معطيات لا معنى للحياة بدونها .

و « من لا شيء » ، فضلا عما بين دفتيه من عمق شفاف وعدا كونه مدرسة في النهج والاسلوب ، آيته انه يطرح اسئلة هي بنفسها اجوبة عن اسئلة تقدمتها ، ثم يسوق اجوبة هي بنفسها اسئلة لاجوبة سابقة لها . فنحن هنا مع انسان مشغول باستجلاء مصيره ، وبتحديد علاقة عقله

بنظام الطبيعة والكون . ذلك للوشائج التي تشد هـذا الـكتاب الى الاختبارات الشخصية الحميمة ، وتصله بتفاعل الحضارات من تالـد وطريف ، ثم ترقى به الى المستوى الانساني العام .

وعندي ان « من لا شيء » لمن المؤلفات العربية القليلة التي بهـا يؤرخ أدبنا المعاصر على الصعيد العالمي ، مرورا باقليمنا اللبناني اول الامر. فالقارىء هو اذن حيال اديب فذ ، قلمه قطعة من نفسه ، وانتاجه بضعة من روحه يشترك فيها العقل والقلب والمشاعر جميعا .

لقد سعدنا برامزين هما : ابو الخليل رامز الكبير الذي لا ينسينا الموت ذكره ، وحفيده . كما سعد الادب بخليلين هما : ابو رامز خليل الجد ، وحفيده مؤلف « من لا شيء » . فاعتز لواء المعرفة تداولونه ـ آل سركيس ـ كابرا عن كابر كما توارثون الاسماء . ولئن تبدلت الاوجـه على الصحائف واختلفت الايدي على الاقلام ، فانما المعدن واحد .

بولس سلامـه

ن ... والاخريـات

لغازي الكيلاني ـ شعر ـ ١٢٢ صفحة ـ قطع صغير ـ
مطابع الشركة الشرقيـة بغـداد

●

لا ريب ان بعض قراء الاديب قـد يذكرون الشاعر الشاب غـازي الـكيلاني ، صاحب قصيدة « عاشق يسافر بلا وداع » فـي عدد نوفمبر ١٩٥٤ . والاخ غازي يتمتع بموهبة شعرية جميلة ، وبعفوية وبساطة . ولعل القصائد الوجدانية تكشف لنا هذا الرأي ، وتكشف لنا ايضا عواطف وآمال واحلام الشاعر . على ان اهم ما يميز شعر غـازي هو الصراحة والاخلاص للواقع ، فهو لا يريد مطلقا ان يزيف من الواقـع شيئا ، او يغير من التجربة المعاناة كما يفعل فريق كبير من شعراء الشباب، ولهذا فقدجاءت قصائده منطوية على كثير من الوقائع والصدق الـذي يرى البعض في نشره وقوله مخالفة للتقاليد .

على ان الصدق والصراحة والاخلاص للتجربة المعاناة ، اهم مـا يطلب من الشاعر الحديث ، وهذا ما يحققه غازي في قصائده الوجدانية خاصة .

وقصائد غازي الوجدانية تتصف بصفتين واضحتين ، فهي امـا حزينة باكية ، واما متفائلة فرحة . والقصائد الحزينة الباكية قد غزلت حروفها بعد ذهاب آماله في حبيبته « ن... » التي تركته نهبا للاسـى والحزن والدمع :

هـذا أنا ابـكي فـلا تجزعي ... احس بؤس الـكون في أضلعي
في خاطري من ذكريات الهوى ... مذابـح ترتـج في مسمعـي
ذوبت حتى الصخر من انتي ... وانت ـ أنت الورد ـ لم تسمعي
أرنـو الى عينيك في حسرة ... وانطوي مكفكفا ادمعـي

وهذه القصائد تعبر في عنف وحرقة عن شعور الشاعر بذهـاب الامال ، وبالضياع والالم . وهو لا يفتأ يردد في هذا اللون من شعـره الايام الجميلة التي مر بها عندما كان غرامه دفاقا قويا ، كما انه يذكـر ايام البكاء والتحيب والضياع ، بحرقة عنيفة والم حاد :

يا الهـي انـا بكينا عليهـا ... وقطفنا العـذاب من وجنتيهـا
وسهرنـا الليل الطويـل ومتنا ... كالعصافير في شراك يديهـا
وحرقنـا دموعنا كلمـا مـرت ... تغنـي الاحـلام في عينيهـا

وفي خلال هذه القصائد يعرج الشاعر على كثير من المواطن التي يبين فيها آراءه في الحياة وما فيها من الم وفرح . فهو يثور بشـدة ضد التقاليد البالية التي تمنع الشباب من اللقاء والوصال ، وهذا الامر مرتبط ارتباطا وثيقا بشخصية الشاعر ، اذ انه يرى في وجود الجمال عند الانسان مبررا لضرورة الاتصال بين الجنسين . على ان الشاعر لا يقدم لنا اسباب اعتقاده هذا ، ونحن نعتقد ان هذا الامر لا تحله بضعـة أبيات شعرية مربوطة بذاتية الشاعر وبنظرته الخاصة . ومن امثـال هذه النظرات المقصورة على الاراء ما يثير خلافا بيننا وبينه ، خاصـة اعتقاده عن الشاعر ، فهو اعتقاد يثير علاقة الشاعر بالانسان :

نحن قوم خبزنا ورد الشفاه
وليالي شوقنـا غيمة آه

والذي نريد ان نقوله بهذه المناسبة ، ان الشاعر لم يعد ذلـك الانسان الذي يبكي على الاطلال والحبيبة فقط ، لان علاقته بالاخريـن اصبحت قوية ، فهو والحالة هذه اصبح بشرا اعتياديا .

اما قصائد الشاعر الوجدانية الفرحة ، فهي تقدم لنا عطاءا موسيقيـا طيبا . وان الذي يتعمق في قراءة هذا اللون من الشعر عند غازي يراه قد وفق في غزل الحروف وتجسيد الصورة فيها . ومن قصـائد غازي الجميلة في هذا الباب ، القصيدة الاولى في الديوان ـ غيرة ـ حيث يغني:

حبيبتي انقـى مـن الـورد ... وثغرها احلى مـن الشهـد
لو لامست ريح الصبا خدها ... لمـزقـت اصـابعـي خـدي
ولو رنـا الناس الى حسنهـا ... لمـت مـن هـم ومن سهـد
يا ورد لا يغررك عطـر الشذى ... فليس احلى مـن شذى وردي

كما ان قصائد « اقصوصة الزنبقة . العصفورة الحمراء . عاشـق يسافر بلا وداع . ن والقمر . حبيبتي . أصدقائي » ، تتمتع بنفـس العطاء الموسيقي الطيب الذي نجده في « غيرة » .

أما قصائد « قلم ومنديل وحقيبة . فتاة من بغداد . قمر وفتيات وجوع . ومراهقة » التي اراد الشاعر بها ان يقلد نزار قباني في معالجته لبعض المشاكل الاجتماعية ، فلا اظنه قد وفق في ذلك ، لان هذا اللون من الشعر لم ينضج بعد عند غازي ، على ان الامل كبير بنجاحه في هـذا المضمار اذا واصل التجربة والدراسة باخلاص وعمق .

ان ما يتبقى لدينا الان هو بعض الملاحظات الموجزة ، منها قـول الشاعر في « اغنية للوداع ـ ص ٣٦ » : رفيقات عمري ... ساذكركن فلا تنكروني

والصحيح : فلا تنكرني . وقوله في « مراهقة ـ ص ١٠٢ » :

يرقص العطر في ثنيات ثوبي ... بينما يجرح الهـوى شفتايـا

والصحيح : شفتيا . ونجد في « عرس الدم ـ ص ٥٨ » هذا المقطع الجامـد :

لنتركها ... فهي جذلى
تفجر حسنا وتخطر تيها
بخطيبها ذلك النذل
يمتص من شفتيها
دماؤك انت ، فكف البكاء عليها

وبعد ، فاننا نترقب المجموعة القادمة للشاعر غازي ، آملين ان يتلافى الاخطاء التي وقع فيها في مجموعته البكر ، املين انها سترتبط بالموضوعية اكثر من ارتباطها بالذاتية .

الحلة ـ العراق

علـي الحسينـي

كانديد او المتفائل

تاليف فولتير – ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة – ١١٦ صفحة – مطبعة الجامعة ببغداد

●

اذا اردت ان اطلق صفة واحدة تكون جامعة لكل ما ورد في هذا الكتاب ، فبامكاني ان اعبر عنها بكلمة (فظيع) ، وانا على يقين من اني قد اصبت كبد الحقيقة . فالكتاب فظيع بحوادثه .... فظيع بعباراته ... فظيع بمعالجاته للامور ...

وعلى سبيل المثل لفظاعة الحوادث ، استشهد بما جاء في هذا الكتاب عن محاكمات محاكم التفتيش . فهي كانت تحكم بالموت على اشخاص لم يرتكبوا جناية توجب هذه العقوبة ، وانما جرى الحكم عليهم لارضاء الطبيعة كي تبطل الزلازل والعواصف (ص ٤٤) .

وكذلك في ما حدث عندما سطا القراصنة على احدى السفن،وبدأوا يبحثون فيها . فكانوا يضعون ايديهم في مكان هو اقدس ما تمتلكه الفتاة، وذلك بحثا عن المجوهرات (ص ٦٢) .

اما فظاعة العبارات فتتلخص في كيفية وضع السخرية من الانظمة المرعية في عصر المؤلف موضعها اللائق ، بحيث يتقزز القارىء ويتالم مما كان يعانيه ابناء ذلك الجيل.واليك على سبيل المثل لا الحصر بعضاماورد:

ففي الصفحة (١.٧) نجد وصفا مختصرا لما كان يعانيه العبيد على آيدي اسيادهم . فنجد المؤلف يقول على لسان الزنجي الذي اجاب على سؤال كانديد قائلا « ... انهم يعطوننا زوجا من السراويل القطنية طوال السنة ، وهذا كل غطائنا وكسائنا . وحين نعمل في مزارع السكر قد يصادف مرة ان تقرض اناملنا ، عندئذ يقطعون يدنا . وعندما نريد الفرار يبترون رجلنا . وقد جرت لي هاتان الحادثتان . وعلى نفقة هذه الاحوال تاكلون السكر في اوربا ... » .

اما اذا انتقلنا الى الفظاعة في معالجات الامور فيمكن تلخيصها بمعالجات الفيلسوف (بانفلوس) الدعي البليد الذي كان يقول « انه ليس بالامكان احسن مما كان ، بدليل انه ليس في الدنيا احسن من قلعة تندرتين .» فكان فولتير يأتينا في كتابه بافظع الحوادث واقساها ، منددا بتلك الفكرة التي كانت سائدة عند بعض المتحذلقين .

هذا بعض مما يمكن ان يقال عن الكتاب . اما المؤلف فهو غني عن التعريف . انه فولتير الذي وصفه المترجم في مقدمة الكتاب بقوله (رائد التفكير الحر) . فهو يشرح المواقف باسلوب ساخر ، وعبارات بسيطة ولكنها لاذعة . انه ناقد حاذق يعرف موطن الداء ، ويضرب على الوتر الحساس كما يقول المثل . ولست اظنني بحاجة الى الاستشهاد بعبارات من كتابه موضوع البحث . فالكتاب كله سخريات لاذعة، واقوال جريئة .

وكذلك فالمترجم متمكن من فنه ، في ناحيتي اللغة والاسلوب . وقد سبق له ان اتحفنا ببعض الكتب المترجمة ، فنال عليها استحسانا يغبط عليه . وها هوذا اليوم يتحفنا بهذه الرائعة الخالدة ، التي كانت تفتقر اليها المكتبات العربية .

غير ان لي ملاحظة وددت ان اهمس بها في اذن المترجم . وهي ان مثل هذا الكتاب ، يجدر به ان يطبع على ورق صقيل ابيض ، وليس على ورق جرائد . كما انه كان يجب ان يطبع في احدى مطابع اللينوتايب فنتخلص من جدول الخطأ والصواب الملحق بالكتاب .

بغداد **يوسف عجاج**

أنا عاطل وقصص اخرى

لباسم عبد الحميد حمودي – ٤٠ صفحة – منشورات دار الابتهاج بغداد مطبعة السباب ببغداد

●

من المفاهيم البسيطة الثابتة ، في فن القصة ، ان القاص عندما يجد في نفسه ، رغبة صادقة ، في كتابة قصة معينة ، فانه يمر بمرحلتين هامتين مترابطتين ، هما مرحلتا اختيار الموضوع ، وطريقة التعبير . فان المؤلف استنادا الى هذا المفهوم ، يبحث اولا عن موضوع معين ، يستقيه غالبا من الواقع ، وبعد ان يجده ، ينبغي له ، ان يكشفه وان يربط بين اجزائه باحكام ، ويعين اشخاصه باتقان . كل ذلك يتم داخل ذهن القاص ، ومن ثم يبدأ هذا في التعبير عن ذاك الموضوع ، باسلوب متناسق فني ، وهو ما يسمى بالتقنية ، ويراد بها صياغة الموضوع المخزون في باطن المؤلف ، بشكل فني ، يلائم قيم الموضوع ومعطياته .

بعد ذلك ، وقبل ان نتناول المجموعة بالنقد ، نرى من المفيد لنا ان نوضح مفهوما اخرا شائعا ، له اهميته الجلية ، وعطاؤه الفياض ، وهو ان القصة الناجحة المؤثرة ، هي التي تنبع عن وعي ذاتي خير ، وتجربة شخصية معاناة ، ذلك ان القاص الواعي المجرب ، يكون ملما بتفاصيل الحادثة واحاسيس ابطالها ، وقيمهم المادية والمعنوية ، ومطلعا على المؤثرات التي تؤثر فيهم ، والتفاعلات التي تحدث بينهم وبين البيئة التي تحيط بهم .

وعلى ضوء هذه المقدمة ، أقول ان مجموعة الاخ باسم عبد الحميد حمودي ، الاولى الموسومة ب « أنا عاطل » تحمل بين جناحيها ، علائم الضعف وعدم النضوج ، فهي تفتقر افتقارا كليا الى تللك المفاهيم التي اوضحنا . وانا اسف ان اقول ان هذه المجموعة التي تحوي اثنتي عشره قصة ، اغلبها ان لم تكن كلها ، بلا فكرة او موضوع ، كامل الجوانب ناضج المضمون ، واضح الاسلوب ، له تاثيره الشعوري في نفس القارىء ذلك ان الاخ باسم حمودي ، يجتاز في بعض قصصه « جمعة ، مال ياصف ، عادت فتاة ، البطاقة الاخيرة » المرحلة الاولى في بناء القصة ، وهي مرحلة الفكرة او الموضوع المختمر الناضج ، وهذه المرحلة اذا انعدمت في كتابة القصة ، فان هذه الاخيرة ، تخرج مفككة ، متحللة ، تعوزها الركائز الصلبة ، التي تساعد البناء على الصمود في معترك الحياة الصاخب . وفي بعض قصصه (انا عاطل ، مفلس) يحس القارىء بقيمة الموضوع الذي يتناوله الاخ باسم ، من صميم واقعنا العراقي ، الا ان المؤلف يضيعه بين تيار اسلوبه التقريري الممل .

ولتوضيح ما قلنا ، أقدم الى القراء ، عرضا لبعض قصص المجموعة التي يدعي المؤلف انه « بذل فيها عصارة افكاره ، ودم قلبه ، وانهليحس كالمراة الحبلى التي حان يومها ، وقاربت الولادة ... فلتلد ، وليكن المولود ما يكون ... مشوها أعرج صحيحا ، انه أبنها رغم كل شيء ... وان كتابه وليده ، رغم كل شيء ، فليظهر الى الناس ، وليحدث بعد ذلك الطوفان ... وهكذا كان » . هذا هو شعور المؤلف نحو كتابهالذي بين يدينا ، وقد عبر لنا ، عن هذا الشعور الاصراري ، في قصته « قلق » وهو قلق الاخ باسم نفسه ، الذي أحس به ، عندما علق اعلانا على جدار كليته ، عن مجموعته هذه ، بين صخب الطلاب والطالبات ، وتعليقاتهم اللاذعة . ويشم من هذا القلق المفتعل ، اصرار المؤلف على اصدار مجموعته في هذا الوقت بالذات ، وقبل اوان نضوجها ، وتقويماعوجاجها.

و « المحروم » قصة في مذكرات حاول فيها المؤلف سرد سلسلةمن الحوادث الاجتماعية الجانبية ، سردا مملا مسهبا ، مشحونا بفيض من افكاره الشخصية في « فن القصة » والقضايا الاجتماعية الاعتيادية ، مما



● آثام – مجموعة قصص – لمحمد بسيم الذويب – تقديم منير القاضي رئيس المجمع العلمي العراقي – ١٠٤ صفحة – حجم كبير – مطبعة العاني ببغداد .

● في بورت سعيد وقصص اخرى – لمحمود سعيد – ٤٨ صفحة – دار الازمنة للطبع والنشر ببغداد – مطابع الشركة الشرقية للطباعة والاعلان المحدودة ببغداد .

● رسالة الوداع – محاولة – لمحمد فتح‌الله – ٢٥٦ صفحة – مطابع دار الكشاف ببيروت

● وراء الافق – مسرحية ذات ثلاثة فصول – تاليف يوجين اونيل – ترجمة سامي ناشد عبد السيد – مراجعة حسن محمود – تقديم توفيق الحكيم – الكتاب الاول من سلسلة : من ادب المسرح – ١٢٦ صفحة – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر – الناشر مكتبة الانجلو المصرية المصرية [؟] – مطبعة مصر [؟]

● داخل افريقيا – الجزء الاول – تاليف جون جنتر – اشراف ومراجعة وتقديم حسن جلال العروسي المحامي – ٣٠٦ صفحة – حجم كبير – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك – الناشر مكتبة الانجلو المصرية [؟] – مطبعة مصر [؟] .

● المأساة المجرية – تاليف بيتر فراير – ترجمة فتحي سالم شراب – ١٦٨ صفحة – مع صور فوتوغرافية – الغلاف من وضع دار الفن ببيروت – مطبعة دار الكتب بيروت .

● انا والشيوعية اختبارات ودراسات – لفتحي سالم شراب – ٢٢٤ صفحة – مع صور فوتوغرافية – الغلاف من وضع جبران يوسف – الدار العالمية للطباعة والنشر ببيروت .

● رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء – سلسلة تراث العرب – المجلد الثالث : الجسمانيات الطبيعيات والنفسانيات العقليات – في ثلاثة اجزاء – ١٦٠ صفحة كل من الجزء الاول والجزء الثاني و٢٢٤ صفحة الجزء الثالث – منشورات وطبع دار صادر دار بيروت للطباعة والنشر بيروت .

● محاضرات الموسم الثقافي الثالث ١٣٧٦ هـ ١٩٥٧ م لمعارف الكويت – ٢٩٠ صفحة – حجم كبير – مطبعة حكومة الكويت

● من لا شيء – لخليل رامز سركيس – تقديم بولس سلامة – ١٦٤ صفحة – منشورات الندوة اللبنانية – مطابع دار الاحد بيروت

● ماركس والخلق دراسة تحليلية للفكر الماركسي – لطلال الجرجس – ١٢٠ صفحة – منشورات دار الصراع الفكري [؟] – مطابع لبنان بيروت

● المطرب في اشعار اهل المغرب – تاليف ابن دحيه – تحقيق مصطفى عوض الكريم – ٢٦٧ صفحة – حجم كبير – مطبوعات جامعة الخرطوم ، كلية الاداب ، قسم اللغة العربية – مطبعة مصر بالخرطوم السودان .

● ادونيس ، دراسة الاساطير والاديان الشرقية القديمة – تاليف جيمز فريزر – ترجمة جبرا ابراهيم جبرا – ١٨٢ صفحة – الغلاف بريشة جواد سليم – منشورات دار الصراع الفكري بيروت – [لم يذكر اسم المطبعة] .

● رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء – سلسلة تراث العرب – المجلد الرابع ، العلوم الناموسية الالهية والشرعية الدينية – في ثلاثة اجزاء – ١٦٠ صفحة كل من الجزء الاول والجزء الثاني و١٥٢ صفحة الجزء الثالث – منشورات وطبع دار صادر دار بيروت للطباعة والنشر بيروت .

● مطبعة حكومة الكويت : تقرير عن اعمالها منذ افتتاحها في ١٥ اكتوبر ١٩٥٦ لغاية ١٤ اكتوبر ١٩٥٧ – مع مقدمة من رئيس دائرة المطبوعات والنشر – ٥٦ صفحة – حجم كبير – منشورات دائرة المطبوعات والنشر – مطبعة حكومة الكويت .

● رفقا بالانسان – قصص من الحياة – تاليف حيدر محمود – ٦٠ صفحة – مطبعة الجامعة ببغداد ..

● تاريخ الادب الروسي – تاليف مارسيل اهرار استاذة الادب الروسي في جامعة ليون بفرنسا – ١٣٢ صفحة – منشورات عويدات بيروت – مطبعة قلفاط بيروت

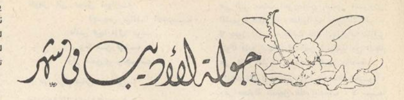
يجعلنا نحس ، ان بطل القصة « مالك » مطمور الملامح ، باهت السمات .. اني لاعجب واتساءل : ما الذي يدعو المؤلف المحترم الى الاسراع في رواية الحوادث ، دون ان يقف عندها متاملا متحللا ؟ ترى اكان يود التخلص من عمل ممل مضايق باسرع وقت ممكن ؟

لقد كان بامكان الاخ باسم ، ان يكشف لنا ، حوادث هذه القصة ، بلحظات زمنية معينة ، ليبعد عنها تلك الحوادث الجزئية التي تفسد القصة القصيرة ، وتفقدها قيمتها الفنية والموضوعية . وقد حاول المؤلف ايجاد مبرر لعمله هذا ، فكتب قصته على شكل مذكرات مما أتاح له المجال ، لحشد الكثير من افكاره الذاتية ، في مواضيع عديدة عرضية ، لا صلة لها بمضمون قصته .

اما قصة « افكار ساذجة » فهي عرض سريع ، لتجربة ناقصة لا تثير في نفس القارىء ، حركة شعورية من الداخل ، لها دلالتها ومفعولها انها قصة فتاة مراهقة ، تشعر بانقباض نفسي ، لان اخاها الكبير مات « فحرم عليها وعلى نساء البيت ارتداء الثياب الزاهية اللون ، وسماع الراديو والذهاب الى السينما » الا انها تتحرقها وتشوقها الى اغاني عبد الوهاب وفريد الاطرش ، تحاول فتح الراديو خلسة ليلا ، وبصوت خافت بعد ان ينام اهلها ، الا انها من سوء حظها تدع الراديو ساهرا وحده ، بعد ان داهمها الكرى ، فياتي والدها صباحا فينهال عليها ضربا مبرحا جعلها تقفز مذعورة . ان المؤلف الصديق ، حاول بهذه القصة ، معالجة مشكلة التقاليد والاعراف السائدة في مجتمعنا العراقي ، الا ان النجاح مع الاسف لم يحالفه ، لانه رسم لنا صورة عادية ، غير مؤثرة ، ولا تحمل معنى قويا ، او تدل على اتجاه هام .

ومما يؤلمني حقا ، ان اقول ان الاخ باسم حمودي ، قد اخفق في عطائه هذا ، الذي كنا نرجو ، ان يكون انضج مما هو عليه الان ، فقصصه بصورة عامة اشبه بحكايات سطحية مضطربة ، مفعمة بالافتعال ، لانه لم يفلح في تناول مواضيع قصصه ، من زاوية ترتفع بها فوق القضايا الاعتيادية .

بغداد — احمد فياض المفرجي



الانطلاقات التجديدية في الشعر العربي

بقلم عيسى الناعوري

●

اذيعت هذه الدراسة من محطة الاذاعة الاردنية بالقدس مجزأة في اربعة احاديث كما هي مقسمة هنا [ع.ن.]

●

١ ـ الشعر والموسيقى والغناء

لعله مما لا يختلف فيم اثنان ان الشعر فن من الفنون الجميلة التي يعبر بها الموهوبون عن خلجات نفوسهم ، ويجد فيها الناس تصويرا لاشواقهم واحلام حياتهم وترويحا عن نفوسهم . وقد لا يختلف اثنان كذلك في ان الشعر والغناء والموسيقى ثالوث متلازم لا تنفصم عراه ، فالناس منذ ان عرفوا الشعر يغنونه في افراحهم واحزانهم ، في اعراسهم ومآتمهم ، في حربهم وسلمهم ، في حبهم وبغضهم في عزتهم وذلهم ، في رضاهم وغضبهم وفي كل عاطفة تعتلج بها نفوسهم ، او حادثة يتأثر بها مجتمعهم .

وما دام الامر كذلك عند جميع الامم وفي جميع الازمنة ، فمن الطبيعي ان تكون الموسيقى عنصرا رئيسيا في الشعر ، وحين يفقد الشعر موسيقاه وجانبه الغنائي يفقد اهم عنصر من عناصر جماله وتأثيره ، واهم دعامة من دعائم بقائه ، مهما يكن فيه من سمو المعاني وعمقها ، وجمال الاخيلة المبتكرة ، ومن حلاوة الصور . فالمعاني شيء مشترك بين الشعر والنثر ، وكذلك الاخيلة والصور والتشابيه والكنايات والاستعارات غير ان المميز الاساسي بين الشعر والنثر هو عنصر الموسيقى ، او الايقاع اللفظي الذي يترك في النفس صدى محببا ، يلون الاخيلة والمعاني ، ويزيد من جمالها وتأثيرها .

وقد يبلغ من اهمية الموسيقى في الشعر ان ان القطعة الشعرية قد تكون رائعة في وقعها في الاذن وفي النفس ، اذا كانت موسيقاها حلوة رقيقة ناعمة ، حتى لو خلت من صدق الاحساس ، وعمق التجربة ، وبراعة المعاني ، وقد تفقد قصيدة اخرى كل جمالها وتأثيرها وهي تعبير عن احساس وتجربة حقيقيين ، اذا خلت عبارتها من الرنين الموسيقي الجميل .

وقد يبلغ من اهمية الموسيقى في الشعر ان القطعة الشعرية قد تكون رائعة في وقعها في الاذن وفي النفس ، اذا كانت موسيقاها حلوة رقيقة ناعمة ، حتى لو خلت من صدق الاحساس ، وعمق التجربة ، وبراعة المعاني ، وقد تفقد قصيدة اخرى كل جمالها وتأثيرها وهي تعبير عن احساس وتجربة حقيقيين ، اذا خلت عبارتها من الرنين الموسيقي الجميل .

فقد تقرأ ، مثلا ، قصيدة (يحكى ان حفارين) لنازك الملائكة من ديوانها (قرارة الموجة) ، فتلمس عمق التجربة فيها ، وتشعر بالفكرة التي تريد الشاعرة معالجتها ، والواقع المؤلم الذي تحاول تصويره ، ولكنك تحس كذلك انك تتمنى لو عبرت الشاعرة من تجربتها وفكرتها بشيء اخر غير الشعر ، او غير هذه الابيات الثقيلة الجافة الخالية من الموسيقى :

الزمان يسير
بدقائقه المبطئات الثقال
ساحبا خلفه عربات الليال
مثقلات باسرارها الداكنات
الزمان يسير ، يجر الحياة
وهنالك فوق بساط الرمال
حيث خلفت العربات
اثرا من خطى العجلات
لم نزل نحن ، في كل كف قدوم
لم نزل نحفر الارض وحشة ووجوم
نحن نبكي هنا
والزمان يسير
نحفر الارض ، نبحث عما اضعنا هنا
والزمان يسير

انك لن تشعر بموسيقى هذه الابيات ، لا حزنا ولا فرحا ، ولا اهتياجا . ولو اعطيتها للحن وطلبت اليه ان يصنع لها لحنا لاجهد نفسه كثيرا ولم يات بشيء ذي غناء ، ذلك لان الالفاظ نفسها لا توحي باللحن ، ولا تساعد على التوجيه لاعطائها لحنا مناسبا .

ولكنك في الوقت نفسه تقرأ قصيدة (ماذا يقول النهر) لنازك الملائكة نفسها ومن ديوانها نفسه ، فلا تجد انك في حاجة الى من يعطيها لحنا خاصا ، لانها تغني نفسها بنفسها ، بكل لفظة فيها ، وبكل بيت وبكل تفعيلة من تفعيلاتها :

ماذا يقول النهر ؟
اقصوصة
ينسجها من رقص ضوء القمر
ينسجها من غزل ناعم
يداعب النخل به المنحدر
من نور مصباح يفذي الدجى
حرارة ويستثير الشجر
من وقع مجداف خفيف الخطى
يشق في الظلمة صدر النهر

فانت بهذه الموسيقى الناعمة تصغي الى خرير الماء الهادي منسابا في قلب النهر ، والى حفيف اوراق الشجر ، وهمس الغزل الناعم الذي يداعب به النخل المنحدر ، والى وقع المجداف بخطاه الخفيفة التي لا يشاء ان يوقظ بها الليل النائم .

ان الالفاظ الموسيقية الجميلة التي استخدمتها الشاعرة في هذه القصيدة قد ملات ابياتها بالهمس ، والصور المجسمة وبالحياة الدافقة معا ، مع انها لم تعبر الا عن احساسات خيالية ، من اوهام الشعراء .

والموسيقى في الشعر انما تتركز في الاوزان والقوافي قبل كل شيء ، ثم تجيء اللفظة المنتقاة ، والعبارة الفنية بالخيال وجمال التصوير ، كالذي لمسناه في القصيدة المتقدمة (ماذا يقول النهر) ونلمسه الان في الابيات التالية من قصيدة للشاعر نديم محمد ، فنحس له بدغدغة روحية ناعمة محببة ، تملأ النفس بالدفء واحساس الجمال :

شقي دروب العطر بالقدم الطرية كالنسيم
صحي نعاس الماء ، لمي الحر عن فيء الكروم
في خيمتي ما شئت من طرف السعادة والنعيم
علقت في احنائها قمرا ، ومن كل النجوم
ودنى اغان قطفوها من اخادير الحريم
في خيمتي خبز الحياة وخمرها ، بيدي كريم
للصائمين الجوع ، والندم الكثير.. فلاتصومي!

وليس عبثا ان للشعر في جميع الاداب اوزانا وقوافي ليس للنثر مثلها ، ولو كان الشعر مجرد كلام للتعبير ، لاستغنى عنه الناس بالنثر ، فهو اقل كلفة ، وايسر منالا . ولذلك يكثر في جميع الامم ، وفي جميع الازمنة ، المتفوقون في فنون الكلام المنثور وينذر المبدعون في فن الشعر الجميل ، كما يندر المبدعون في الموسيقى ، لان الاصالة في الشعر وفي الموسيقى لا تتاح لغير الموهوبين الذين تبخل بهم الدهور . وما تبخل الدهور بالشعراء الموهوبين الا لان الشعر فن جميل

سامق ، لا يصل اليه الاقزام المتطفلون ، ولا المقلدون العابثون . فانت تأخذ تاريخ خمسة عشر قرنا من عمر العربية ، فلا تجد في مدارها من الممتازين في الشعر الا اسماء قليلة جداً، من بين الاعداد الضخمة الهائلة ممن اشتغلوا بصناعة القلم وضروب القول في كل عصر ، فالذوق الفني المرهف ليس ملكا مشاعا يتساوى في امتلاكه جميع البشر ، وانما هو وقف الفئة المختارة منهم .

نقول هذا ونحن لا نجهل ان الموسيقى في الشعر ليست واحدة في جميع القصائد وفي كل المواضيع ، فما يصلح للشعرالحماسي غير ما يصلح للغزل ، وما يطيب في الرثاء غير ما يحسن في المدح او الهجاء . وهكذا ، فالفرق واضح جدا بين قول سليمان العيسى في الوطنية :

يقولون : دربكمو شائك !
بلى ! ان درب العلى اقتم
سنسلكه : انه شعبنا
عرانا بلواه لا تفصم
سنمضي ويعرفنا القادمون
على كل صخر سيبقى دم
لنا شعبنا ... لن يظل الدمار
على صدره ابدا يجثم

وقول فدوى طوقان في الالم :

وها انا يا نار لو تعلمين
فتاة طوت حزمة من سنين
وما زلت رغم المهود الطوال
تثيرين فيها جموح الخيال
وحين تفورين او تزفرين
كأنك نفس تقاسي الحنين

أغوص الى عمق اغواريه
اجوس عوالمها القاصية
فالمس فيها اوارا غريب
وما من لهيب
اوار شعوري واحساسيه

او قول نزار قباني في الغزل :

مشبوهة الشفتين ! لا تتنسكي
لن يستريح الموعد المكبوت
وغريزة الكبريت في طغيانها
ماذا ؟ ايكظم ما به الكبريت؟
شفتان معصيتان اصفح عنهما
ما دام يرشح منهما الياقوت
كرز الحديقة عندنا متفتح
قبلته في جرحه ونسيت
شفتان للتدمير ، يالي منهما
بهما سعدت والف الفشقيت
الفلقة العليا دعاء سافر
والدفء في السفلىفاين اموت!

انها اشبه بالسيمفونيات الروائع ، وكل واحدة منها تصور احساسا ، وتبرز تجربة ولكن الموهبة الفنية هي التي تجيد الالحان في كل احساس وفي كل تجربة .

٢ – الانطلاقة الاولى

درج الشعر العربي في موسيقاه ، منذ بداية معرفتنا له حتى اواسط العصر العباسي على الوزن الواحد والقافية الواحدة ، يتكرران في جميع ابيات القصيدة الواحدة – عدا الاراجيز احيانا – مهما بلغت من الطول وامتداد النفس ، ومهما تنوعت اغراض الشعر وفنونه، من مديح او هجاء او فخر او غزل او رثاء ، او ما سوى ذلك من الاغراض التي اعتاد الشعراء ان ينظموا فيها .

ولعل لطبيعة الحياة العربية في بلادها الجافة ، التي تنداح فيها الصحراء وتترامى بلا نهاية ، اثرها الكبير في تعويد اصحابها الصبر على كل عسير . اقول هذا لانني اؤمن بان الصبر على القافية الواحدة والنظام الشعري الواحد في القصائد الطوال من هذه الامور العسيرة ، فما يطيق الاجادة في النظم على هذه الطريقة الكلاسيكية العريقة غير الممتازين في موهبتهم الشعرية ، ممن امتلكوا ناصية اللغة ، واوتوا ذوقا مرهفا في اختيار اللفظة المناسبة والتركيب الجميل ، ولا يطيق قراءة القصيدة الطويلة ، ذات الوزن الواحد والقافية الواحدة ، او الاستماع اليها – لا سيما اذا كانت مثل تائية ابن الفارض الكبرى-غير من بلغتبه قوةالجلد ابعد مدى .

وهذه الطريقة التقليدية في نظم الشعر هي التي جعلت العروضيين يضعون الجوازات الشعرية المعروفة ، فقالوا انه يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره ، فكانت تلك الجوازات عكاكيز يتوكا عليه ضعاف الناظمين ليتمكنوا من النظم على تلك الطريقة المثقلة بالقيود والصعاب .

ولذلك كان لا بد من ثورة على تلك القيود ، ومن محاولة لتذليل تلك الصعاب ، لا سيما بعد ان خرج العرب من صحرائهم ، وانتشروا في مشارق الارض ومغاربها ، واتصلوا بالامم العريقة في حضاراتها ومدنياتها .

ولم تجيء الانطلاقة التحررية الاولى في الشعر العربي الا في الاندلس حينما امتزج العرب الفاتحون بطبيعة الحياة هناك ، وامتلأت نفوسهم بطراوة العيش وفتنة البحار والانهر والحدائق والعمران ، فرقت بذلك نفوسهم ، وفاضت قرائحهم بالمعاني والاخيلة الجديدة ، فلم تعد موسيقى القافية الواحدة كافية للتعبير عنها ، ولا منسجمة مع رقتها ، فكان من ذلك الموشحات التي خرجت على وحدة القافية ، وعلى كلاسيكية الوزنوتقليديته

على ان تلك الانطلاقة لم تكن سوى محاولة اولى لتحرير الشعر العربي من قيوده الثقال ، وتزمته الملازم . وليس ثمة من يستطيع ان يزعم ان تلك المحاولة جاءت بالغرض المنشود منها ، او انها اعطت شعرا غنيا بالجمال والحس وصدق التجربة فقد كان الكثير من الموشحات الاندلسية – بل لعله القسم الاكبر منها – يعتمد على الصناعة اللفظية اكثر مما يعتمد على صدق الحس والتجربة وعلى عمقالانفعال ومع ذلك فانها لم تخل من عذوبة النغم وجمال التوزيع في الالحان مما جعلها مادة سهلة للغناء والموسيقى .

وعلى الرغم من خروج شعراء الموشحات على القافية الواحدة ، فقد ظل للقافية نصيب كاف في موشحاتهم ، بحيث لا تختل موسيقاها وتنسيقها الفني . وكذلك صنعوا في التفاعيل التقليدية ، فانهم في الكثير من موشحاتهم خرجوا على ترتيبها الذي وضعه الخليل بن احمد ودرج عليه الشعراء من قبلهم ، وتلاعبوا فيها تلاعبا غير قليل، جاعلين التفعيليةالواحدة هي الاساس في الشعر . ولكنهم مع ذلك ايضا لم يفقدوا الشعر عنصر الجمال الاساسيفيه، وهو الموسيقى .

وفي ما يلي نموذج قصير من هذا الخروج على نظام التفاعيل والقوافي التقليدي ، لم يخل من جمال الموسيقى ، على الرغم من ان الصناعة اللفظية تغلب عليه وتقلل من صدى الانفعال وعمق التجربة فيه :

حياك بالافراح داعي الصباح
قم لاصطباح

فالنوم في شرع الهوى لا يباح
والصبح قد جرد منه حسام
بادي القسام
تضحي وجوه الزهر منه وسام
ذات ابتسام
«وحام» جنح الليل قدعاد «سام»
مما يسام
وخافق البرق بدا بالنياح
سامي اللياح
وادمع المزن به في انسياح

وهذا نموذج اخر ، اكثر خروجا على نظام التفاعيل ، واسرع نظما ، والطف موسيقى :

هل تستعاد
ايامنا بالخليج
وليالينا
او يستفاد
من النسيم الاريج
مسك دارينا
او هل يكاد
حسن المكان البهيج
ان يحيينا ؟

والى جانب هذه القطع الغنائية الخفيفة السريعة كانت هنالك قصائد ينظمها اصحابها على نظام تفاعيل الخليل المعروفة ، ولكنهم كانوا يتلاعبون بالقوافي تلاعبا موسيقيا كثير اللطف والحلاوة ، من ذلك ، مثلا ، قصيدة (ايها الساقي) المشهورة ، والتي منها :

ايها الساقي ، اليك المشتكى
قد دعوناك وان لم تسمع
ونديم همت في غرته
وبشرب الراح من راحته
كلما استيقظ من سكرته
جذب الزق اليه واتكا
وسقاني اربعا في اربع

وكذلك قصيدة (جادك الغيث)للسان الدين بن الخطيب ، وقصيدة (حنين) لابن زمرك، والكثير جدا من الموشحات الاندلسية الاخرى.

على ان الذي اعتقده ، هو ان ما دفع الاندلسيين الى ابتكار الموشحات استطابتهم لحياة الترف والطرب واللهو ، فنظموا الموشحات لاغراض الطرب قبل كل شيء، لانها ايسر غناء ، والطف موسيقى من الشعر التقليدي الذي يجري على وزن واحد وقافية واحدة .

واما كثرة الصناعة اللفظية في موشحاتهم فقد كان مبعثها حب التوفيق بين ما يرونه من بواعث الجمال في دنياهم الجديدة ، وما تخلعه عليها اخيلتهم من صور موشاة ، فيجانسون الواقع الموحي والصور الخيالية المستوحاة مجانسة لا تخلو من الافتعال ، لا سيما وهم في بداية تجربة جديدة جريئة .

على ان هذه الانطلاقة الاندلسية - التي كان الطرب مبعثها الرئيسي كما نعتقد - لم تسلم من المنغصات او العواقب السيئة ، فقد ادت الى انطلاقة اخرى الى العامية الصرف ، فنشأت فنون الادب الشعبي العامي ، فاذا هناك - في المغرب والمشرق - فنون شعرية غنائية اخرى ، هي : الزجل ، والدوبيت ، والقوما ، والكان وكان ، والمواليا وما اليها وكلها في الاصل صور شعبية عامية عن الموشح وتقليد له ، ولعلها كلها تنضوي تحت اسم الزجل ، اذا كنا نعرف الزجل بانه الشعر الذي ينظم باللهجات العامية ، وان يكن بعض هذه الفنون الشعرية الشعبية يجمع في البيت الواحد بين العامية والفصحى ، كما نرى في الابيات الزجلية التالية لزجال اندلسي :

ورذاذ دق ينزل
وشعاع الشمس يضرب
فترى الواحد يفضض
وترى الاخر يذهب
والنبات يشرب ويسكر
والطيور ترقص وتطرب
والغصون تعطف الينا
ثم تستحيي وتهرب

ويغلب على ظني ان صاحب هذه الابيات كان ناظما مبتدئا ، لم يملك من الذوق الفني ما يؤهله لنظم الموشح بشكل لائق ، فمسخه بهذا الشكل وجعله زجلا . غير ان الزجل وفنونه المختلفة لم تلبث مع الايام ان بعدت عن الفصحى بعدا تاما ، واصبحت من صميم الفنون الشعبية العامة ، وانقطعت صلتها بتاريخ الشعر العربي ، وظهر فيها - وعلى الاخص في العصر الحاضر - زجالون مبدعون ، تتفتق اخيلتهم عن كلام رائع ، قد لا يتفق مثله حتى للكثير من شعراء الفصحى البارزين .

على اننا مع كل ذلك مضطرون الى الاعتراف بان تلك التجربة الاندلسية لتحرير الشعر العربي من ثقل الوزن الواحد والقافية الواحدة ، كانت عملا جريئا يستحق التقدير، وكانت موفقة الى حد بعيد في زيادة صلة الشعر العربي بالموسيقى والغناء ، بل لقد جعلت الشعر الموشح موسيقى وغناء كله ، وطعمته بكثير من الاخيلة المترفة ، والصور الجميلة ، على الرغم من انها تخلو من العمق - في الغالب - ومن صدق التجربة ، ولئن كان اغلب الموشحات من شعر الغزل والحنين والخمر ، ووصف الطبيعة ، الا ان بعضها قد جاء ايضا في مجال المديح والتهاني ، كقول ابن زمرك يهنيء ابن الاحمر بشفائه :

قد انعم الله بالشفاء
واستكملت راحة الامام
فلتنطق الطير بالهناء
وليضحك الزهر في الكمام
وجوده بهجة الوجود
وبرؤه راحة النفوس
قد لاح في مرقب السعود
واستبشرت اوجه الشموس
فالدوح يومي الى السجود
اكمامه حطت الرؤوس
والزهر في روضة السماء
كالزهر قد راق بابتسام
والصبح مستشرف اللواء
والبدر يستقبل التمام

وهكذا نسجل على الانطلاقة الاندلسية قلة العمق ، وفرط الانغماس في صناعة الالفاظ ، الى جانب ما نسجله لها من احكام الصلة بين الشعر والموسيقى والغناء ، ومن الخروج على نظام التفاعيل التقليدي الممل ، ورتابة القافية الواحدة .

٣ - الانطلاقة الثانية

لم يتح للانطلاقة الاندلسية الاولى ان تبلغ مرحلة النضج ، فتؤتي شعرا عميقا خاليا من التلاعب اللفظي ، كما بينا ذلك ، غير انها كانت تجربة ناجحة جدا لتسهيل الشعر العربي ، ولتحريره من قيود الوزن والقافية . وكان لا بد من انطلاقة ثانية في سبيل البلوغ بالشعر العربي الى مرحلة العمق والبساطة ، والى جعله فنا جميلا يعبر عن خلجات النفس ونوازع الحياة بغير افتعال او زخرفة لفظية.

ولقد جاءت هذه الانطلاقة الثانية بعد قرون

من تاريخ الانطلاقة الاولى ، وكما كان الذين جاؤوا بالاولى من العرب الذين عاشوا في الغرب ، كذلك جاءت الثانية على ايدي العرب الذين هاجروا من بلادهم الى المهاجر الاميركية، وقد ساعد على خلقها الجو الجديد الذيعاش فيه شعراء المهجر في هذا القرن العشرين ، والاداب الغربية التي اتصلوا بها وباهلها ، والحرية الواسعة التي امتلات بها نفوسهم فراحت تجود بالكثير من الجميل المطرب ، والرقيق المؤثر ، والناعم الممتع .

وجدير بالذكر ان شعراء المهجر — واسبقهم شعراء الرابطة القلمية — قد استفادوا من انطلاقة الاندلس الاولى في طرائق النظم ، فقد وجدوا الطريق امامهم مشقوقة ، وليسعليهم غير ان يطوروها التطور الذي يقتضيه الفن الرفيع ، ويبلغوا بها المرحلة التي تجعل من الشعر رفيقا للنفس ، وتصويرا للاحساس .

وكذلك استفاد المهجريون كثيرا من الاداب الغربية التي عرفوها في اوجها ، فقد كان فيهم المطلعون على الاداب الروسية والانجليزية والفرنسية ، وكثير من المترجم عن الالمانية والايطالية . وباطلاعهم هذا استطاعوا ان يجمعوا في انطلاقتهم الجديدة بينقوة المعاني، وصدق التعبير ، وبراعة الصور ، وبساطة الصياغة وموسيقيتها ، فقد ادركوا ان الشعر فن جميل ، يعبر عن تجربة حقيقية وانفعال صادق قبل كل شيء ، وليس مجرد صناعة كلامية يتجرأ عليها من يشاء . وادركوا ان صدق التعبير وبساطته عنصر رئيسي ، كما ان الموسيقى هي ايضا عنصر رئيسي اخر . وهكذا جاؤوا الى جانب الشعر الكلاسيكي التقليدي ، الذي اغنوه بجمال المعانيالجديدة بشعر اخر جميل ، غني بالموسيقى والالوان والصور الحية البديعة .

كان الشعر الاندلسي — واعني شعر الموشحات — يعوزه العمق ، واتساع الافق ، وبساطة التعبير غير المفتعل ، فجاء الشعر المهجري الجديد غنيا بهذه كلها ، فقد جمع الى ما عرفه الاندلسيون من شعر الطبيعة والحنين والحب ، شعر التامل ، والشعور الانساني الواسع ، والوطنية المتدفقة ، وشعر الامومة والطفولة وغيرها من الاحاسيس الانسانية الرقيقة . واشاعوا في كل هذه الوانا من الموسيقى والغنائية الحلوة .

خذ مثلا قصيدة (اخي) لميخائيل نعيمةالتي تزخر بجمال العاطفة الانسانية :

أخي ! ان ضج بعد الحرب غربي باعماله
وقدس ذكر من ماتوا ، وعظم بطش ابطاله
فلا تهزج لمن سادوا ، ولا تشمت بمن دانا
بل اركع صامتا مثلي ، بقلب خاشع دام
لنبكي حظ موتانا

وخذ قصيدته التاملية (اوراق الخريف) :

تناثري ، تناثري يا بهجة النظر
يا مرقص الشمس ويا ارجوحة القمر
يا ارغن الليل ويا قيثارة السحر
تناثري ، تناثري
سيري ولا تعاتبي ، لا ينفع العتاب
ولا تلومي الغصن والرياح والسحاب
فهي اذا خاطبتها لا تحسن الجواب

ففي هذا الشعر استعارات وتشابيه وكنايات ، ولكن ليس فيه تكلف للحس او افتعال للصور والخيالات ، لا في مرقص الشمس ، ولا في ارجوحة القمر ، او ارغن الليل ، او قيثارة السحر ، لان هذه كلها — الى جانب ما فيها من الغنى الموسيقي — فيها كذلك تصوير غني بالخيال والجمال والتاملمعا

وخذ ايضا وقفة الشاعر شكرالله الجر عند شلال (تيجوكا) في البرازيل ، لترى اية تاملات رائعة وصور حية تهيج في نفسالشاعر امام الشلال المتدفق الجميل ، واية حياة غنية بالجمال يخلعها الشاعر على ذلك الشلال ، وهذا مقطع واحد منها :

فديتك قيثارة للطبيعة
من مقلتيها نسلت الوتر
فعطر بدمعك شعر الدجى
وشنف بلحنك اذن القمر
وعسل بكاسك ثغر الورود
فترقص نشوانة في السحر
وخل فؤادي يقضي ظما
لدى برد سلسالك الدافق
فلست ترويقلوبالعطاش
الى نهلات الهوى الصادق
ولو سال من جفنك الكوثر

وقد وصل بعض المهجريين — كما وصل بعض الاندلسيين من قبل — جعل التفعيلة الواحدة اساسا للقصيدة ، فتلاعبوا بالتفاعيل كما طاب لهم ، ومن ذلك قصيدة (النهاية) لنسيب عريضة ، التي يثور فيها لكرامة امته وحريتها ، ويعرب عن شدة نقمته على الخنوع والمذلة ، فيقول :

كفنوه
وادفنوه
اسكنوه
هوة اللحد العميق
واذهبوا لاتندبوه
فهو شعب ميت ليس يفيق
رب ثار
رب عار
رب نار
حركت قلب الجبان
كلها فينا ولكن
لم تحرك ساكنا الا اللسان

ونلاحظ هنا الخروج الكلي على نظام التفاعيل التقليدي ، ولكننا نجد التماسك الموسيقي والتناغم باقيين بكثير من الجمال والتاثير ، لان القافية تنوعت تنوعا غنائيا بارعا فيها ، مما حفظ للشعر روحه العربية ،واصالته الموسيقية الفنية معا ، ولم يتحول الى تعابير نثرية جامدة ، او استعارات وتشابيه مفتعلة افتعالا .

وهذه ابيات من قصيدة للشاعر فرحات ، من ديوانه (احلام الراعي) يصف فيها حلما جميلا :

في مسرح الشاء الفسيح الخصيب
بين رياض تنبت العافية
فوق بساط سندسي قشيب
تحت سماء رحبة صافية
اطلقت اغنامي
ترعى وتجتر
والزنبق النامي
للفجر يفتر
والنرجس النعسان
من سهرة الامس
قد اطبق الاجفان
خوفا من الشمس

وفي مطولة (عبقر) لشفيق المعلوف كثير من القطع الروائع ، تلاعب فيها الشاعر بالتفاعيل تلاعبا فنيا ساحرا ، وهي قصيدة اسطورية متعددة الاناشيد يختلط فيها الجن والبشر العرافون والبغايا ، ويخالطها الرعب ، والوصف والسحر ، والثورة فهي شيء يختلف كل الاختلاف عن الموشحات الاندلسية التي اقتصرت على الغزل والوصف والطبيعة والحنين

اما الحنين فقد ابدع شعراء المهجر في التعبير عنه بقصائدهم ، ابدع فيه نسيب عريضه ، ورشيد ايوب ، وابو ماضي ،والقروي وفرحات ، وشفيق معلوف ومن ذلك قول القروي يحن الى قريته (البربارة) :

احبابنا ! سكتت على الاغصان اصوات البلابل
واتى الرعاةمن الحقول، ولم يعد فيالحقلعامل
قوموا نعود الى الحمى، عاد الجميعالى المنازل!
بربارتي ! هل بعد فيك من الاحبة لي بقيه
فارى ، اذا جاد الزمان ولم تعاجلني المنيه
اما تراقب عودتي ، واخا يرد لي التحيه

ومنه ايضا قول شفيق معلوف :

طال بي الشوق ولج الظما
الى ليال في اعالي الكروم
يفري بها البدر صبايا الحمى
كانما البدر خلال الغيوم

جمع انوار جميع النجـــوم
وصبها من كـوة في السمـا
ومنها يتصور في خياله وصوله الى ارض الوطـن :

ويتمطى للعلاء العلم
وينحني الارز لضم البنين
حتىاذا البشرى فشتفيالاكم
تحدرت الى الشطوط القمم
هازجة تستقبل الراجعين
اذ ذاك الامـي وذكراهـا
تطوي على جرحي جناحيهـا
لان امـي حـين القاهـا
ان طوقتنـي بـذراعيهـا
لقيت في بؤبؤ عينيهـا
الـذ أيامي واحـلاهـا

ولكم اود لو كان المجال يسمح بنقل نماذج من الشعر التاملي الذي يعالج خطرات النفس، ونوازعها الانسانية ، ومن شعر الامومةوالطفولة الذي يزخر به الشعر المهجري ، والشعـر القصصي والاسطوري ، لنرى الى اي مـدى استطاع المهجريون في انطلاقتهم ان يمنحـوا الشعر الجمال والعمق والاتسـاع والفنى . ولكن في دواوين المهجريين ما يسد حاجـة الراغب في التوسع والاستزادة .

الانطلاقة الثالثة

ظهرت الانطلاقة الثالثة في الشعر العربـي بعد الحرب العالمية الثانية ، وكان مصدرهـا العراق . وكانت اول قصيدة قرأناها من هـذا الشعر الحر لبدر شاكر السياب في عدد من مجلة (البيان) النجفية صدر في شهر اذار سنة ١٩٥٠ ، وعنوانها (في السوق القديـم) استهلها الشاعر كما يلي :

الليل والسوق القديم
خفتت به الاصوات الا غمغمات العابرين
وخطى الغريب ، وما تبث الريح من نغم حزين
في ذلك الليل البهيم
الليل والسوق القديم وغمغمات العابرين
والنور تعصره المصابيح الحزانى في شحوب
مثل الضباب على الطريق
من كل حانوت عتيق
بين الوجوه الشاحبات كانه نغم يذوب
في ذلك السوق القديم

وظننت اذ ذاك ان بدر شاكر السياب هو مبتدع هذا الشعر النثري الغريب ، ولـكنني تيقنت بعد ذلك ان نازك الملائكة كانت اسبـق منه الى هذا اللون الجديد ، وانها نشرتاولى قصائدها منه - وهي قصيدة الكوليرا - عام ١٩٤٧ في مجلة (العروبة) التي كان يصدرها محمد علي الحوماني في لبنـــان ، ثم عادت فنشرتها مع قصائد اخرى من طرازها ومـن غير طرازها ، في ديوانها (شظايا ورماد)الذي ظهر عام ١٩٤٩ ، وقصيدة (الكوليرا) هـذه بعثها في نفس الشاعرة وباء الكوليرا الـذي فتك باهل مصر فتكا ذريعا ذلك العام ، وقـد بدأتها نازك كما يلي :

سكن الليل
اصغ الى وقع صدى الانات
في عمق الظلمة، تحت الصمت ، علىالاموات
صرخات تعلو ، تضطرب
حزن يتدفق ، يتلهب
يتعثر فيه صدى الاهات
في كل فؤاد غليان
في الكوخ الساكن احزان
في كل مكان روح تصرخ في الظلمات
في كل مكان يبكي صوت
هذا ما قد مزقه الموت
الموت الموت الموت
يا حزن النيل الصارخ مما فعل الموت

ونلاحظ ان هذين النموذجين لاول شاعرين عربيين فتحا باب هذه التجربة الجديدة، قد



فقدا اهم عناصر الشعر : اللفظة الموسيقية المعبرة ، والعبارة الشعرية الحية ، ونحن نفضل لو تناول الشاعران تجربتهما الشعريتين نثرا ، ما دام الشعر لن يتمكن من التعبير عنهما ، ومن نقل احساس الشاعرين بهما الى نفوس القراء .

ونلاحظ كذلك ان الشاعرين – واسبقهما نازك – لم يحاولا الاستفادة من الانطلاقتين العربيتين السابقتين – انطلاقة الاندلس وانطلاقة المهجر – بل تأثرا بالشعر الغربي المتحرر ، فحاولا ان ينقلا الشعر العربي اليه . ولم يفطنا الى انهما بذلك يبعدان به عن روحه العربية ، وعن موسيقاه ذات الصلة الوثيقة بنا نحن العرب ، والتي لا نحس بجمال الشعر اذا هو ابتعد عنها . وقد اعترفت لي نازك في احدى رسائلها بتأثرها بالشعر الغربي في هذه المحاولة .

غير ان هذه الطريقة الغربية الجديدة ، البعيدة كل البعد عن روح الشعر العربي ، والتي فتحت في الشعر اوسع مجال للتعابير النثرية البليدة ، لم تلبث ان اصبحت « الموضة » الدارجة على اقلام الناظمين ، ولا سيما الناشئين منهم ، وفتحت الباب على مصراعيه لكل من يعرف ان يقول كلاما ، فكثر الادعياء والطفيليون ، وبعد ان كان الشعر وقفا على الموهوبين الممتازين ، اصبح ملكا مشاعا لكل طالب في مدرسة ، ولكل راغب في الشهرة ، فقد ساوت هذه الطريقة الجديدة بين الشعر والنثر ، ووضعت اساسين للشعر ، هما : اولا : جعل التفعيلة الواحدة هي اساس القصيدة ، وثانيا : جعل الموضوع – او ما يدعونه بالتجربة – هو كل شيء في الشعر ، اما العبارة الشعرية ، واللفظة الموحية ، والموسيقى المؤثرة ، اما هذه العناصر التي بها وحدها يتميز الشعر الحقيقي عن النثر وعن الكلام الرخيص ، فلم يعد لها مجال . وبذلك زالت العراقيل من امام الناثرين المبتدئين ليصبحوا شعراء تتناقل قصائدهم كبريات الصحف بغير اعتراض .

وهكذا ظهرت طائفة جديدة من الشعراء ، اشتهروا بهذا اللون الجديد من الشعر الذي يدعونه حرا ، ونزلت الى الاسواق دواوين جديدة متعددة ، واصبح اغلب الشعر الجديد الذي ينشر في الصحف من هذا الطراز التحرري الغريب .

ولقد اصبح التقليد شيئا مالوفا جدا لدى شعراء هذه الطريقة ، فاذا قال السياب في مطلع قصيدته :

الليل والسوق القديم وغمغمات العابرين

قلده عبد الوهاب البياتي في قصائد متعددة ، فقال في احدى قصائده :

غليونه القذر المدمى ، والضباب ، وكوة الحان الصغيرة

واستهل قصيدة اخرى بقوله :

النهر ، والمحراث ، والنور الجريح على التلوج

وقصيدة ثالثة يبدأها بقوله :

الليل ، والباب المضاء ، واصدقائي الميتون

وقصيدة رابعة :

الله ، والافق المنور ، والعبيد

وقصيدة خامسة :

المسجد المهجور ، والليل الموشح بالنجوم

وقصيدة سادسة :

التينة الحمقاء والبيت القديم
ورفيف اجنحة الفراش
وزنابق سود عطاش

ويمضي الاخرون يقلدون هذا النوع من المطالع بغير تبصر ، ولا ندري ماذا يحبون في هذا اللون من المطالع لقصائدهم ، ولا ما الذي يدفعهم اليه لولا مجرد التقليد الاعمى .

ولقد اشتهر البياتي شهرة واسعة بهذا اللون من الشعر ، والغريب انك تقرأ قصائده فتحس باشياء كثيرة غير محببة : تحس بالالفاظ تتلاحق بغير ان تثير فيك حسا ، وتشعر بالتعابير الغامضة او المتكررة بغير داع ، وبالتعابير النثرية التي لا يجوز ان تجيء في الشعر ، وتحس بالتفكك بين ابيات الكثير من قصائده .

خذ من عباراته التي تتكرر بغير داع ، وبغير ان تثير فيك حسا قصيدته التي يقول فيها :

الموت ، والانسان من اعماق فطرته يقدم في سخاء
[. . . . .]
والموت والانسان والمستنقعات

واليك ايضا من قصيدة ثانية :

بالامس كنا – آه من كنا ومن امس يكون ! –
نعدو وراء ظلالنا – كنا ومن امس يكون

اما ان التفعيلة الواحدة هي الاساس في القصيدة فليس هذا بالشيء الجديد الذي استحدثه اصحاب الطريقة الجديدة ، فقد رأينا الكثير جدا مثله في موشحات الاندلس وفي شعر المهجريين . واما ان الموضوع – او التجربة – هو الاصل فذلك شيء يصح في النثر اكثر مما يصح في الشعر ، لا سيما اذا كان صاحب التجربة لا يحسن التعبير عنها بعبارة شعرية جميلة ، واذا كانت عبارته الشعرية المتحررة انما تحرر الشعر من فنيته وموسيقيته وغنائيته تحريرا كاملا ، كالذي رايناه من النماذج المتقدمة ، بحجة ان الشاعر يجب ان ينطلق بملء حريته في التعبير عما يحسه او يتخيله ..

والمؤسف جدا ان نرى بعض الشعراء الممتازين حقا يتنزلون احيانا الى هذه الطريقة الجديدة ، فيضيعون بذلك شخصياتهم الشعرية المتفوقة ، ويساوون انفسهم بطغمة المقلدين والعاجزين . فنزار قباني ، مثلا ، لا يجد غضاضة في ان يحشر في ديوانه (قصائد نزار قباني) ثلاث قصائد تافهة جدا ، احداها قصيدة (قصة راشيل) التي يقول فيها :

اكتب للصغار
للعرب الصغار حيث يوجدون
لهم على اختلاف اللون والاعمار والعيون
اكتب للذين سوف يولدون
لهم انا اكتب للصغار
لاعين يركض في احداقها النهار
اكتب باختصار
قصة ارهابية مجندة
يدعونها راشيل
كالجرذ في زنزانة منفردة
قضت سنين الحرب في زنزانة منفردة

فهذا النثر البليد الميت يكتبه نزار قباني ، الشاعر الذي يمتاز على السواد الاعظم من شعراء العرب الاحياء بفنية العبارة ، وشاعرية اللفظة ، وموسيقية القصيدة وطراوتها ونضارتها يكتبه ولا يحس بان اللحن يموت في كل حرف من حروف هذه القصيدة وامثالها ، ويتحول الشعر فيها نثرا سخيفا منفرا .

وعبد الرحمن الشرقاوي ، الاديب القصصي المعروف ، ينظم بهذه الطريقة الجديدة رسالة طويلة جدا (من اب مصري الى الرئيس ترومان) يخجل حتى النثر ان يكتب به مثلها يقول فيها :

متى سوف تقرأ هذا الكلام
سالتك يا سيدي بالجنون
[. . . . .]
وبالتابعين
وبالتابعات
وبالمرسلات وبالعاصفات
وبالناطحات ، وبالشاطحات
وبالنازعات ، وبالناشطات ، وبالفارقات
وبالسابحات من الغانيات ،
وبالفائصات من الفاتكات
وبالسابحين من الفاتنين
متى ستطالع هذا الخطاب ؟
ابعد الطعام وبعد الشراب
وانت تدخن يا سيدي
وانت تدخن في مقعد ؟
وانت تدخن اعصابنا
وتحشو (بايبك) باحلامنا ؟

واعترف انني لم اقرأ للشرقاوي قط شعرا غير هذا أتراه استسهل الطريق فسار وراء الاخرين معصوب العينين ، أم انه لا يتذوق الشعر الجميل ، ولا يدرك الفرق بين الشعر ورصف الكلام الميت ؟

لقد كنا نود لو اضافت هذه الانطلاقة شيئا جديدا جميلا الى الشعر العربي ، يزيد في غناه ويسمو بعبارته وروحه . اما وقد رفعت الثائرين المبتدئين الى صفوف الشعراء ، واغرقت الشعر بالتعابير النثرية الميتة ، وباعدت بينه وبين الغناء والموسيقى كل المباعدة ، فقد حملت عوامل موتها منذ انكانت في المهد ، واول عوامل فشلها ان صاحبيها الاولين لم يعودا يتحمسان لها ، او يرضيان عن هذا المستوى الذي وصلت اليه .

عمان — عيسى الناعوري

جورج صيدح يرثي ابو ماضي

صعقني نعيك يا شاعري الحبيب ، كانني مرضت بمرضك ومت بموتك !

لقد فجع العالم العربي بصناجته ، وفجع الادب المهجري ببلبل دوحته وسمير غربته . اما انا فقد فجعت بنفسي ، باعز امانيّ نفسي، يوم هيض جناحك وانقطع صداحك !

بشرتني رسالتك الاخيرة بزوال الخطر عنك ، ومنتني بالتلاقي في الصيف المقبل في « وطن النجوم » أتطيب بانفاس شعرك وتتطيب انت بنسمات الارز من علة قلبك . فتسترد نشاطك وتجمع ما انتثر من منظوماتك .

اكنت حالما ام اردتني ان احلم ؟ ام اشفقت على جراحي فمسحتها بذاك البلسم ؟ عادة فيك ان تداوي الناس وانت مريض ، وتحثهم على حب الحياة وانت ضائق بحملها ، الست القائل :

اذا انا لم اجد حقلا مريعا
خلقت الحقل من روحي وذهني
فكادت تملأ الازهار كفي
ويعبق بالشذا الفواح ردني

اجل . انك قلت لي مرة من على المنبر في نيويورك :

انا التقينا في الشباب وفي الهوى
في حومتين : الشعر والالهام
وسنلتقي وان افترقنا في غد
في حب لبنان وحب الشام

ولكنك عدت فاستدركت :

وستلتقي روحي وروحك بعدما
تفنى الهياكل في الاله السامي

كانك توقعت ان يحول القضاء دون تلاقينا، وتصورت لهفتي ولوعتي يوم يخيب املي بساعة اقضيها معك او برسالة اتسلمها منك، فخشيت علي من الياس القاتل وجئتني بوعد يؤاسيني في محنتي ، معللا روحي بلقاء روحك عند رب السموات ، فوق قبة النيرات .

ما اكرم نفسك واصدق حدسك يا شاعر الحياة ، يا قاهر الممات !

لم تتركني في غمرة الاحزان فريسة عزلاء في مخالب القضاء بل زودتني بسلاح الرجاء ، وجعلت البقية الباقية من حياتي فترة انتظار لموعد شائق دان في العالم الثاني . وها انني اردد منذ يومين قول الشاعر :

لقد كنت اخشى عادي الموت قبله
فاصبحت اخشى ان تطول حياتي

يا شاعري الحبيب !

انا لا ارثي لنفسي امام الناس ، لان الناس يهمهم امرك ولا يهمهم امري . وقد يلومونني ان لم انس نفسي واحدهم عنك . ولا ارثي لاحبابك واصحابك المنتشرين في المهاجر والاقطار العربية ، لانك وفرت لهم اسباب العزاء بما تركت لهم من تراث روحك السمحة، ولم تحرمهم الا من جسمانك الترابي .

ويا لها من تركة عزيزة غالية تلك التي خلفتها لهم ، تضيء منارة المحبة والرجاء في محيطهم وتبعث البشاشة في قلوبهم واساريرهم . انها كنز من شعورك اودعته حصيلة شعرك ورفعته الى العلاء ، الى مناط العيون ، نجما وهاجا يشرف على جميع افاق الضاد ، ابد الدهر .

ولكنني ارثي لانجالك الثلاثة الذين فقدوا حنان الوالد ورعاية العميد دون ان يكون لهم نصيب من هذه التركة الثمينة ، فهم لا يقرأون شعرك ولا يدركون مدى عبقريتك او يفهمون سبب خلودك ، بل حسبهم ان يحملوا اسمك الجهير وحسرتهم الصامتة الى مصنع القنابل الذرية في ضاحية نيويورك او الى معسكرات جيش الطيران قرب واشنطن .

وان لا ابكيك امام الناس فالدموع سر بيننا لا يعرفه الا « الاله السامي » الذي ضربت لي موعدا عنده ، وهو وحده العليم بما يسح منها في الخلوات ساعة المناجاة . وكيف اخالف تعاليمك يا انبل الملمين فابوح بشجوني واثير الزفرات من حولي كاني تنصلت من مدرستك وتنكرت لقولك :

كن بلسما ان كان دهرك ارقما

او لقولك :

ايها العابس لن تعطى على
التقطيب اجره
لا تكن مرا ولا تجعل
حياة الناس مره

او قولك :

قال الليالي جرعتني علقما
قلت ابتسم ولئن جرعت العلقما
فلعل غيرك ان رآك مرنما
طرح الكآبة جانبا وترنما

بل كيف ابكيك وامامي الوصية التي كتبتها في شعرك منذ اربعين عاما تحذيرا لصحبك من البكا والعويل امام رفاتك :

انا ان اغمض الحمام جفوني
ودوى صوت مصرعي في المدينة

وتعالي العويل حولك ممن
مارسوه واصبحوا يحسنونه
لا تشقي على ثوبك حزنا
لا ولا تذرفي الدموع السخينة
واذا خفت ان يثور بك الوجد
فتبدو اسرارنا المكنونة
فارجعي واسكبي دموعك سرا
وامسحي باليدين ما تسكبينه
واذا ما جلست وحدك في الليل
وهاجت بك الشجون الدفينة
فاهجري المخدع الجميل وزوري
ذلك القبر ثم حيي قطينه
وانثري الورد حوله وعليه
واغرسي عند قلبه ياسمينه !

هذه الوصية لم تغرب عن بالي ساعة نعتك الاسلاك فاذهلتني عن كل شيء عداها . لقد احترمتها ونفذت الشق الاول منها . اما الياسمينة التي يشتاقها قلبك فستجدها بانتظارك ان عدت الينا كما عاد جبران ... ان الامة التي اعطيتها « جداولك وخمائلك » كلها لا تبخل عليك بقطرة من جدول وبزهرة من خميلة .

أي اخي الراحل

كتبت الي منذ شهور انك عازم على حجب « سمرك » والاخلاد الى الراحة ، وقلت : لا بد من ان انقذ نفسي من رائحة الحبر والرصاص وانقذ الصحافة مني ..

فليهنك اليوم بلوغ مشتهاك ، لقد ضمنت الراحة الكبرى لجسدك المضني ولقلبك المتعب .
وحوطت نفسك بالرياحين والازهار بدلا من المطابع والمحابر .

ولكن هل تدري ـ واخالك تدري ـ انك غرزت حربة مسنونة في قلوبنا ودققت مسمارا جديدا في نعش الادب المهجري ؟
رحمة الله عليك وعليه .

[الحياة] جورج صيدح

المسؤولون لا تربطهم بالفكر والثقافة صلة

●

نشرت مجلة « المجالس » في عددها الممتاز الذي اصدرته في عيد الميلاد حديثا اجرته مع منشىء مجلة « الاديب » بمناسبة دخول الاديب عامها السابع عشر ننقله الى قرائنا فيما يلي شاكرين للزميلة حسن تلطفها ، قالت المجالس :

●

ـ بعد ١٦ مجموعة سنوية من الادب والحضارة مجلة الاديب تدخل عامها السابع عشر
ـ البير اديب يتحدث عن الحركة والمجلة

* * *

لا جديد في القول ان مجلة « الاديب » ، ذات مكانة كبيرة جدا في عالمنا الادبي ، وانها ذات انتشار عالمي يشمل جميع البلدان المتكلمة بلغة الضاد ويتخطاها الى جميع عواصم الفكر على الاطلاق .

ذلك ان لهذه المجلة من التراث الذي حققته منذ نشوئها أي منذ ست عشرة سنة وما تزال ، رصيدا يجعلها في مصاف المجلات الكبرى ذوات الرسالة في العالم ، بفضل الكفاية والنشاط القائمين وراء غاية منشئها الاستاذ البير اديب .

وفي الحديث التالي الذي عقدته معه « المجالس » تدليل كاف على ما « للاديب » من دور تؤديه وعلى ما لا يزال يعترضها من صعوبات في الطريق وانما هي صعوبات تتغلب عليها دائما بفضل ايمان صاحبها ومثابرته على الجهد المبدع :

سألنا الاستاذ اديب :

ـ لمناسبة دخول « الاديب » عامها السابع عشر ، ما هي الكلمة التي ترون وجوب قولها ؟
فقال :

ـ ليست لي كلمة خاصة اقولها لا سيما وان شعاري كما هو معروف ، العمل بدون كلام

واذا كان هذا الشعار لا ينطبق تماما على هذه المناسبة فانما قصدت الاشارة الى نهج الاديب في عامها السابع عشر كما في سائر اعوامها السابقة أي العمل ثم العمل ثم العمل .

قلنا ـ لا شك ان هناك صعوبات ما تزال تواجه حركة « الاديب » فهل لكم ان تتحدثوا الان عن شيء منها ؟

ـ الصعوبات التي تواجهها «الاديب» هي الصعوبات التي يواجهها العمل الادبي عامة في هذه البلاد .

فمن المؤسف ان الدولة لا تقدر قيمة الفكر قدره . فهي لا ترى ، كما يبدو ، او كما بدا لنا حتى الان ، ان الادب من دعائم الحضارة ومن اسس النهوض والازدهار في البلاد .

فلو طبعت مجلة شهرية ولو باعت عشرات الالاف من النسخ لبقيت دائما في عجز مادي نظرا لان التكاليف الشهرية يتحملها الفرد الواحد .. لذلك نرى ان المجلات الادبية والفكرية في كافة الاقطار الاخرى تقوم على مساعدات مادية من هيئات شعبية اوحكومية .
وذلك كي تبقى هذه المجلات في مستوى الترفع الفكري والعقلي فلا تنساق في تيارات تجارية تنزلها او تبعدها عن رسالتها رغبة في تسديد عجزها المادي . غير ان هذه الصعوبات على الرغم من كل شيء لا تقاس بمدى الارتياح والطمأنينة التي نشعر بها كلما وجدنا انفسنا نساهم مساهمة باقية مجدية في خدمة الجيل العربي الصاعد .

وبهذه المناسبة يسرني ان اذكر كلمة قالها لي استاذنا الفقيد خليل مطران في زيارة له « للاديب » ـ قال رحمه الله :

« يا البير .. انت لا تتصور عظمة الخدمات التي تؤديها بواسطة « الاديب » ... والصعوبات تعترض طريقك .. هذا شيء أكيد طالما ان الاعمال الكبيرة عندنا لا تقوم الا على كتف الافراد ، ولكن تذكر دائما ـ لكي تتعزى ـ تذكر من سبقوك امثال ابرهيم اليازجي في مجلته « الضياء » .. وفي أي ظروف قاسية كان يصدرها .. فهل كان يحلم في يوم من الايام بان ترتقي المجلات الادبية وتزدهر وتصدر مثلما تصدر مجلة «الاديب» ؟ لقد كان هذا بالنسبة اليه حلما من الاحلام ، فقارن بين الاثنتين تجد انك في نعيم بالنسبة اليه .. وهكذا فالقضية قضية مراحل ، وكلما ثابرنا استطعنا ان ندخل النجاح الى اعمالنا»

وحملتني كلمة مطران على استعادة جهاد الكثيرين من ادبائنا الذين سبقونا والظروف القاسية التي مروا بها فوجدت اننا نحن في نعمى بالنسبة لظروفهم مما لا يصح معه الشكوى .

ـ لقد اشرتم الى ان الدولة تهمل مناصرة الحركات الادبية فهل لكم ان توضحوا هذه القضية لعل في ذلك ما يلفت النظر ؟

ـ يكفي هنا ان اردد ما قاله الصديق العلامة الشيخ عبدالله العلايلي : ان لبنان لا يقاس بطوله او بعرضه انما لبنان ابجدية وكل رجل فكر فيه حرف من حروفها ..

ومع الاسف ، فان اكثر المسؤولين لا تربطهم بالفكر والثقافة صلة ، لذلك هم يعذرون لعدم تفهمهم قيمة الفكر في بناء الدولة ، شأنهم في ذلك شأن اكثر رجال السياسة الذين كما هو معروف لا يسايرون عصرهم من حيث الاطلاع والدرس فهم يكتفون من المطالعة بقراءة ما تكتبه الصحف في مدحهم او ذلهم وهكذا نرى بينهم ـ واقصد رجال السياسة ـ الكثيرين من الجامعيين الذين يصح ان يطلق عليهم لقب الجامعيين الاميين فهم قد طووا الكتاب يوم تخرجوا وما زال كتابهم مطويا حتى الان .. فما زار دار « الاديب » مصطاف وسألني يوما اين قبر الرجل السياسي فلان، او اين استطيع ان اقابل الرجل السياسي علان .. انما كان السؤال دائما اين تقع الفريكه ... وكيف الصعود الى قبر جبران .. وهل نجد ناسك الشخروب بدون موعد ؟ واين تقع ذوق مكايل .. وهذه ناحية هامة يجب ابرازها لعل مفوض السياحة والاصطياف في

لبنان يعرف كيف يستغلها لخير موسمه ..

ان اكثر الذين سافروا الى الخارج عرفوا جيدا كيف تواجههم دائما المعالم الحضارية معالم الفن ورجال الفكر .. معالم الفن ورجال الفن ومتاحفهم .. ولبنان الذي عماده الكلمة تحتقر الكلمة فيه .

ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي على عظمتها وعلى ما فيهما من اختراعات علمية فان القضايا الثقافية والفكرية تحتل عندهما المكان الاول في امور الدعاية والسياحة فكم بالاحرى نحن ولا خيل عندنا ولا مال ؟ .. فليسعد الشعر ان لم تسعد الحال ..

– ما رأيكم بالتعاون بين الادباء ؟

– ان هذا التعاون مفقود حاليا مع الاسف ، واذا رجعنا الى عشرين سنة مضت ، وجدنا ان التعاون بين الادباء كان وثيقا وكان صوت الادباء نتيجة لهذا التعاون مسموعا ومحترما وكان الازدهار الادبي اقوى واوسع وازهى مما هو عليه الان مع ان المفروض هو العكس ..

ويعود ذلك الك شيء من الانانية كان وليد الكفاح العيشي ولسد متطلبات الحياة التي اصبحت عسيرة في هذه الايام وبدلا من ان ياخذ هذا الكفاح مفهومه التعاوني الجماعي اخذ مفهوما فرديا ..

وحتى في جمعية اهل القلم فقد تبلورت هذه الفردية في استفادات شخصية بدلا من ان يستفاد من الظرف الخاص الملائم الذي دعا المسؤولين وقتها لمساعدة اهل القلم في سبيل غايات معروفة .. فبدلا من اغتنام هذا الظرف اذن وتمكين جمعية اهل القلم من اداء رسالة فكرية تعاونية صحيحة وقع الاختلاف على المغانم ... واني ارجو من الادباء الشباب – دون سواهم – ان يتعاونوا فيما بينهم – ويؤلفوا روابط قوية تضمهم للنهوض بالحركة الادبية والسعي لاعادة الاعتبار للادب والادباء واني على يقين من ان عامل الاخلاص والتجرد والتضحية المتوافر في الشباب سيجعلهم ينجحون حيث فشل غيرهم ..

[المجالس]

ذكرى الشاعر طانيوس عبده

●

منذ ٣١ سنة ، اي في ليل ٢–٣ كانون الاول سنة ١٩٢٦ فاضت روح طانيوس عبده ، الشاعر الكاتب النقادة المعلم ، استاذنا في الصحافة ، والروائي العربي الاول ، صاحب مجلة (الراوي) في الاسكندرية عام ١٩٠٦ ، وكاتب باب (نقدات طائر) في (الاهرام) بمصر اولا ، وفي (لسان الحال) ببيروت ثانيا .

ادركته المنية في الخامسة والستين من العمر ، اثر مرض مفاجيء اضطره الى دخول مستشفى القديس جاورجيوس ، ومن قاعة الموتى في هذا المستشفى الوطني شيعناه الى مقره الاخير في مقبرة القديس ديمتريوس ، في ليلة (عيد البربارة) .

وحمل نعشه الصحفيون على مناكبهم ، وكان وديع عقل صاحب الراصد نقيبا للصحافة وسار وراء النعش مع ابناء شقيقة الفقيد الصديق فيليب زهار المحامي واشقائه .

وكان في مقدمة حاملي جثمان الكاتب العبقري الراحل ، امثال راجي سركيس والاب لويس معلوف والشيخ يوسف الخازن وميشال زكور وجبران تويني وخير الدين الاحدب ، ومحمد الباقر وغبريال خباز وكميل يوسف شمعون وكرم ملحم كرم وخليل كسيب وامين تقي الدين وبشارة الخوري والشيخ الياس الفاهر والياس فياض ونجيب المصور وادوار الدحداح وشكري البخاش وجرجي نقولا باز وهذا العاجز ...

ورثاه بعد الصلاة على القبر كل من وديع عقل نقيب الصحافة ، الياس فياض فيلكس فارس ، الارشمندريت فوتيوس خوري ، امين كامله .

كان طانيوس عبده من تلامذة الشيخ ابراهيم اليازجي المحققين فهو مع خليل مطران والشيخ نجيب الحداد وفرح انطون ينتمون الى المدرسة الاولى التي عنيت بترجمة بدائع الادب الحضاري الغربي الى العربية .

وكان طانيوس شاعرا مجيدا وله ديوان من الاطايب وترك ٣٠٠ مجلد من روايات « الراوي » والمؤلفات الادبية والروائية المبتكرة والمترجمة ، وخدم الصحافة ٣٢ سنة في مصر ولبنان ، كان من نجوم هذه الصناعة الشاقة دون ان يجمع مالا ، كان شديد الولع كصديقه الاديب المحلق المشهور الشيخ اسكندر العازار ، بالخمرة والسيكارة والقلم ، نظم فيها ما يخلدها من اطايب الشعر .

واخيرا مرض ومات فقيرا لا يملك شروى نقير

وكان شديد الحرص على توقيع كل مايكتب من مقالات ، وكان يقول ان المقال هو ملك الكاتب وعصارة دماغه وقلبه ويجب ان ينسب اليه

في اواخر ايامه كان يشرب كل مساء ثلاثة كؤوس من العرق في ساعة طويلة على شرفة منعزلة من شرفات مربع تباريس ، هكذا عرفته ولم يكن بعدها يتناول طعاما فياوي الساعة ١٠ الى فراشه ..

وفي مقدمة الذين بكوه وابنوه على القبر بدموع سخية ، رفيقه على ضفاف النيل الشاعر الكبير المرحوم الياس فياض . فقد انشد وهو ينتحب ، ويمسح دمعة بمنديله الناصع الابيات التالية التي يصح اطلاقها على نهاية كل اديب في الشرق :

لا تبكيه فاليوم بدء حياته
ان الاديب حياته بمماته
قد كان ينفعه بكابوك وهو في
هذا الوجود يجيد في نقداته
يسعى ويسعى قوته قدامه
تعس الذي الاقلام من اقواته
علم بنيك سوى الفصاحة انها
ويل لصاحبها وسقم حياته
ومن البلية ان يحف اديبنا
ليل الشقا والفجر طي دواته
ايه صديقي قدارحت منا العنا
وجهاد عيش لم تذق لذاته
هون عليك فلست اول كاتب
في الشرق راح شهيد مكتوباته
واهنا بقبرك فهو اهنا منزلا
من موطن ما فاز غير بفاته

ومما قاله ابن عمنا واستاذنا وديع عقل نقيب الصحافة مرتجلا وكان من افصح الخطباء:

« ... ما نحن يا اخي في موقف الوداع وانما هو الركب سائر ، اديب يتلو اديبا وكلنا على سفر أيها الحبيب ، سنوافيك قريبا ، فالى الملتقى » .

واكثر الذين تكلموا في رثاء طانيوس او حملوا نعشه ، قد لحقوا به الى دنيا الخلود.. انا لله وانا اليه راجعون .

فهل عنت المدارس اللبنانية بسير اولئك الراحلين من كبار ادباء العربية وهل من طالب في مدرسة اليوم بلبنان يعرف شيئا عن طانيوس عبده وشعره ورواياته ونقداته .

كان استاذنا المرحوم داود بركات شيخ الصحافة العربية يحدثنا ان طانيوس عبده والشيخ الخازن كانا يعملان في جريدة (الاخبار) وفي عصر كل يوم يخرجان الى نزهة صامتة على ضفاف النيل ، فيسيران زهاء ساعتين على اقدامهما جنبا الى جنب ، دون ان ينبس ببنت شفة ، حتى اذا عادا افترقا كل الى بيته ، دون تحية ولا سلام ، وفسر المرحوم داود هذا الصمت ، بتوغل كل من الصديقين في التفكير والخيال ، حتى كانا يتحولان الى اخرسين .

هلا فكرت وزارة التربية باحياء ذكريات هؤلاء المعلمين الكبار الغائبين ؟

هل فكرت بجمع ديوان طانيوس عبده ونقداته في كتابين جديدين لتخليد ذكراه ؟

[صوت الاحرار]

اسعد عقل



٩ نوفمبر ١٩٥٧ – وقعت الهند والاتحاد السوفياتي اتفاقا تقرض روسيا الهند بموجبه ١٢٥ مليون دولار بالفائدة الزهيدة وستستخدم الهند هذه الاموال في تنمية صناعتها وانشاء صناعات جديدة .

١١ – وصل الى انقرة جيوفاني غرونشي رئيس الجمهورية الايطالية في زيارة رسمية لتركيا

– اعلن نيكيتا خروشوف انه لن تقع حرب في اوروبا اذا لم تصطدم روسيا بالمانيا لان روسيا والمانيا اذا لم تتصادما فليس ثمة دولة اوروبية تستطيع اعلان الحرب .

– وصل الامير محمد البدر ولي عهد اليمن الى لندن في زيارة رسمية لبريطانيا

– وصل اسكندر ميرزا رئيس جمهورية الباكستان الى لشبونة في زيارة رسمية للبرتغال .

١٢ – اجتمعت اللجنة السياسية التابعة للامم المتحدة لمناقشة قضية توحيد كوريا

١٣ – توفي رئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا انطونين زابوتوكي وهو مؤسس الحزب الشيوعي التشيكي .

١٤ – اعلنت بريطانيا والولايات المتحدة انهما قررتا تقديم السلاح لتونس على الرغم من معارضة فرنسا الشديدة لذلك

– اعلن وزير الدفاع الالماني الهر جوزف شتراوس ان المانيا الغربية قررت تجهيز جيشها بالاسلحة الصاروخية المختلفة ومما يذكر ان الغرب قد اطلق يد المانيا في التسلح النووي والصاروخي .

١٥ – خرج الوفد الفرنسي في الجمعية النيابية للمنظمة الاطلسية من اجتماع الجمعية احتجاجا على القرار البريطاني الامريكي بتزويد تونس بالسلاح

١٦ – وافقت الجمعية النيابية لمنظمة حلف شمال الاطلسي على قرار يطلب من الحكومات التشاور معها كلما امكن ذلك قبل اتخاذ اي قرار يمكن ان يؤثر على التضامن الغربي .

– نفى اللواء البزري القائد العام للقوات السورية المسلحة ان تكون هناك اية قواعد عسكرية سوفياتية في سوريا .

١٨ – وافق مجلس النواب السوري في جلسة مشتركة عقدها مع وفد يضم ٤٠ عضوا من مجلس الامة المصري يزور سوريا حاليا ، على قرار تقدمت به للمجلس بالاشتراك مع لجنة الشؤون العربية في مجلس الامة المصري ولجنة الشؤون الخارجية في المجلس النيابي السوري والقاضي باعلان رغبة نواب المجلسين القوية باقامة اتحاد فدرالي بين البلدين .

١٩ – انتخب انطونين نوفوتني السكرتير الاول للحزب الشيوعي التشيكي رئيسا لجمهورية تشيكوسلوفاكيا مع احتفاظه بمنصبه في الحزب

– بدأت في وشنطن محادثات بين جون فوستر دالس وزير خارجية امريكا وكريستيان بينو وزير خارجية فرنسا حول قضية شحن الاسلحة الى تونس

– اعلن الماريشال بولغانين رئيس الحكومة السوفياتية ان الاتحاد السوفياتي قد وافق على مساعدة مصر في بناء اقتصادها القومي وذلك استجابة لطلب الرئيس جمال عبد الناصر واللواء عبد الحكيم عامر الذي يزور حاليا الاتحاد السوفياتي .

٢٠ – رفضت الجمعية العامة للامم المتحدة مشروعا سوفياتيا بابدال لجنة نزع السلاح وجعلها تمثل دول الاعضاء في الامم المتحدة الاثنين والثمانين

– وصل الحبيب بو رقيبة رئيس الجمهورية التونسية الى الرباط للاجتماع بملك المغرب محمد الخامس

– امرت الحكومة التونسية سفيرها في دمشق بمغادرة الاراضي السورية احتجاجا على النشاط الذي يقوم به الزعيم التونسي المنشق صالح بن يوسف في سوريا

٢١ – صدر بلاغ بريطاني على اثر انتهاء زيارة الامير البدر ولي عهد اليمن ان المحادثات التي جرت كانت فرصة للتباحث بالامور المشتركة ويرجى ان تساعد على ايجاد تفاهم افضل بين الحكومتين

٢٢ – وصل الى بيروت الجنرال اسكندر ميرزا رئيس جمهورية الباكستان بعد انتهاء زيارته لاسبانيا والبرتغال ويواصل سفره بعد يومين .

– صدر بلاغ مغربي تونسي مشترك اثر انتهاء زيارة الرئيس بورقيبة للرباط جاء فيه ان الملك محمد الخامس والرئيس الحبيب بورقيبة يضعان خدماتهما تحت تصرف فرنسا والزعماء الجزائريين في محاولة لحل المشكلة الجزائرية .

٢٣ – اعلن وزير الخارجية الفرنسية كريستيان بينو ان العرض التونسي المغربي للتوسط في الثورة الجزائرية ضد الحكم الفرنسي غير مقبول لان تونس والمغرب ليستا محايدتين في النزاع الجزائري

– وصل الى وشنطن وزير خارجية المانيا الغربية الهر هانريك فون برنتانو لاجراء محادثات حول تقوية حلف الاطلسي ليكون اداة دفاع فعالة

٢٥ – وصل الى وشنطن الملك محمد الخامس عاهل المغرب في زيارة رسمية

– صدر بلاغ سعودي يعلن تحقق زوال التوتر من الحدود التركية السورية ذلك ان الحكومة التركية نظرت بعين التقدير والاعتبار الى الموقف الذي اتخذه الملك سعود وقررت تدعيما لمساعي جلالته في سبيل جمع كلمة الدول العربية سحب قسم مهم من قوات دفاعها على الحدود المجاورة لسوريا

٢٦ – على اثر المحادثات التي جرت في باريس بين رئيس الحكومة البريطانية هارولد ماكميلان ورئيس الحكومة الفرنسية فيلكس جايار صدر بلاغ مشترك جاء فيه ان الرئيسين اتفقا على ان حل القضية الجزائرية من ضمن مسؤوليات فرنسا وان الطرفين اتفقا على ان يتجنبا في المستقبل مصاعب اخرى كالتي حدثت في قضية تزويد تونس بالاسلحة

– اصيب الرئيس ايزنهاور بعارض صحي واذاعت الخارجية الامريكية انه من المرجح جدا ألا يستطيع الرئيس حضور مؤتمر اقطاب حلف الاطلسي

٢٧ – قال الماريشال بولغانين رئيس الوزارة السوفياتية في رسالة بعث بها الى الحكومة التركية ان التوتر الخطير في الشرق الاوسط والضغط المستمر على سوريا ربما اضطرا الاتحاد السوفياتي الى اتخاذ بعض التدابير للمحافظة على السلم والنظام في المنطقة .

– بدأت اللجنة السياسية التابعة للجمعية العامة للامم المتحدة ببحث القضية الجزائرية

٢٨ – يجري قتال منذ ايام بين القوات الاسبانية وقوات التحرير المغربية غير النظامية في منطقة افني واذاع الامير مولاي حسن رئيس الاركان العامة للقوات المغربية نداء الى الجنرال فرنكو والمسؤولين الاسبانيين يدعوهم الى تسوية قضية افني بطريق المفاوضات

– على اثر زيارة الرئيس الالماني تيودور هوميس لايطاليا صدر بلاغ مشترك بان ايطاليا والمانيا الغربية قد تعهدتا بتوثيق تعاونهما في تطوير الاسلحة الدفاعية وتعهدتا بالعمل المشترك في البحث العلمي العسكري

٢٩ – اعلن نيكيتا خروشوف سكرتير الحزب الشيوعي السوفياتي ان روسيا لن تبدأ الحرب ولن تهاجم الا اذا هوجمت وقال اننا نريد ان نتنافس في البناء السلمي وفي العمل الخلاق

– اعلن فيلكس جايار رئيس وزراء فرنسا

في الجمعية الوطنية الفرنسية بان لا استقلال للجزائر وستبقى الجزائر جزءا من فرنسا ولا يمكن ان يعتبر مليون فرنسي في الجزائر غرباء في بلادهم . ومما تجدر الاشارة اليه انالقتال لم ينقطع يوما في الجزائر بين القواتالفرنسية وقوات التحرير الوطنية

٣٠ ـ القيت قنبلة يدوية على الدكتور سوكارنو رئيس جمهورية اندونيسيا فيمحاولة لاغتياله وقد نجا الرئيس وقتل سبعة اشخاص

ـ منحت الحكومة الامريكية الاردن مساعدة قدرها عشرة ملايين دولار لانفاقها على المشاريع للاردن منذ ستة اشهر ٤٠ مليون دولار

اول ديسمبر ١٩٥٧ ـ وصل الى عمان داغ همرشولد الامين العام للامم المتحدة واجرى محادثات مع الحكومة الاردنية وقد تعهد همرشولد بمنع تحصين المناطق المجردة وستوضع المنطقتان المجردتان من السلاح على جبل المكبر وجبل سكوبوس تحت الاشراف المباشر للامم المتحدة

٢ ـ تدورمعركة عنيفة فيافنه بين الوطنيين المغاربةوالاسبان فيمنطقة العاصمةسيديأفنه.

ـ وصل الملك فيصل عاهل العراق والامير عبد الاله ولي العهد الى الرياض في زيارة رسمية للعربية السعودية

٤ ـ صرح المسؤولون في لاهاي انمفاوضات تجري الان في جاكرتا لاجلاء الهولنديين الراغبين في مغادرة اندونيسيا نظرا لتوتر العلاقات بين البلدين . ويبلغ عدمالهولنديين ٦٠ الف نسمة

٥ ـ طلبت الحكومة الاندونيسية من هولندا اغلاق جميع قنصلياتها في اندونيسيا

ـ اعلن الرئيس جمال عبد الناصر تعبئة موارد مصر لتحقيق اغراض الثورتين السياسية والاجتماعية مؤكدا ان مصر مستقلة استقلالا حقيقيا واعلن حشد كل جهود المصريين ومواردهم في سبيل بناء الدولة الجديدة على المبادىء الديموقراطية الاشتراكية .

٧ ـ صدر بلاغ عراقي سعودي مشترك بمناسبة انتهاء زيارة الملك فيصل يعلن وقوف العراق والعربية السعودية الى جانب كل بلد عربي يتعرض للعدوان كما يعلن ان عودةالسلام الى المنطقة مرهونة بتسوية مشكلة فلسطين تسوية عادلة .

ـ اعلنت اسبانيا انها ستستخدم جميع امكانياتها لوضع حد للقتال في افني بجنوب مراكش واعلنت الشروط التي تستطيعبموجبها الدخول بمفاوضات

ـ عقد المجلس الدائم لحلف شمال الاطلسي جلسة طارئة للبحث في الوضع الحالي في اندونيسيا

٨ ـ احالت اللجنة السياسية للامم المتحدة القضية الجزائرية على الجمعية العمومية بدون توصيات

٩ ـ بدات اللجنة السياسية للامم المتحدة بحث القضية القبرصية

١٠ ـ وقعت عدة اصطدامات عنيفة في نيقوسيا في قبرص بين الاتراك واليونانيين وقد فرض نظام منع التجول

ـ أقرت الجمعية العامة للامم المتحدة بالاجماع حلا وسطا يحث على بذل الجهود لحل المشكلة الجزائرية بمحادثات خاصة وقد اتخذ القرار دون مناقشة

١١ ـ قدم السيد علي جودت الايوبي رئيس الوزارة العراقية استقالة حكومته

ـ قدم السيد اسماعيل شوندريفار رئيس وزارة الباكستان الاستقالة حكومته

ـ اعلنت جبهة التحرير الوطنية الجزائرية كما اعلن وزير خارجية فرنسا قبولهما توصية الامم المتحدة لتسوية القضية الجزائرية .

ـ ارسل الماريشال بولغانين الى ايزنهاور واديناور وماكميلان ونهرو وغايار رسائل خاصة بمناسبة انعقاد مؤتمر اقطاب حلف الاطلسي اعرب فيها عن قلق الاتحاد السوفياتي الشديد لتقوية الاستعدادات الغربية لحرب ذرية وطالب بعقد معاهدة عدم اعتداء وانشاءمنطقة محايدة وتحريم الحرب

١٢ ـ اعلنت الحكومة الاندونيسية ان الرئيس سوكارنو مريض ويحتاج الى فترة راحة واعلن وزير الخارجية ان بلاده مستعدة للتفاوض مع هولندا بشأن تأزم العلاقات بين البلدين .

١٣ ـ اتهم وزير خارجية فرنسا الحكومة البريطانية بانها تحاول تسوية القضية الفلسطينية لمصلحة الدول العربية وقال ان فرنسا تعارض بشدة أية تسوية تتم على حساب اسرائيل

١٤ ـ وصل الرئيس ايزنهاور الى باريس لحضور مؤتمر رؤساء حكومات حلف شمال الاطلسي كما وصل الرئيس ماكميلانوالمستشار اديناور وسائر رؤساء دول الحلف

ـ ارسل الماريشال نيقولاي بولغانين رسالة الى رئيس وزراء تركيا عدنان مندريس حذر فيها تركيا بمناسبة انعقاد مؤتمر حلف شمال الاطلسيمن التورط معحلف الاطلسيفيالشرق

١٥ ـ الف عبد الوهاب مرجان الوزارة العراقية الجديدة

١٦ ـ افتتح في باريس مؤتمر رؤساء دول حلف شمال الاطلسي والقى الرئيس ايزنهاور خطابا هاما

ـ وصل الشاه محمد رضا بهلوي امبراطور ايران والامبراطورة ثريا الى بيروت في زيارة رسمية للبنان

١٧ ـ الف مالك فيروز خان نون الوزارة الباكستانية الجديدة

ـ قررت دول الاطلسي السعي لتسوية مع الاتحاد السوفياتي وقدمت الولايات المتحدة مشروعا من تسع نقاط لتقديم النوويات لاوروبا وشرحت تركيا خطورة الوضع في الشرق وبحثت قضية اسرائيل في المؤتمر

١٨ ـ اعلن نيكيتا خروشوف الامين العام للحزب الشيوعي السوفياتي ان حكومته تفضل عقد مؤتمر لزعماءالولايات المتحدةوالاتحاد السوفياتي لتخفيف حدة التوتر الدولي .

١٩ ـ انتهت اجتماعات رؤساء دول حلف الاطلسي وصدر بلاغ يعلن ان الحلف قررتزويد قوى دوله بالاسلحة النووية وبالصواريخ المتوسطة المدى وانه يعتبر استقرار الشرق الاوسط حيويا للسلام العالمي وانه يعرض المفاوضةمعروسيا على مستوى وزراء الخارجية

٢٠ ـ سافر الدكتور محمد سوكارنو رئيس جمهورية اندونيسيا في اجازة مقررة وتولى سارتونو رئيس المجلس النيابي رئاسة الجمهورية بالوكالة

٢١ ـ رفضت روسيا الدعوة الغربية الى عقد اجتماع لوزراء الخارجية ودعت الى عقد مؤتمر على المستوى العالي ونادت بالتعايش السلمي بين الشرق والغرب

٢٣ ـ وافقت الحكومة السورية على تعيين تشارلس يدست سفيرا للولايات المتحدة في دمشق كما انها تبحث في امر تعيين سفير سوريا في وشنطن وتهدف اعادة تعيين السفراء الى ازالة التوتر الحالي

٢٤ ـ احتجت هولندا لدى الامم المتحدة على نشاط اندونيسيا واعمالها ضد الرعايا الهولنديين ومصالحهم .

ـ اعلن الرئيس ايزنهاور في خطاب له عن نتائج مؤتمر الذروة الاطلسي ان الدول الغربية مصممة على انه يجب الا تنشب الحرب

٢٦ ـ وصل القاهرة المستر همرشولد السكرتير العام للامم المتحدة وبحث مع الرئيس عبد الناصر المسائل المتعلقة بقناة السويس ولجنة الهدنة المصرية الاسرائيلية .

ـ عقد في القاهرة مؤتمر التضامن الاسيوي الافريقي

٢٨ ـ اعلنت اندونيسيا انها لم تتلق أي رد على الطلبات المتكررة التي قدمتها لامريكا للحصول على الاسلحةواذا رفضت امريكا تزويد اندونيسيا فورا فانها ستلجأ الى شراء الاسلحة من مصادر اخرى

٣٠ ـ قدم دافيد بن غوريون رئيس الحكومة الاسرائيلية استقالته .

مطابع الشراع الحازمية بيروت